

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جامعة أم القرى  
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية  
قسم الدراسات العليا والتاريخية

٢٢٥٩

# السيرة النبوية المطهرة في

## حقيقة هجرة النبوة

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي  
إعداد

عبد الله بن سعيد بن محمد الفاضل

إشراف الدكتور

حسين بن محمد بن ربيع

١٤٠١ - ١٤٠٢ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَبِهِ نَسْتَعِينُ

مَجْنُونٌ بِالسَّيْرِ

دراسة نقدية لأهم مصادر البحث .

## الفصل الأول : صلاح الدين وتوحيد الجبهة الإسلامية : ص ٢٣ - ٩١

- قضاء صلاح الدين على الخلافة الفاطمية في مصر سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م .
- دخول صلاح الدين دمشق سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م .
- نزاع صلاح الدين مع الزنكيين : معركة قرون حماه ، معركة تل السلطان .
- إستيلاء صلاح الدين على مدن إقليم الجزيرة سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م .
- استيلاء صلاح الدين على حلب سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م .
- الموصل تدين بالولاء لصلاح الدين سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م .

## الفصل الثاني : جيش صلاح الدين وتنظيماته الحربية : ص ٩٢ - ١٦٦

- صلاح الدين وتجديد حركة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين .
- تطور نظام الإقطاع الحربي في عصر صلاح الدين .
- ديوان الجيش الصلاحي .
- تنظيم الجيش الصلاحي .
- الأسلحة والمؤن والعتاد .
- أساليب القتال .
- دور الأسطول في جهاد صلاح الدين .

## الفصل الثالث : معركة حطين مقدمة للاسترداد بيت المقدس : ص ١٦٨ - ٢١٧

- مقدمات معركة حطين .
- استعدادات صلاح الدين العسكرية قبيل معركة حطين .
- وقعة صفورية .
- معركة حطين ونتائجها .



## الفصل الرابع : حصار واسترداد بيت المقدس : ص ٢١٩ - ٢٥٠

- أحوال مملكة بيت المقدس بعد معركة حطين .
- استعدادات الصليبيين داخل بيت المقدس .
- خطة صلاح الدين العسكرية واستسلام بيت المقدس .
- تسامح صلاح الدين في معاملته لآسرى الصليبيين .
- إرسال البشائر والوفود الى أنحاء العالم للإسلام .
- إصلاحات صلاح الدين في بيت المقدس .

## الفصل الخامس : فشل الحملة الصليبية الثالثة في استرجاع بيت المقدس : ص ٢٥٢ - ٣١٩

- نتائج وآثار استرداد صلاح الدين لبيت المقدس في الغرب الأوربي .
- الحملة الصليبية الثالثة ودخول الصليبيين عكا سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م .
- معركة أرسوف وفشل ريتشارد قلب الأسد في استرجاع بيت المقدس .
- انتصار صلاح الدين وصلاح الرملة سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م .

## الخاتمة : أهم نتائج البحث . ص ٣٢١ - ٣٢٨

الملاحق : ص ٣٣٠ - ٣٥٧

## الملاحق الأول :

رسالة صلاح الدين الى الخليفة العباسي المستنصر بأمر الله

سنة ٥٧٠ هـ

الملاحق الثاني :

إهتمام صلاح الدين بأمر الجهاد .

الملاحق الثالث :

خطبة القاضي محيي الدين بن زكي الدين بعد إسترداد

بيت المقدس .

يوم الجمعة ٤ شعبان ٥٨٣ هـ

الملاحق الرابع :

رسالة صلاح الدين الى الديوان العزيز للبشرى

بفتح بيت المقدس .

قائمة المصادر والمراجع . ص ٣٥٩ - ٣٧٥

المقدمة

دراسة نقدية للأهم مصادر  
البحث

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين  
سيدنا ونبيينا محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم  
بإحسان إلى يوم الدين وبعد /

فإن لبيت المقدس أثره العميق الشائق في نفس كل مسلم في بقاع الأرض ،  
لاحتوائه على المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، ومسرى  
نبيينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ومنه عُلج به إلى السماء ،

والحديث عن تاريخ بيت المقدس ذو أهمية بالغة ، تشد القارئ إلى  
التعرف عليه ، وذلك لكونه مجالاً للصراع بين القوى منذ العصور الوسطى ، لما  
يحتله من مكانة مقدسة في نفوس البشر على اختلاف دياناتهم السماوية . إذ المعروف  
أن المسلمين الأوائل فتحوا بيت المقدس ، وطهروا المسجد الأقصى من من بواثن  
الروم أبان حركة الجهاد الإسلامي الأولى في السنة الخامسة عشرة للهجرة . وظل  
في أيديهم فترة طويلة من الزمن ، إلى أن استغل الصليبيون فترة الانقسام التي  
حلت بالعالم الإسلامي في العصور الوسطى ، وفرضوا سيادتهم عليه . وبعد فترة  
وجيزة عادت للإسلام صحوته وأعيدت فكرة إحياء حركة الجهاد الإسلامي ، فتكمن  
المسلمون من استعادته من الصليبيين . ومن الأسباب التي دعت إلى اختيار  
هذا الموضوع ، أنه موضوع ذو أهمية بالغة ، خاصة فيما يتعلق بفكرة إحياء حركة  
الجهاد الإسلامي ، التي استدعى الأمر إحياءها في نفوس المسلمين لاستعادة  
بيت المقدس من أيدي أعداء الإسلام . وقد تجلّى ذلك بوضوح في عصر الدولة  
الصلاحية التي تعتبر بحق دولة جهادية ، حققت بفضل إحياء فكرة الجهاد  
الإسلامي انتصارات عظيمة على الصليبيين في العصور الوسطى .

وقد اعتمدت هذه الدراسة على مصادر أصلية تنقسم إلى مجموعتين :

(١) مجموعة مؤلفات المؤرخين والكتاب المعاصرين لصالح الدين .

(٢) مجموعة الذين نقلوا عن مؤرخيه ن معاصرين . ويأتى فى مقدمة

المجموعة الأولى كتابات القاضي الفاضل . وهو أبو على عبد الرحيم بن القاضي  
على بن أبى القاضي السعيد أبى محمد الحسن اللخى ، المستقلانى المولده  
المصرى الدار ، والمعروف بالقاضى الفاضل . ولد يوم الاثنين ١٥ جمادى الآخرة  
سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٥ م . تولى والده القضاء بمدينة بيسان فنسبوا اليها وأرسله  
الى مصر ، فاشتغل بالأدب وحفظ القرآن ، وبلغ هناك فتوى بعض الوظائف  
فى الدولة الفاطمية الى أن ولى صلاح الدين الوزارة الفاطمية ، فأسند الى القاضي  
الفاضل كتابة الانشاء . ومنذ ذلك الوقت لازم القاضي الفاضل صلاح الدين فى مصر  
والشام ، وأخذ يحضر معه مشاوراته السياسية ، وكذلك أغلب حملاته العسكرية  
ضد الصليبيين . وتوفى القاضي الفاضل فى سنة ٥٩٦ هـ / ١٢٠٠ م .  
(١)

وقد أتاحت هذه الظروف الفرصة للقاضى الفاضل أن يدون مشاهداته

(٢)

كلها عن تاريخ صلاح الدين ، فيما عرف بالمتجددات أو المياومات أو المجريات ،  
وهى عبارة عن سجل للحوادث اليومية المتجددة من جهاد صلاح الدين ضد  
الصليبيين . وقد اعتمد كثير من المؤرخين فى كتاباتهم على هذه السجلات اليومية  
التي دونها القاضي الفاضل آنذاك ، مثل أبى شامة فى كتابه الروضتين فى أخبار  
الدولتين ، والمقرئى فى كتابه الخطط ، وابن تفرى بردى فى كتابه النجوم الزاهرة  
(٣)  
وغيرهم .

(١) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ص ١٥٨ - ١٥٩ ، ١٦١ - ١٦٢ ،  
نظير حسان سعداوى ، المؤرخون المعاصرون لصالح الدين ، ص ٢٩ -  
٣٠ ، أنظر أيضا ، شاكرو مصطفى ، التاريخ القريب والمؤرخون ، ج ٢ ، ص  
١٩٣ .

(٢) أنظر ، نظير حسان سعداوى ، المرجع نفسه ، ص ٣٦ .

(٣) أنظر أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٠٩ ، المقرئى ، الخطط  
ج ١ ، ص ٢٥٣ ، ابن تفرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ١٥٦ .

وأمدت الرسائل التي كان القاضي الفاضل يكتبها على لسان صلاح الدين الى بلاط الخليفة العباسي في بغداد والى غيره من الملوك والأمراء المسلمين هذا البحث بمعلومات غاية في الأهمية . وقد ذكر ابن خلكان أن مسودات هذه الرسائل المتناثرة بين المجلدات والتعليقات والأوراق اذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد .<sup>(١)</sup>

وقد صورت لنا هذه المتجددات والرسائل ما بذله صلاح الدين من جهود جبارة أثمرت استرجاع بيت المقدس من أيدي الصليبيين ، فهي في مضمونها قد شملت جهوده في توحيد الجبهة الاسلامية التي ضمت مصر والشام وأجزاء من أرض العراق ، وحشد كل الامكانات والقوى الاسلامية لاقتلاع الوجود الصليبي من بلاد الشام . ولعل خير دليل على ذلك تلك الرسالة التي أنشأها القاضي الفاضل على لسان صلاح الدين الى الخليفة العباسي المستنصر بالله التي تعد أروع الرسائل التي كتبت في السياسة والأدب .<sup>(٢)</sup>

ويلي ذلك في الأهمية مؤلفات الصمد الكاتب الاصفهاني وهو أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله ، ولد بأصبهان سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م ونشأ بها ، ثم قدم بغداد في حداثة سنه ، وانتظم في المدرسة النظامية واتقن الفقه والحديث والنحو الأدب . وعاد الى أصفهان وتفقه على علمائها ، وعاد مرة أخرى الى بغداد واشتغل بالكتابة وبالوظائف الادارية

---

(١) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ص ١٥٩ ، هناك مخطوطة محفوظة بمكتبة المتحف البريطاني بلندن عنوانها ( عيون الرسائل الفاضلية ) تحت رقم . كما توجد مخطوطة أخرى في دار الكتب المصرية لابن نباته تحمل اسم ( مختارات من كلام القاضي الفاضل ) ، تحت رقم ( ٣٨٨٢ أدب . )

(٢) أنظر أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦١٦ - ٦٢٣ ، نظير حسان سعداوي ، المؤرخون المصرون لصلاح الدين ، ص ٣٧ حاشية .

(١)

حيث ولّاه الوزير ابن هبيرة النظر بالبصرة ثم واسط .

وما لبث العماد أن انتقل الى دمشق في أيام السلطان نور الدين محمود  
والتحق بالمدسة العمادية وهناك علم بنوجوده نجم الدين أيوب والد صلاح  
الدين ، فبادر بالسلام عليه وعرفه ابنه صلاح الدين . وعاد العماد بعد وفاة  
نور الدين الى العراق ، ومكث بها الى أن بلغه خروج صلاح الدين من مصر  
الى دمشق ، فعزم على العودة الى بلاد الشام .<sup>(٢)</sup> وهناك التقى العماد بالقاضي  
فقدمه لصلاح الدين . ومنذ ذلك الوقت لازم العماد صلاح الدين في السفر  
والحضر . وظل ملازما له حتى وفاته ، ووفاته صلاح الدين اختلفت أحوال  
العماد فلزم بيته بدمشق ، وأقبل على التأليف حتى وافته المنية فيها سنة  
<sup>(٣)</sup>  
٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م .<sup>(٤)</sup>

صنف العماد كتباً عديدة في التاريخ يهبط منها كتابان الأول : كتاب  
البرق الشامي والثاني كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي . ويقع الأول في  
سبعة مجلدات لم يعد موجوداً منها سوى الثالث والخامس .<sup>(٥)</sup>

- 
- (١) ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٥ ، ص ١٤٨ ، السبكي طبقات الشافعية ،  
ج ٦ ، ص ١٢٨ - ١٢٩ ، الباز المعري ، مؤرخو الحروب الصليبية ، ص  
٢٣٧ ، نظير سعداوي ، المرجع نفسه ، ص ١٩ - ٢٠ .  
(٢) ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٥ ، ص ١٤٨ ، السبكي ، طبقات الشافعية ،  
ج ٦ ، ص ١٨٩ ، نظير سعداوي ، المرجع نفسه ، ص ٢٠ .  
(٣) ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٥ ، ص ١٤٩ .  
(٤) أنظر سبط ابن الحوزي مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠ .  
(٥) المعري ، مسالك الابصار ، ج ٧ ، ورقة ٣٧٢ ، أنظر أيضاً نظير سعداوي  
المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين ، ص ٢١ - ٢٢ .  
(٦) ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٥ ، ص ١٥٢ ، السبكي ، طبقات الشافعية ،  
ج ٦ ، ص ١٨٠ ، نظير سعداوي ، المرجع نفسه ، ص ٢٣ .  
(٧) السيد الباز المعري ، مؤرخو الحروب الصليبية ، ص ٢٤٣ ، نظير حسان  
سعداوي ، المرجع نفسه ، ص ٢٤ .

استهل العماد حديثه في كتابه هذا بالحديث عن نفسه وتاريخ حياته ونشأته وما جرى له في خدمة السلطان نور الدين محمود ، وكيفية تعلقه بخدمة السلطان صلاح الدين ، وذكر شيئا من الفتوحات في الشام <sup>(١)</sup> وقد اختصر الفتح بن علي البنداري أحد مؤرخي القرن السابع الهجري هذا الكتاب وسماه سنا البرق الشامي . وقد أفاد هذا الكتاب البحث فائدة قيمة خاصة فيما يتعلق بالفترة الأولى من جهاد صلاح الدين ، تلك الفترة التي شملت مرحلة توحيد الجبهة الإسلامية استعدادا لجهاد الصليبيين .

أما كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي وهو الذي يهمننا بالدرجة الأولى فقد بدأ العماد تأليفه بعد وفاة صلاح الدين ، وتحدث فيه عن معركة حطين وفتح بيت المقدس وما تلا ذلك من صراع مع الصليبيين مثالا فيما عرّف بالحملة الصليبية الثالثة .

والواقع أن هذا الكتاب من المصادر الأصلية التي تناولت موضوع صلاح الدين واسترجاع بيت المقدس ، فقد تناول العماد في هذا الكتاب بالتفصيل تلك الجهود العظيمة التي بذلها صلاح الدين في الفترة الممتدة بين سنتي ٥٨٣ - ٥٨٩ هـ ، والتي تمكن صلاح الدين خلالها من ضرب الصليبيين ضربة قاصمة في حطين ، ثم استرجاعه بيت المقدس منهم ، وانتهاء محاولاتهم لاسترجاعه . وما يزيد المعلومات الواردة عن موضوع البحث في هذا الكتاب أهمية ، أن كتابات العماد الأصفهاني هذه أنها تصوير لما شاهده العماد نفسه في تلك

---

(١) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ١٥٠ ، نظير سعادوي ، المراجع نفسه ، ص ٢٤ .



### • الفترة الهامة من جهاد صلاح الدين •

وقد اتبع العماد في تأليف كتابه هذا أسلوبا مفايرا للأساليب التي اتبعها المؤرخون في المصور الوسطى ، فقد حرص العماد في هذا الكتاب على تدوين أعمال صلاح الدين في أسلوب ثري مسجوع يتطلب من الباحث التمعن والدقة حتى يتمكن من استخراج الحقائق التاريخية منه . وإذا تعمق القارئ في ذلك الأسلوب المسجوع فإنه يخرج منه بمعلومات توضح تلك الخطط السياسية والحربية التي اتبعها صلاح الدين أثناء جهوده لتصفية الوجود الصليبي من بلاد الشام •

ولا تقل أهمية عن ذلك كتابات المؤرخ ابن أبي طى وهو يحيى بن حامد أبو طى النجار بن ظافر بن على بن عبد الله الخسانى الحلبي ، ولد سنة ٥٧٥ هـ / ١١٨٠ م في مدينة حلب التي كان أبوه رئيسا لنقابة النجارين بها ، وأحد زعماء الشيعة بها • وشب يحيى في حلب يتلقى العلم عن أبيه وعن علماء حلب ، وصنف كثيرا من الكتب في الفقه وغيره ، ولا تعرف بالضبط سنة وفاته التي كانت بين ٦٢٥ و ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م •  
(١)

ومن أهم من تأليف ابن أبي طى كتابه ( كنز الموحدين في سيرة صلاح الدين ) وهو الذي أطلق عليه أبو شامة ( السيرة الصلاحية ) • ورتب ابن أبي طى تاريخه هذا حسب السنين ، وهي الطريقة الحولية الشائعة بين مؤرخى

---

(١) الباز السمريني ، مؤرخا الحروب الصليبية ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ ، نذير حسان سعداوى ، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين ص ٤ ، شاكر مصطفى ، التاريخ العربى والمؤرخون ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ •  
(٢) أنظر أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤١٥ •

العصور الوسطى • ويتميز أسلوبه بالسرد البسيط ، ويقترب من أسلوب ابن الأثير ،  
فهو موجز بعيد عن التكلف • (١) وروى ابن أبي طى عن والده • (٢) كما اعتمد على عدد  
من الوثائق منها رسائل القاضي الفاضل ، ومن مصادره أيضا كتابات ابن رزيق  
وابن أبي جراد ، جد المؤرخ ابن العديم والمظيعى وابن القلانسى والمماد  
الأصفهاني ، ومؤلف مجهول فى تاريخ مصر • (٣)

وكتاب السيرة الصلاحية يعتبر فى عداد الكتب التاريخية المفقودة ، واعتمد  
عليه المؤرخ أبو شامة فى كتابه ( الروضتين فى أخبار الدولتين ) اعتمادا كبيرا  
لما تضمنه من معلومات هامة عن صلاح الدين يد لنا على ذلك قول أبو شامة  
« وهذا الذى ذكرناه من قصة شاور وما جرى بسببه للخييار المصرية الى أن تمت  
وزارة صلاح الدين قد وجدته مبسوطا مشتملا على زيادات وفوائد فى كتاب  
الشيخ بن أبي طى فى السيرة الصلاحية ، فأحببت ذكره مختصرا » • (٤) ونقل عنه  
أبو شامة فى كثير من المواضع • • (٥)

وقد عنى تاريخ ابن أبي طى بسيرة صلاح الدين ، فأمدنا بمعلومات  
قيمة عن تاريخ صلاح الدين وجهوده فى توحيد الجبهة الاسلامية ، وحياء  
فكرة حركة الجهاد الاسلامى فى نفوس المسلمين ومن ثم استرداد بيت المقدس  
من الصليبيين • وقد ظهرت تلك الاستفادة واضحة فى كتاب الروضتين لأبو شامة ،

(١) نظير حسان سعداوى ، المؤرخون المماصرون لصلاح الدين ، ص ٢٠٤

شاكر مصطفى ، التاريخ العربى والمؤرخون ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ •

(٢) أنظر أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٢٥ •

(٣) شاكر مصطفى ، التاريخ العربى والمؤرخون ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ •

(٤) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤١٥ •

(٥) أنظر على سبيل المثال ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص

٥٣١ ، ٥٣٤ ، ٥٦١ ، ٥٨٨ ، ٦٣١ •

كما اعتمد على كتابات ابن أبي طي مؤرخون آخرون يعدون من المصادر الهامة لهذا البحث . ويصاب على معظمهم أنه لم يشر الى ذلك في كتاباته منهم ابن شداد ، صاحب الأعلام الخطيرة وابن عبد الظاهر وابن ميسروا بن المديم والذهبي والمقريزي وابن قاضي شهبه وغيرهم . ويبدو أن كتاب السيرة الصلاحية هذا ظل موجودا حتى القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي حين استخدمه ابن الفرات المتوفى سنة ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م . ثم اختفى ولم يبق منه الا ما نقل

(١)  
عنه .

ويعتبر كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري من أهم مصادر البحث  
والابن الأثير هو أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم  
الشياني ، المعروف بابن الأثير الجزري ، والملقب بعمز الدين . ولد سنة  
٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م بجزيرة ابن عمر الواقعة على نهر الفرات والتي كان والده يشغل  
وظيفة هامة بها ، ثم تحول ابن الأثير مع والده الى الموصل لخدمة الأمراء الزنكيين ،  
وهناك نشأ نشأة علمية ، وتعلم على علماء العصر . وحظى بمكانة سامية لدى أمير  
الموصل فاستخدمه في بعض المهام ، كما أوفده سفيرا الى أولى الأمر في بغداد .  
ثم رحل الى بلاد الشام وتدد على دمشق وحلب لطلب العلم . وسرع في كتابته  
التاريخ ، حتى اعتبر من أبرز المؤرخين المسلمين بعد الطبري ، ومؤلفاته تبرز  
ذلك . (٤)  
توفي في رمضان من سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م . (٥)

- (١) نظير حسان سعداوى ، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين ، ص ٤ ، شاكر مصطفى ، التاريخ العربى والمؤرخون ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ .
- (٢) السبكي ، طبقات الشافعية ، ج ٨ ، ص ٢٩٩ ، نظير سعداوى ، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين ، ص ٦ - ٧ ، سعيد عاشور ، بحوث ودراسات فى تاريخ المصنوع الوسطى ، ص ٣٩٣ - ٣٩٤ .
- (٣) سعيد عاشور ، بحوث ودراسات فى تاريخ المصنوع الوسطى ، ص ٣٩٤ .
- (٤) شارك مصطفى ، التاريخ العربى والمؤرخون ، ج ٢ ، ص ١١٢ .
- (٥) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ص ٣٤٩ ، السبكي ، طبقات الشافعية ، ج ٨ ، ص ٣٠٠ .

وكتاب الكامل في التاريخ يعتبر من المصادر الهامة لعصر صلاح الدين ،  
فقد استقى ابن الأثير معلوماته مما شاهد به بنفسه يد لنا على ذلك قوله عند حديثه  
عن معركة تل السلطان سنة ٥٧١ هـ « فأننى وقفت على جريدة العرض ، وترتيب  
المسكر للمصاف يمينة وميسرة وقلبا وجاليشيه وغير ذلك » . وكذا استقى كثيرا من  
الأخبار عن كبار رجال صلاح الدين وقادته يد لنا على ذلك قوله « فحكى لى الأفضل  
ولد صلاح الدين » . وقوله عند حديثه عن حصار صلاح الدين لمدينة الرها سنة  
٥٧٨ هـ « فحدثنى بعض من كان بها من الجند أنه عد فى غلاف رمح أربعة عشر  
خرقا وقد حرقته السهام » . ونقل ابن الأثير أيضا عن العماد الأصفهاني فى كتابه  
البرق الشامى وهو بهذا ينقل عن صدر موشوق ، وذلك لأن العماد اشتهر بملازمته  
صلاح الدين ، لهذا فان كتاباته عن صلاح الدين كانت عن قرب . وقد امتاز ابن  
الأثير فى كتابه الكامل بالدقة فى ايراد الاحصاءات عن عدد الجيوش فى المعارك  
وكذا لك احصاءه للأسرى وغيرهم .<sup>(٥)</sup>

والواقع أن ابن الأثير فى كتابه الكامل قد تناول بالتفصيل تاريخ صلاح  
الدين منذ خروجه مع عمه أسد الدين شيركوه الى مصر حتى آخر أيامه ، لذلك فهو  
من المصادر الأصلية التى تصور ما بذله صلاح الدين من جهود لتوحيد الجبهة  
الاسلامية ، وبث فكرة الجهاد الاسلامى فى نفوس المسلمين ، وكيف تمكن صلاح  
الدين بفضل تلك السياسية القائمة على الجهاد الاسلامى من استرداد بيت  
المقدس من أيدي الصليبيين ، وانهاء كل محاولاتهم لاستعادته من المسلمين .

- 
- (١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٢٩ .
  - (٢) أنظر ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٦ .
  - (٣) المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٤٨٣ .
  - (٤) أنظر ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٢٩ .
  - (٥) أنظر المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٤٨٢ .

ويلاحظ على ابن الأثير في كتابه الكامل تحامله على صلاح الدين وميلاته  
الواضح إلى البيت الزنكي ، فكثيراً ما صب اللوم على صلاح الدين الذي اشتهر  
بشهامته في معاملة الصليبيين . ويرى ابن الأثير في كتابه هذا أنه كان من الأفضل  
أن لا يفعل صلاح الدين ذلك وأن ذلك التسامح كان السبب الأكبر الذي سبب  
المتاعب للمسلمين بعد ذلك في صراعهم مع الصليبيين . ويظهر ذلك فيما ذكره  
عند حديثه عن حصار صلاح الدين لدمية صور سنة ٥٨٣ هـ ، وكذلك عند حديثه  
(١)  
عن حصار عكا سنة ٥٨٥ هـ .

ومنه يبدو لنا أن ابن الأثير في كتابه الكامل كان متحاملًا على صلاح الدين  
وأنه لم يستطع إخفاء حقه عليه في أكثر من موضع ، حيث كان يتلمس المناسبات  
لنمز صلاح الدين ونقده ، وذلك بحكم نشأته في الموصل موطن الزنكيين الذين كان  
يتحيز لهم . ونسى ابن الأثير أن تلك السياسة الحكيمة التي سار عليها صلاح الدين  
باتباعه مبدأ التسامح مع الصليبيين هي التي مكنته من السيطرة على المدن الساحلية  
في مدة لا تتجاوز الشهرين .

ويعتبر كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لابن شداد من أهم  
مصادر البحث . وابن شداد هو بهاء الدين أبي المحاسن يوسف بن رافع بن غنيم  
ابن غنيم بن غنية بن محمد بن عتاب الأسدي قاضي حلب المعروف بابن شداد ، توفي  
والده وهو صغير السن فنشأ عند أخواله بنى شداد فنسب إليهم . ولد بالموصل  
سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٥ م وحفظ القرآن في صغره وأخذ عن شيوخ الموصل ، ثم انحدر  
إلى بغداد بعد التأهل التام ونزل بالدرسة النظامية وعين فيها معيداً بعد وصوله

(١) أنظر ما يلي ص :

(٢) ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ١ ص ٢٢٣ ، حاشية ، سعيد عاشور ،  
الحركة الصليبية ، ج ٢ ص ٧٢٩

اليها بقليل ، واستمر بها نحو أربع سنين ثم عاد مرة أخرى الى الموصل وذلك سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م فرتب مدرسا بالدراسة التي أنشأها القاضي كمال الدين أبو الفضل محمد بن الشهرزورى .<sup>(١)</sup>

وسرعان ما اشتهر ابن شداد لدى الأمراء المواسلة بالحكمة وسداد الرأي فأوكلوا اليه عددا من المهام .<sup>(٢)</sup> وبقي بالعراق بعيدا عن صلاح الدين حتى سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨م وذلك أنه شد الرحال الى مكة فى سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م لقصد الحج ، وعزم فى طريق عودته على زيارة بيت المقدس الذى كان صلاح الدين آنذاك قد استرده من الصليبيين . فلما سمع صلاح الدين بقدمه أبدى رغبته فى مقابلته ، واجتمع به صلاح الدين فأكرمه وطلب منه أن يسمعه جزءا من الحديث ، فقرأ عليه بنفسه ، ثم جمع كتابه فى فضائل الجهاد وقدمه الى السلطان صلاح الدين ، وطلب صلاح الدين من ابن شداد البقاء معه ، ثم ولاه قضاء المسكر والحكم بالقدس الشريف ، ومنذ ذلك الوقت لازم ابن شداد صلاح الدين ولم يفارقه حتى وفاته .<sup>(٣)</sup> وبلغ الأمر بصلاح الدين أنه كان يفضى اليه بأمور لا يجب أن يطلع عليها أحدا .<sup>(٤)</sup> واستمر ابن شداد فى خدمة البيت الأيوبرى

(١) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٧ ص ٨٤ ، ٨٦ - ٨٧ ، السبكى ، طبقات الشافعية ، ج ٨ ص ٣٤٠ ، والقاضى كمال الدين الشهرزورى هو ابو الفضل محمد بن ابى محمد عبد الله بن أبى احمد القاسم الشهرزورى ، كان فقيها أدبيا شاعرا تولى القضاء فى الموصل ودمشق وحماه وحصى . توفى سنة ٥٧٢هـ بدمشق ( أنظر ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٤ ص ٢٤١ - ٢٤٤ ، ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ص ٣٤٠ .

(٢) أنظر ما يلى ، ص

(٣) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٧ ص ٨٨ ، السبكى ، طبقات الشافعية ، ج ٨ ص ٣٦١ ، ابن شداد ، النوادر السلطانية ، مقدمة الشيال ، ص ١ - ٤ ، الباز المرينى ، مؤرخو الحروب الصليبية ، ص ٢٠٠ ، نظير حسان سعداوى ،

المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين ، ص ١٥ - ١٦ .

(٤) أنظر ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢٣٥ .

(١)

الى أن توفى سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٤ •

ولابن شداد عدد من المؤلفات التاريخية يهنا منها كتابه النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية الذي أمد البحث بمعلومات في غاية الأهمية لأنه دون فيه بأسلوب متمتع حياة صلاح الدين شارحا خططه السياسية والعسكرية ومكارمه الأخلاقية • ويمكن تقسيم المعلومات التي تتضمنها هذا الكتاب الى قسمين : القسم الأول يشمل الفترة الأولى من حياة صلاح الدين حتى سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م • وقد بدأها ابن شداد بحدث مفصل عن مولد صلاح الدين ونشأته وخصائمه وأخلاقه وشماله • وهي الفترة التي سبقت مجيئه الى بلاد الشام • وقد اعتمد ابن شداد في تدوين معلوماته عنها على ثقافته • أما القسم الثاني فيشمل الأحداث في هذه السنة وما بعدها • وقد اعتمد في تدوينها على ما شاهد به بنفسه • يدلنا على ذلك ما ذكره ابن شداد نفسه من أنه خدم صلاح الدين من ستهل جمادى الأولى سنة ٥٨٤ هـ • وأن جميع ما أورده من معلومات عن الأحداث السابقة لذلك قد استقاه ممن يثق به ممن شاهد تلك الأحداث • ومنذ ذلك التاريخ لم يدون الا ما شاهد به بنفسه أو أخبره به من الثقة خبرا يقارب الميان • وبالرغم من أنه قد اعتبر القسم الأول من هذا الكتاب الذي يشمل الفترة الواقعة بين سنتي ٥٦٥ هـ - ٥٨٤ هـ / ١١٦٩ - ١١٨٨ م مصدرا ثانويا لا يخلو من الخطأ عن تفاصيل الحقيقة والتاريخ • فانه يبدو أن ذلك القول قد جانبه الصواب (٤)

(١) ابن خلكان • وفیات الاعيان • ج ٧ ص • البار الصرينى • مؤرخو

الحروب الصليبية • ص ٢٠١ - ٢٠٢ •

(٢) ابن شداد • النوادر السلطانية • مقدمة الشيال •

(٣) ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ٧١ • دبير حسان سعداوى • المؤرخو

المعاصرون لصلاح الدين • ص ١٨ •

(٤) أنظر البار الصرينى • مؤرخو الحروب الصليبية • ص ٢٠٤ •

بدليل أن ابن شداد لم يكتف بمجرد السماح فيما أورد من معلومات عن تلك الفترة بل قام بتحقيق ما سمعه وودونه عن تلك الفترة .<sup>(١)</sup> فضلا عن رجوع ابن شداد إلى صلاح الدين نفسه عند تدوينه لأحداث تلك الفترة التي لم يتمكن من مشاهدتها ، بدليل قول ابن شداد عند حديثه عن حملات أسد الدين شيركوه على مصر  
« ولقد قال لي السلطان قدس الله روحه كتب أكره الناس للخروج في هذه الدفعة »<sup>(٢)</sup>

أما الفترة الأخيرة من حياة صلاح الدين ، التي كان ابن شداد فيها قد اتصل بخدمته ، فإن أدلة كثيرة تدل على أن ما كتبه ابن شداد كان تعبيرا عن مشاهداته الشخصية للأحداث وذلك بحكم مشاركته صلاح الدين أحداث تلك الفترة .<sup>(٣)</sup> وعليه يمكن القول بأن كتاب ابن شداد ( النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ) يعد مصدرا أصليا أمدا بمعلومات قيمة عما بذله صلاح الدين من جهود عظيمة مكنته من استرداد بيت المقدس من أيدي الصليبيين . وأنه في القسم الأخير من كتابه هذا الذي يشمل أحداث سنة ٥٨٤ هـ وما بعدها قد أعطى تلك الجهود تفصيلا واسعا وذلك بحكم مشاهداته لأحداث تلك الفترة ، وبخاصة حديثه عن مجيء الحملة الصليبية الثالثة إلى بلاد الشام وفشلها في استعادة بيت المقدس من المسلمين .

أما عن المجموعة الثانية لمصادر الرسالة فهي مؤلفات لمؤرخين عاشوا بعد عصر صلاح الدين غير أنهم نقلوا عن مؤرخين معاصرين . ويأتي في مقدمة هؤلاء

- 
- (١) أنظر ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢٨ ، نظير حسان سعداوى ، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين ، ص ١٨ .  
(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٣٩ .  
(٣) أنظر على سبيل المثال ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ، ٢٣٥ .



كتابات المؤرخ شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسى  
الدمشقي ، المعروف بأبي شامة الذى ولد سنة ٥٩٩ هـ ، ونبغ فى العلم حتى  
صار من كبار رجال الفقه والحديث والنحو واللغة والتاريخ وتوفى مقتولا فى منزله  
(١)  
سنة ٥٦٥ هـ / ١٢٦٨ م .

ألف أبو شامة الى جانب كتب الدين واللغة ، كتباً فى التاريخ يهمنها  
منها ، كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين ، وقصد به دولة نور الدين وصلاح  
الدين . ويمتاز هذا الكتاب بشهرة عظيمة وذلك لاعتماده على مصادر رضائية  
لمؤرخين معاصرين لصلاح الدين ، مثل كتاب العماد الأصفهاني البرق الشامى  
وكتاب ابن أبى طى السيرة الصلاحية ، فضلا عن اعتماده على وثائق كثيرة يأتى بها  
فى مواضعها لتوثيق تاريخه .

وكتاب ( أبو شامة ) هذا لا يقل أهمية عن المصادر المعاصرة لصلاح  
الدين ، فقد أمد موضوع البحث بمعلومات قيمة ، وذلك لأنه اعتمد فى تدوين  
معلوماته على المصادر الأساسية لمصر صلاح الدين ، اذ استعرض أبو شامة آراء  
المؤرخين أمثال العماد وابن شداد ، وابن الأثير والقاضى الفاضل وابن أبى طى  
وغيرهم ، لوضع القارئ أمام الحقيقة الواضحة .

وبلى ذلك كتاب مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى المتوفى سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٧ م ،  
وهو أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزوا غلو بن عبد الله التركى المعونى البغدادى ،  
وجده ، لأمه الحافظ ابن الجوزى تلقى سبط ابن الجوزى العلم فى بغداد والموصل ودمشق

(١) السبكى ، طبقات الشافعية ، ج ٨ ، ص ١٦٧ ، شاكر مصطفى ، التاريخ العربى  
والمؤرخون ج ٢ ، ص ٢٦٦ .

وزار مصر ، فنبخ في الحديث والفقه والتفسير والتاريخ . ويهمننا من مؤلفاته —  
التاريخية كتابه مرآة الزمان في وفيات الفضلاء والأعيان ، وهو تاريخ عام رتبته على  
أساس حولى وقد تناول بالحديث في الجزء الثامن منه ، ما بذله صلاح الدين  
من جهود مكثفة من استعادة بيت المقدس من أيدي الصليبيين .<sup>(١)</sup>

والواقع أن هذا الكتاب يعد من المصادر الهامة التي تناولت البحث  
عن صلاح الدين واسترداد بيت المقدس ، وذلك لاعتقاده على مصادر معاصرة  
لمصر صلاح الدين كابن شداد ، وكذلك جده ابن الجوزى صاحب المنتظم ،  
وابن الأثير وغيرهم . ويؤخذ على سبط ابن الجوزى أنه — على ما يبدو — قد تأثر  
بابن الأثير في تحامله على صلاح الدين يد لنا على ذلك ما ذكره سبط عند حديثه  
عن حصار صلاح الدين لمدينة صور .<sup>(٢)</sup>

ويهمننا أيضا كتاب مضمار الحقائق وسر الخلائق لمؤرخ من البيت الأيوبي  
اسمه أبو المعالي محمد بن عبد الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن  
أيوب المعروف بابن شاهنشاه الأيوبي المتوفى سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م . ويقع  
كتابه هذا في عشرة مجلدات ، فقد معظمها ، ولم يبق منه سوى جزء قليل ويعد  
هذا القسم من المصادر الهامة التي أمدتنا بمعلومات طيبة عن جهاد صلاح الدين

- 
- (١) طبع هذا الجزء من كتاب مرآة الزمان في مطبعة حيدرآباد بالهند ، أما  
بقية الكتاب فلا يزال مخطوطا ، وتوجد أجزاء منه في مكتبة أحمد الثالث  
بإستانبول تحت رقم ( ٢٩٠٧ ) .  
(٢) أنظر سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ص ٢٧١ و ٢٩٣ و ٣٢٢ .  
(٣) أنظر ما يلي ، ص .  
(٤) أبو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص ١٢٤ ، شاكر مصطفى التاريخ  
العربي والمؤرخون ، ج ٢ ص ٢٤٩ .

لتصفية المدوان الصليبي من بلاد الشام • ويعتبر كتاب مفرج الكروب فى أخبار  
بنى أيوب لابن واصل للقاضى جمال الدين محمد المتوفى سنة ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م  
من أهم المصادر التى تناولت بالبحث عصر صلاح الدين • فقد أمدنا هذا  
الكتاب بمعلومات قيمة عن جهود صلاح الدين لاسترداد بيت المقدس من أيدي  
الصليبيين ، وخاصة الجزء الثانى منه الذى تناول فيه ابن واصل بالتفصيل وفى  
أسلوب متقن خطط صلاح الدين السياسية والعسكرية القائمة على أحياء فكرة  
الجهاد الاسلامى ، تلك الفكرة التى تمكن بفضلها من تطهير بيت المقدس من  
برائى الصليبيين • واعتمد ابن واصل فى تدوين معلوماته فى هذا الكتاب على  
النقل عن مؤرخين معاصرين لصلاح الدين أمثال ابن شداد ، وابن الأثير  
والعماد الأصفهاني وغيرهم • (١) كما نقل ابن واصل عن أمير يدعى حسام الدين على  
وهذا الأخير كان يستقى معلوماته عن جده الذى كان فى خدمة صلاح الدين • (٢)

ومن المصادر الهامة لموضوع الرسالة كتاب ( نهاية الأرب فى فنون الأدب )  
لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى المتوفى سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣١م •  
وقد أمد الجزء السادس والمصنوع من نهاية الأرب موضوع الرسالة بمعلومات  
تاريخية قيمة • وكتاب ( الدر المطلب فى أخبار بنى أيوب ) لابن أيك الدوادارى  
المتوفى سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٢م • وتناول ابن أيك فى هذا الكتاب جهود  
صلاح الدين لاسترداد بيت المقدس • كما تعتبر مؤلفات المؤرخ الكبير أحمد بن  
على المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥هـ / ١٤٤١م من أهم المصادر التى تناولت

(١) أنظر ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥٩ ، ١٧٠ ، ١٧٨ •

(٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٢٤٨ •

(٣) مخطوط مصور بدار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ٥٤٩ ، معارف عامة •

موضوع البحث ، وخاصة كتاب ( اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء )  
 وكتاب ( اغاثة الأمة بكشف الغمة ) ، وكتاب ( السلوك لمعرفة دول الملوك ) ،  
 وكتاب ( الخطط ) التى أفادت موضوع البحث عن جهود صلاح الدين لاسترداد  
 بيت المقدس بمعلومات تاريخية قيمة . ولا يقل أهمية عن ذلك كتاب الممـ  
 الحنبلى ، الذى أسماه ( شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب )<sup>(١)</sup> الذى أفاد البحث  
 بمعلومات فى غاية الأهمية ، وكتاب ( البروض المهضوب فى دولة أيوب )<sup>(٢)</sup>  
 لابن سعيد الذى أمدنا بمعلومات طيبة عن موضوع الرسالة . وكتاب ( تاريخ ابن  
 أبى الهيجاء )<sup>(٣)</sup> لابن أبى الهيجاء نفسه ، وهومبارة عن تاريخ عام أمد البحث  
 بمعلومات طيبة .

أما بالنسبة لفصول الرسالة ، فقد تناول الفصل الأول وعنوانه ( صلاح  
 الدين وتوحيد الجبهة الإسلامية ) ضعف النفوذ الفاطمى فى مصر بسبب المشاكل  
 الداخلية وانتشار الأوبئة والمجاعات ، ومن ثم استغلال ذلك الضعف الذى  
 حل بالدولة الفاطمية من جانب نور الدين محمود الذى أخذ يواصل جهـ  
 والده عماد الدين زنكى لإقامة جبهة إسلامية موحدة . وأوضحت الدراسة كيف  
 تمكنت جيوشه التى دخلت مصر تحت قيادة أسد الدين شيركوه من فرض السيادة  
 على مصر وتولى أسد الدين شيركوه الوزارة المصرية ، وما أعقب وفاة أسد الدين  
 من تولى صلاح الدين الوزارة المصرية والتكهن لنفسه هناك ، واخماد الفتن التى  
 ظهرت ضده . كما أوضحت الدراسة ما حدث بعد وفاة نور الدين محمود من

(١) مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٣٤٠٣١ .

(٢) مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٢٧١٢ تاريخ .

(٣) مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت رقم

اختلاف في البيت الزنكي ومن ثم تفكير صلاح الدين في القضاء على تلك الخلافات التي نشأت بين الأمراء بسبب تنافسهم على الفوز بالوصاية على الملك الصفيير الصالح اسماعيل . فخرج صلاح الدين من مصر الى الشام ، وتمكن من انهاء تلك الخلافات بالسيطرة على المدن الشامية الهامة ، كما فرض سيطرته على مدن اقليم الجزيرة والموصل محققا بذلك اتمام مشروع الجبهة الاسلامية الذي ضم مصر وبلاد الشام ومعظم اراضي العراق ، فضلا عن الحجاز واليمن .

أما الفصل الثاني وعنوانه ( جيش صلاح الدين وتنظيماته الحربية ) فقد تناول بالشرح كيف تمكن صلاح الدين من احياء فكرة الجهاد الاسلامي في نفوس المسلمين ، ومن ثم تفكيره في تكوين جيش كبير منظم ، قام على أساس اقطاعي كفل لصلاح الدين توفير كافقلاحتياجات له ولجيشه من مؤن وعتاد وأسلحة ، فضلا عن كون هذا النظام الاقطاعي قد كفى صلاح الدين دفع رواتب لجيشه . كما تناول هذا الفصل بالدراسة ديوان الجيش الصلاحي الذي كان بمثابة الجهاز التنظيمي لنظام الاقطاع الحربي ، وكذلك عناصر الجيش الصلاحي الذي كان يتكون من الجيش السلطاني ، وجند الامراء ، وفرق الجند المتطوعة . كما عالج هذا الفصل أساليب القتال التي اتبعها صلاح الدين في جهاده ضد الصليبيين ، وكذلك أنواع الأسلحة التي استخدمت في ذلك . وأخيرا تناولت الدراسة في هذا الفصل دور صلاح الدين في إعادة بناء الأسطول الاسلامي منذ بداية حكمه ، وما أسهم به الأسطول من مجهود وافر في تحقيق النصر على الصليبيين باسترجاع بيت المقدس منهم .

وناقش الفصل الثالث وموضوعه ( معركة حطين مقدمة لاسترداد بيت المقدس ) ما سبق معركة حطين نفسها من مقدمات متمثلة في انتصاره في معركة

من العميون سنة ٥٢٥ هـ ، وأطاراته على مدن الساحل الشامي لمحاولة عزل  
 مملكة بيت المقدس عن الغرب الأوربي . كما تناول الفصل فشل غارة أرناط صاحب  
 الكرك على ساحل البحر الأحمر ، واستعدادات صلاح الدين المسكر لمعركة  
 حطين ، تلك الاستعدادات التي شملت ضمان وصول الامدادات الى أرض  
 المعركة ، فضلا عن ادخال الخلل والفرقة بين صفوف الصليبيين لضعفهم .  
 وأخيرا تناولت الدراسة في هذا الفصل تلك التنظيمات العسكرية التي اتبعتها  
 صلاح الدين عند اشتباكه مع الصليبيين في صفورية وحطين ، والتي أدت الى  
 تحقيقه ذلك الانتصار الحاسم على الصليبيين مما ترتب عليه من نتائج عظيمة .  
 كان أهمها تلك الخسائر المادية والمعنوية التي منى بها الصليبيون .

وتناول الفصل الرابع وعنوانه ( حصار واسترداد بيت المقدس ) أحوال  
 مملكة بيت المقدس عقب معركة حطين ، التي باتت مفتقرة الى القادة والفرسان  
 فضلا عن عزلها عن الغرب الأوربي والامارات الصليبية ببلاد الشام بسبب سيطرة  
 صلاح الدين على مدن الساحل الشامي عقب انتصاره في حطين مباشرة . كما  
 ناقش هذا الفصل ما قام به القادة الصليبيون من استعدادات عسكرية داخل  
 بيت المقدس لمواجهة الهجوم الاسلامي ، وكذلك خطة صلاح الدين العسكرية  
 لفتح بيت المقدس التي شملت جمع الحشود العسكرية ، وأدوات الحصار ، وكذلك  
 اختيار المكان والزمان الملائم للهجوم على بيت المقدس ، وكيفية استسلام بيت  
 المقدس بعد أن شمر الصليبيون بعدم قدرتهم على مقاومة الهجوم الاسلامي .  
 كما أوضحت الدراسة في هذا الفصل ما أبداه صلاح الدين عند دخوله بيت  
 المقدس من تسامح منقطع النظير في معاملته لأسرى الصليبيين واحترامه لمشاعرهم .  
 وأنه لتسامحه وشهامته لم يتأثر بها المسلمون بالصليبيون بالمسلمين عند دخولهم بيت

المقدس • وأوضحت الدراسة أيضا مدى استرجاع بيت المقدس في العالم الاسلامي حين أرسل صلاح الدين البشائر باسترجاعه الى كافة ديار الاسلام حيث عبر ملوكه وأمراؤه عن مشاعرهم برسائل الوفود والرسائل ، لتهنئة صلاح الدين بذلك الفتح العظيم • كما تناولت الدراسة ما قام به صلاح الدين بعد دخول بيت المقدس من ازالة ما استحدثه الصليبيون فيه ، وكذلك ما قام به من تطهيره المسجد الأقصى من شعارات صليبية • وأخيرا تناولت الدراسة في هذا الفصل أهمية استرجاع بيت المقدس بالنسبة لصلاح الدين نفسه ومكانته بـ بين أبطال المسلمين ، فضلا عن أهمية ذلك بالنسبة لحركة الجهاد الاسلامي عامة و ضد الصليبيين خاصة •

أما الفصل الخامس والأخير فقد ناقش موضوع ( فشل الحملة الصليبية الثالثة في استرجاع بيت المقدس ) حيث تناول بشيء من التفصيل آثار وأصداء استرجاع صلاح الدين لبيت المقدس في الحرب الأوربي وما ترتب على ذلك من جهود صليبية أدت الى دفع القادة الأوربيين الى تسيير حملة صليبية الى بلاد الشام لمساعدة فلول الصليبيين التي تجمعت داخل مدينة صور محفولة لاستعادة بيت المقدس من المسلمين • فناقش هذا الفصل طرق سير هذه الحملة وقادتها ، وما حل بجيوش هذه الحملة من كوارث وصعاب أثناء سيرها الى بلاد الشام ، وكذلك ما حل بها من خسائر من جراء صراعها المرير مع الجيوش الاسلامية ، ومن ثم كيفية تمكنها من دخول عكا • كما عالج هذا الفصل عجز الصليبيين عن فرض سيادتهم على المدن الساحلية الواقعة جنوب عكا وكذلك أحداث معركة ارسوف وما ترتب عليها من فشل ريتشارد قلب الاسد في استرجاع بيت المقدس • وأخيرا أوضحت الدراسة انتصار المسلمين بالفشل مهمة الحملة الصليبية الثالثة التي

انتهت بحقد صلح الرملة ، الذى يعد فى حد ذاته نصرا للمسلمين لما ترتب عليه  
من عودة تلك الجموع الصليبية الى بلادها خائبة خاسرة •

ومن الواجب فى هذا المقام أن أتقدم بخالص شكرى وتقديرى واعترافى  
بالجميل الى أستاذى الفاضل المشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور / حسين  
محمد ربيع الذى لم يخل على طيلة مدة البحث بغزير علمه ، ووافر توجيهاته  
وارشاداته العلمية السديدة • جزاه الله عنى وعن طلابه وطالباته خير الجزاء •  
كما لا يفوتنى أن أتقدم بخالص شكرى الى المسئولين فى مكتبة جامعة أم القرى  
بمكة المكرمة ومكتبة الحرم المكى الشريف ، ومكتبة جامعة الملك عبدالعزيز بجده ،  
و دار الكتب المصرية ومكتبة جامعة القاهرة ومعهد المخطوطات العربية بالقاهرة ،  
والمكتبة الظاهرية بدمشق ، ومكتبات أحمد الثالث والسليمانية ونور عثمانية  
وفاتح وكوبرلى باستانبول لما قدموه من مساعدات قيمة •

والله أسأله العون والسداد ، انه نعم المولى ونعم النصير وآخر  
دعواهم أن الحمد لله رب العالمين •

وصلى الله على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

كتـــــيرا •



# الفصل الأول

## صلاح الدين وتوحيد الجبهة الإسلامية

- قضاء صلاح الدين على الخلافة الفاطمية في مصر سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م
- دخول صلاح الدين دمشق سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م
- نزاع صلاح الدين مع الزنكيين: معركة قرون عمّاه ، معركة تل السلطان .
- استيلاء صلاح الدين على مدن إقليمي الجزيرة سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م
- استيلاء صلاح الدين على حلب سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م
- الموصل تدعى بالولاء لصلاح الدين سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م

## الفصل الأول

### صلاح الدين وتوحيد الجبهة الإسلامية

قضاء صلاح الدين على الخلافة الفاطمية في مصر سنة ٥٦٧ هـ :

تأسست الخلافة الفاطمية الشيعية سنة ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م ، حينما أخذت البيعة لمبيد الله المهدي في مدينة سجلماسة بأفريقية . ثم انتقلت الخلافة الفاطمية الى مصر سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م ، حيث أسست مدينة القاهرة لتكون عاصمة لهذه الخلافة التي وقفت موقف المعارض والمناوئ من الخلافة العباسية السنية في بغداد . على أن الضعف ما لبث أن دب في جسم الخلافة الفاطمية منذ أواخر عهد الخليفة المستنصر ( ٤٢٧ - ٤٧٨ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٩٤ م ) لأسباب كثيرة منها داخلي وبعضها خارجي إذ أخذ نفوذ الوزراء في الازدياد منذ أواخر عهده ، وبدأ ذلك باستئثار الوزير بدر الجمالي بالسلطة دون الخليفة ، وتغالي ابنه الأفضل في اغتصاب حقوقه اذا قدم بعد وفاة الخليفة المستنصر على ابعاد ابنه نزار ولي عهده وأكبر أبناءه عن العرش ، وأقام مكانه أخاه الصغير أبا القاسم أحمد الذي لقب بالمستعلي بالله ليتمكن من التصرف في شئون الدولة . وقد أدى قضاء نزار عن الخلافة رغم أحقيته لها الى اضطراب الأمور في بعض البلاد المصرية ، وخاصة الاسكندرية التي خرج أهلها عن طاعة المستعلي وأعلنوا ولاءهم لنزار الذي قدم اليهم مع أحد اخوته ، فبايعوه بالخلافة

---

(١) المقريزي ، اتماظ الحنفاء ، ج ٣ ص ١٢ - ١٣ ؛ أنظر جمال الدين سوير ، الدولة الفاطمية ص ١٦٣ .

ولقبوه بالمصطفى لدين الله - الأمر الذي أثار الأفضل بن بدر الجمالي ، فسار  
الى الاسكندرية على رأس حملة كبيرة . وهناك دارت معركة بينه وبين والى الاسكندرية  
ناصر الدولة أفتكين . الذى وعده نزار بالوزارة ان ظفر هو بالخلافة . واسطاع  
والى الاسكندرية هزيمة الأفضل وارجاعه الى القاهرة ، الا أن الأفضل لم ييأس  
من ذلك فأعد حملة جديدة فى أوائل سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م وسار الى الاسكندرية  
للمرة الثانية ، وفرض عليها حصارا قويا ، اضطر على اثره كل من أفتكين ونزار  
الى طلب الامان ، فأمنهما الأفضل ثم أمر بانفاذهما الى القاهرة حيث نكل بهما .<sup>(١)</sup>

وبالقضاء على تلك المحاولة التى قام بها نزار لاستماد بالخلافة لنفسه ،  
تمكن الأفضل بن بدر الجمالي من القبض على شئون الحكم فى البلاد ، واستبد  
بالأمور دون المستمل ، وبذلك دخلت مصر عهد نفوذ الوزراء . وأصبح الوزير  
يتمتع بالسلطة الكاملة فى مصر ، فهو صاحب الحل والعقد ، واليه الحكم فى جميع  
الامراء والاجناد والقضاة والكتاب وسائر الرعية ، وهو الذى يتولى توزيع المناصب  
الديوانية والدينية .<sup>(٢)</sup>

ونتيجة لذلك ، أصبح منصب الوزارة فى مصر مجالا للتنافس بين كبار  
الرجال - الذين أخذوا يتعاقبون عليه بصورة غير معقولة . ففى سنة  
٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م تولى الخلافة الفاطمية الخليفة الظافر بأعداء الله ، بعد  
وفاة والده الحافظ ، وقالك بعهد منه . حدث هذا فى وقت كانت هذه الدولة<sup>(٣)</sup>

(١) المقرئى ، اتماظ الحنفاء ، ج ٣ ، ص ١٤ ، جمال الدين سرور ، الدولة  
الفاطمية ، ص ١١٤ .

(٢) المقرئى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٤٤٠ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٤٢ ، ابن خلدون ، المبره ، ج ٤ ، ص  
٧٤ ، ابن ظافر الأزدى ، أخبار الدول المنقطعة ، ص ١٠٢ .

تسير من سيء الى أسوأ ، بسبب استبداد الوزراء بآدارة دقة الخلافة ، وتنافسهم في ذلك . ففي خلافتا لظاهر ، التي لم تدم أكثر من أربع سنوات وسبعة أشهر تعاقب على منصب الوزارة ثلاثة وزراء كان أولهم نجم الدين بن مهال الملقب بالأفضل الذي لم تدم وزارته أكثر من خمسين يوما ، اذ خرج عليه <sup>(١)</sup> الى الاسكندرية ابن السلار ومعه ابن لزوجته يدعى عباس بن أبي الفتوح الصنهاجي . ولم يستطع ابن مهال مقاومتها ، بل هرب الى بلدة بصعيد مصر يقال لها د لاس وذلك في شعبان من سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م . ولم يكتف ابن السلار بهذا ، بل بعث عباسا المذكور ، يتعقبه حتى أدركه بهذه البلدة وقتله . <sup>(٢)</sup> ودخل ابن السلار بعد ذلك القاهرة ، وتولى وزارة الظاهر ، فلقبه الخليفة بالعدل أمير الجيوش ، فقام بأمر الدولة ، واستبد بها . <sup>(٣)</sup> الأمر الذي أشار حقد الخليفة عليه ، وحفزه الى تدبير مؤامرة أدت الى الاطاحة به ، وذلك بمساعدة عباس الصنهاجي ربيب ابن السلار الذي أخذ بدوره يتحين الفرص للفتك به كي يتولى أمر الوزارة من بعده . وهنا يبدو لنا مدى ما وصلت اليه <sup>(٤)</sup>

- 
- (١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ص ١٤٢ ، وابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٣ ص ٤١٦ - ٤١٧ ، وابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ، ص ١٠٦ - ١٠٧ ، أما ابن خلدون فيذكر في العبر ، ج ٤ ص ٧٤ ، انها استمرت أربعين يوما فقط ، وابن مهال هذا هو من أهل ( لك ) بضم اللام ، وتشديد الكاف وهي بلدة عند برقة ( ابن خلكان ، المصدر نفسه ) .
- (٢) هو ابو الفضل عباس بن أبي الفتوح بن يحيى بن تميم بن باديس الصنهاجي ، قدم من أفريقية الى الديار المصرية ، ومعه والدته ( بالآره ) فتزوجها ابن السلار ( أنظر ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٣ ص ٤١٧ ) .
- (٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ص ١٤٢ ، وابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ص ٧٤ ، وابن ظافر ، الازدى أخبار الدول المنقطعة ، ص ١٠٧ .
- (٤) ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٣ ص ٤١٦ .
- (٥) ابن القلائس ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٢٠ .

الخلافة الفاطمية من ضعف بلغ بها حد تدخل الخلفاء أنفسهم في مساعدة الرجال الطامعين في منصب الوزارة مهما كلف ذلك من غدر وخيانة وتدبير مؤامرات ، وكان لسان حالهم يقول « الخلافة في مصر لمن غلب » (١) .

لم يكن عباس الصنهاجى عند توليه الوزارة أحسن حالا من سابقه ، إذ استبد بالأمور وسيرها على هواه ، فسقطت عقولان في أيدي الصليبيين ، واقتطع نور الدين محمود الذي كانت حلب قاعدة حكمه في ذلك الوقت دمشق من مجير الدين آبق . الأمر الذي جعل الخليفة الظافر يتدبر منه ، فلجأ إلى الأسلوب المعتاد ، وهو تدبير المؤامرات . وعند هذه المرة إلى الاستمالة بابن عباس نفسه ، ووعد توليته الوزارة ، إلا أن عباسا أطلع على المؤامرة وأدرك أنه لا سبيل إلى بقاءه إلا بالقضاء على الخليفة الظافر ، ففتك به في سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م . ودخل عباس القصر متظاهرا بالسلام على الخليفة ، فلما لم يجده ، أنب من في القصر على ذلك ، وأحضر أخوين للخليفة هما يوسف ، وجبريل ، وأتهمهما بقتل أخيهما ، فقتلا في الحال . ثم أحضر عباس ابنا صغيرا للظافر اسمه عيسى لم يكن وقتذاك قد تجاوز خمس السنين وأجلسه على كرسى الخلافة خلفا لوالده المقتول مسندا إليه لقب الفائز بنصر الله . (٢)

- 
- (١) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٢٧ ، وأنظر أيضا ، الحنبلى شفا القلوب ، ورقة ٥ .
- (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٤٢ .
- (٣) أسامة بن منقذ ، كتاب الاعتبار ، ص ١٩ - ٢٠ ، وأبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٢٨ .
- (٤) أسامة بن منقذ ، كتاب الاعتبار ، ص ٢١ ، وابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٩٢ .
- (٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٩٢ ، وابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٢ ، ص ٢٣١ .

وإذا كان الوزير عباس قد حقق أماله ، باقامة خليفة عاجز ، ليقى بذلك  
 وزيرا ، فان فعلته تلك ، التي أدمت قلوب أهل القصر ، لم تغب عن أذهانهم ،  
 بل سارعوا الى التفكير في الانتقام منه ، ولجأوا الى الاستجداد بأبي الفرات  
 طلائع بن رزك والى منية بنى خصب في صعيد مصر ، فسارع ابن رزك الى  
 نجدتهم . أما عباس فقد وجد أن الامراء في القاهرة غاضبون عليه ، وابن رزك  
 قادم ، وأنه لا قبل له بذلك ، فأخذ يتأهب للنجاة بنفسه ، فهرب ومعه ابنه  
 نصر ، وأسامة ابن منقذ متجها الى بلاد الشام ، قاصدا الاستجداد بالملك  
 المعادل نور الدين محمود . لكنه لما ان اقترب من عسقلان حتى لقيه خيالة  
 الصليبيين ، ودارت بينهما معركة حامية ، وقتل الصليبيون عباسا وأسروا ابنه ،  
 فأرسل الصالح بن رزك وأهل القصر الهدايا يبالغون تسليم ابن عباس لهم .  
 (٣)

ومهما يكن من أمر ، فانه بمجرد خروج العباس وابنه من القاهرة ،  
 سارع ابن رزك الى دخولها ، فخلع عليه الخليفة الفائز الفاطمي خلع الوزارة ،  
 ولقبه بالملك الصالح . وكعادة من سبقه لم يكد يأمن بكرسى الوزارة ، حتى  
 اتبع أسلوب الاستجداد وحب البقاء ، فعمل على تصفية كل من يشك في إخلاصه .

- 
- (١) أسامة بن منقذ ، كتاب الاعتبار ، ص ٢٤ ، ابن القلائس ، ذيل تاريخ دمشق ،  
 ص ٣٣٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٩٣ .  
 (٢) أسامة بن منقذ ، كتاب الاعتبار ، ص ٢٣ ، ابن القلائس ، ذيل تاريخ دمشق ،  
 ص ٣٣٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٩٢ ، أبو الفداء ، المختصر  
 في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٢٨ .  
 (٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٩٣ ، أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ،  
 ج ٣ ، ص ٢٨ .  
 (٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٩٣ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،  
 ج ٢ ، ص ٥٢٦ .

له ، فقبض على أصحاب البيوت الكبار وأعيان الدولة المصرية ، فقتل بعضهم ،  
(١)  
وأبعد البعض الآخر عن مصر .

والواقع أن أسلوب الاستبداد لم يبق بالصالح بن رزك عند هذا الحد  
بل تعدى ذلك إلى التدخل في شؤون الخليفة نفسه ، فعند وفاة الخليفة  
الفائز سنة ٥٥٥ هـ / ١١٥٩ م أحضر أهل القصر شخصاً راشداً صالحاً للخلافة  
فتدخل خواصه ونصحوه بإبعاده ، فاستجاب لنصيحهم ، وطلب إحضار الماضد  
لدين الله الذي وصفه ابن الأثير بأن كان مراهقاً ، قارب البلوغ ، وبايعه  
بالخلافة . ولكي يحكم قبضته على الخليفة الماضد ، أقدم ابن رزك على تزويجه  
من ابنته ، فأصبح يذبح وزيره وصهره .  
(٢)  
(٣)  
ويبدو من ذلك أن الصالح بن رزك ،  
ربما قصد بذلك أن تنجب ابنته ابناً من الخليفة الماضد يكون بعده خليفة ،  
(٤)  
فتجتمع لبنى رزك الخلافة مع الملك .

لم ترق سياسة الصالح هذه لأهل القصر ، وعلى رأسهم الخليفة الماضد  
نفسه ، الأمر الذي دعاهم إلى التفكير في التخلص منه وقتله . وكان قد أوصى  
(٥)  
قبل وفاته بالوزارة لابنه رزك . فلما توفي ولي مقاليد الوزارة ، وخلع عليه الخليفة

- 
- (١) ابن فضل الله المصري ، صالك الابصار ، ج ٧ ، ورقة ١١٢ ، وابن الأثير ،  
الكامل ، ج ١١ ، ص ١٩٤ ، وابن خلدون المبر ، ج ٤ ، ص ٧٦ ،  
على بيومي ، قيام الدولة الأيوبية ، ص ٩٦ .  
(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٥٥ .  
(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٥٥ ، أبو الفدا ، المختصر في أخبار  
البشر ، ج ٣ ، ص ٣٧ .  
(٤) جمال الدين سرور ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص ١٢٦ .  
(٥) ابن ظافر الأزدي ، أخبار الدول المنقطعة ، ص ١١٢ . ابن أبيك  
الدوادري ، الدر المطلب ، ص ١٦ . ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ،  
ص ٢٧٤ .

الماضد ، ولقبه بالعدل وذلك في سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م . ولم تدم وزارته

طويلا ، بل ثار عليه شاور السعدي ، الذي كان واليا على الصعيد ، عندما  
عندما حاول العدل رزك عزله عن ولاية الصعيد ، متاسيا وصية والده بعدم

التعرض له ، خوفا من خروجه عن طاعته . وجاهر شاور بالعصيان ، وسار على  
رأس جيشه في اتجاه القاهرة ، وما أن وصل الى مشارفها حتى شعر ابن رزك  
بالنشل أمامه ، فهرب بنفسه ، ودخل شاور القاهرة ، وحضر بين يدي الخليفة  
الماضد ، الذي خلع عليه الوزارة ، ولقبه بأبى الجيوش ، وذلك في سنة

٥٥٨ هـ / ١١٦٣ م . ثم أمر بتعقب العدل رزك ، فجىء به اليه وقتله .

لم يكن شاور هذا أحسن حالا من سابقه ، فمجرد توليه الوزارة سار  
على سيرتهم السيئة ، فاعتدى على دار الوزارة ، وهجم على دور العدل رزك  
فنهبها ، كما عمل على مراقبة كبار المسكر ، واضطهدهم خوفا من منافسته .  
الأمر الذي جعلهم يتفقون على التآمر عليه ، وابعاده عن الوزارة ، وكان من  
جملتهم أبو الأشبال ضرغام الذي استطاع أن يضم حوله عددا كبيرا من الجند ،

(١) ابن واصل ، التاريخ الصالحى ، ورقة ١٩١ ب ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ،  
ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(٢) هو أبو شجاع شاورين مجير الدين بن نزار من عشائر بن شاش ، قيل انه  
عرف بشاور السعدي نسبة الى حليلة السعدية ( انظر ابن خلكان ، وفياته

الاعيان ، ج ٢ ، ص ٤٣٩ ، والعمرى ، مسالك الابصار ، ج ٧ ، ص ٢٢٧ ) .  
(٣) ابن واصل ، التاريخ الصالحى ، ورقة ١٩٢ أ ، والعمرى ، مسالك الابصار ،  
ج ٧ ، ص ١١٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٩٠ ، ابن خلكان ،  
وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ٤٤٣ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٩٠ ، أما ابن واصل ، فيذكر في التاريخ  
الصالحى ، ورقة ١٩٢ ب أن شاور عندما قبض عليه سجنه وضيق عليه فقط .

(٥) ابن واصل ، التاريخ الصالحى ، ورقة ١٩٣ أ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ،  
ص ٢٩٠ ، ابن قاضى شهبه ، الكواكب الدرية ، ص ١٦٣ ، ابن الراهب ،

على بيومى ، قيام الدولة الايوبية ، ص ٩٨ .

(٦) هو أبو الأشبال ضرغام بن طمر المنذرى كان مقدما على جماعة من الامراء ، =



وسار لمحاربة شاور ، فلقية الأخير ، ودأرت بينهما معركة انتهت بهزيمة شاور  
 ودخل ضرغام بعدها القاهرة ، وتولى الوزارة في رمضان من سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦٣ (١)  
 أما شاور فقد هرب بنفسه متجها الى بلاد الشام ، يطلب النجدة من نور  
 الدين محمود بن زنكى . وهنا يبدو لنا أن نور الدين محمود ، الذي كان يعمل  
 آنذاك جاهدا في بلاد الشام لتوحيد الجبهة الاسلامية للوقوف في وجه  
 الصليبيين ، أدرك مدى ما وصلت اليه الدولة الفاطمية في مصر من تفكك وانحلال  
 فرأى في استنجاد شاور به فرصة طيبة للتدخل في شئون مصر ، وضمها الى  
 مشروع الوحدة الاسلامية ، لذلك سارع الى تلبية طلب شاور ووعده بالمساعدة  
 على ضرغام . (٢)

وهنا يظهر لنا جليا مدى ما وصلت اليها الخلافة من ضعف ، بسبب  
 استبداد الوزراء وتعاقبهم ، حيث ولى الوزارة في هذه السنة ثلاثة وزراء ، هم  
 العادل رزك وشاور السعدى ثم ابو الاشبال ضرغام الذى نهج نهج سابقيه ،  
 فاستبد بالأمور ، وأخذ يوطد لنفسه في الوزارة ، فعمل على التخلص من كثير  
 من الأمراء ، لتخلو له البلاد من أى منازع . (٣) الا أن لجوء شاور الى ممسك نور الدين  
 محمود ، حرم ضرغما من الاستمرار في ذلك المنصب ، ثم أن ذلك مكن نور الدين  
 من التدخل في شئون مصر لتحقيق وحدة اسلامية بين الشام ومصر ، ووضع  
 الصليبيين بين شقى الرحى — كما سنرى فيما بعد .

= يدعون ( البرقية ) وهم أمراء أنشأهم الصالح رزك في وزارته ( أنظر المقرئى  
 الخطط ج ٢ ص ١٢ ، ابن خلدون المبر ج ٤ ص ٧٧ ، اليافعى ،  
 مرآة الجنان ج ٣ ص ٣١١ ، ٣١٢ ) .  
 (١) ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ص ١٩٣ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ج ٢  
 ص ٤٤٤ .  
 (٢) ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ص ١٩٨ .  
 (٣) ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ص ١٩٣ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ،  
 ج ٢ ص ٤٤٤ .

كان من أهم نتائج سياسة الاستبداد التي اتبعتها الوزارة في الدولة  
الفاطمية ، إضافة الى عدم وفاء النيل في بعض السنوات ، أن حلت بمصر أزمات  
اقتصادية أدت الى إثارة الفوضى والشغب داخل البلاد كما حدث في عهد  
الخليفة المستنصر في سنة ٤٥٧ هـ / ١١٦٢ م . فقد استمر انخفاض ماء النيل  
سبع سنين حتى تزايد الغلاء ، وأعقبه وباء أدى الى ترك الأراضي بدون زراعته ،  
واضطرب الخليفة المستنصر الى بيع ما في قصوره من ذخائر وثياب وأثاث وسلاح  
(١) وغيره . يضاف الى ذلك أن الوزراء أثقلوا كاهل الناس بالضرائب والمكوس التي  
(٢)  
استمرت تفرض عليهم .

وفي عهد الخليفة الأمر بأحكام الله ( ٤٩٥ هـ / ١١٠١ - ١١٣٠ م )  
(٣)  
وقع في مصر غلاء شديد بلغ القمح فيه كل مائة أردب بمائة وثلاثين دينارا .  
كما حدث غلاء آخر في عهد الخليفة الحافظ لدين الله ( ٥٢٤ - ٥٤٤ هـ /  
١١٣٠ - ١١٤٩ م ) بسبب القحط واحتكار بعض الناس للغلات ، حتى نقصت  
الأقوات ، واستاء الناس ، ولولا مبادرة الوزير الأفضل الذي تدارك الأمر ،  
بتتبع أسباب تلك الأزمة ، فأنزل العقوبة بجماعة من المحتكرين وفرض عليهم  
رقابة شديدة ، حتى عادت الأمور الى حالتها الطبيعية .  
(٤)

ومهما يكن من شيء ، فإن هذه الازمات كانت لا تكاد تنفك حتى تعور مرة

- 
- (١) المقرئ ، غائبة الأمة بكشف الغمة ، ص ٢٣ ، ٢٤ .  
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٦٨ ، السيوطي ، حسن  
الحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٧ .  
(٣) المقرئ ، غائبة الأمة ، ص ٢٦ - ٢٧ .  
(٤) المقرئ ، المصدر نفسه ، ص ٢٧ .

أخرى ، ففي عهد الخليفة الفائز ( ٥٤٩ - ٥٥٥ هـ / ١١٥٤ - ١١٦٠ م )  
 حلت أزمة اقتصادية أخرى ارتفعت على أثرها الاسعار ، وقلت السلع الضرورية ففى  
 الاسواق ، حتى تضرر الناس من ذلك ، واضطر الخليفة الى اصدار أوامره الى  
 كل من عنده فائض عن حاجته باعطاء المحتاج حتى تنزل الازمة <sup>(١)</sup> . كما يذكر  
 المقرئى أيضا أن غلاء ومجاعة نزلا بمصر فى أيام الخليفة الفائز حيث قلت  
 الأقوات ، وارتفعت الأسعار <sup>(٢)</sup> ، وحل بالناس كرب شديد ، اضطر معه الخليفة  
 الفائز الى اخراج ما كان بالأهراء من غلات وتوزيعه على الفقراء والمحتاجين .  
 كما أسهم جماعة من الأمراء وأهل البيوت الكبار فى ذلك <sup>(٣)</sup> . وما لا شك فيه أن  
 هذه المجاعات وما صاحبها من فوضى واضطراب ، لم يقتصر تأثيرها على عامة  
 الناس فحسب ، بل أدت الى تزايد اطماع الصليبيين فى التدخل فى شئون  
 مصر ، والطمع فى الاستيلاء عليها <sup>(٤)</sup> .

وفى الوقت الذى كانت الخلافة الفاطمية فى مصر تسير من سيء الى أسوأ ،  
 بسبب تولى مقاليد الحكم فيها ، خلفاء ضعاف الشخصية أسلموا أمورهم الى  
 وزراء عرفوا بسياسة لا استبداد وحب البقاء ، فى ذلك الوقت كان نور الدين محمود  
 يدرك ما لمصر من أهمية فى مشروع الوحدة الاسلامية ، لعدة أسباب ، منها  
 ما وصلت اليه الحالة فى مصر من ضعف ، واضطراب ، حتى أصبحت الأمور

- 
- ( ١ ) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٣٦ .  
 ( ٢ ) الأهراء هى الأماكن التى كانت تخزن بها الفلات الخاصة بالخليفة تحسبا  
 لمثل هذه الطوارئ الاقتصادية ، وكانت لا تفتح الا عند الضرورة ،  
 ( أنظر المقرئى السلوك ، ج ١ ، ص ٥٨ ، حاشية ) .  
 ( ٣ ) المقرئى ، اغة الأمة ، ص ٢٧ - ٢٨ .  
 ( ٤ ) كلود كاهن ، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ، ص ٢٤٩ .

هناك تسير بمجرد الايهام والمحال ، على حد تعبير ابن شداد <sup>(١)</sup> . هذا  
بالإضافة الى أن الصليبيين كانوا يدركون أن مصر هي مركز المقاومة الحقيقية  
في العالم الاسلامي ، وبذلك غدت موضع اهتمامهم على اعتبار أنها الطريق  
الذي سيسهل لهم البقاء في بيت المقدس .

ولا يخفى أيضا أن هناك سببا قويا ربما حرك عند نور الدين الرغبة  
في غزو مصر لضمها الى مشروع الوحدة الاسلامية ، ووضع الصليبيين بين شقي  
الرخي للقضاء عليهم ، ذلك هو العامل الذهبي ، فالخلافة الفاطمية في مصر  
كانت شيعية ، في حين أن الخلافة العباسية في بغداد تدين بالذهب السني ،  
وهذا بلا شك كان مصدرا من مصادر الفرقة في العالم . لذلك كان من الطبيعي  
أن يعمل نور الدين محمود — وهو الحاكم السني — على ازالة هذه الفرقة واعادة  
مصر الى حظيرة الخلافة العباسية السنية ، لتكوين جبهة اسلامية تمتد من  
الفرات الى النيل <sup>(٢)</sup> . ويمكننا أن نلحق بذلك سببا رابعا ، هو أن مصر مشهورة  
بخيراتها الوفيرة التي لا تنضب ، والتي لا غنى عنها أثناء الجهاد ضد  
العدوان الصليبي .

وعلى كل فان نور الدين — ما أن وصل اليه في دمشق شاور سـنة  
٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م مستجدا به على ضرغام الخارج عليه ، ووعده بأن ينزل له  
عن ثلث خراج مصر إضافة الى اقطاعات الجيش ، وأن يقيم أسد الدين شيركوه  
بجيشه في مصر ، ويتصرف بأمر نور الدين محمود . اذا ما عاونه في التغلب

(١) أنظر ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٣٦ .  
(٢) أنظر سعيد عاشور ، الايوبيون والمماليك ، ص ١٣ — ١٤ .

على ضرغام وانتزاع الوزارة منه حتى أحسن اليه وأكرمه ووعد النصره واعادته الى  
الوزارة في مصر ، قاصدا من ذلك كشف أخبار مصر والتعرف على أحوالها .<sup>(١)</sup>

وهنا تذكر المصادر أن نور الدين تردد بادئ الأمر في اجابة شاور  
" فبقى يقدم لهذا الفرض رجلا ويؤخر أخرى " على حد تعبير ابن الأثير ،  
فتارة يعزم على مساعدته عطا عليه ورغبة في التوسع ، وأخرى يتخوف من الاقدام  
على ذلك لسببين ، أحدهما تخوفه من خطر الطريق لوجود الصليبيين بينه  
وبين مصر ، والثاني شكه في اخلاص شاور له . ولعل مما يؤيد السبب الأول ،  
أن نور الدين خرج على رأس جيشه في ذلك الوقت لمنازلة الصليبيين ، حتى  
يشغلهم عن التعرض لذلك الجيش الذاهب الى مصر .<sup>(٢)</sup>  
<sup>(٣)</sup>

ومهما يكن من أمر ، فإن أسد الدين شيركوه الذي ولاه نور الدين  
قيادة ذلك الجيش ، دخل مصر سالما ، ومعه ابن أخيه صلاح الدين ، الذي  
كان لا يفصل أمرا ولا يقرر حالا الا بمشورته ، وجعله " مقدم عسكره وصاحب  
رايه " .<sup>(٤)</sup>  
<sup>(٥)</sup>

- 
- (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٣٦ ، وابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ،  
ص ٢٩٨ - ٢٩٩ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٣٢ ،  
أنظر أيضا حسن حبشي ، نور الدين والصليبيون ، ص ١٠٤ .  
(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٩٨ ، أنظر أيضا أبو شامة ، الروضتين ،  
ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٣٢ ، وابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٤٤٤ ، ابن  
واصل ، مروج الكروب ، ج ١ ، ص ١٣٨ ، وابن الحديد ، زبدة الحلب ، ج ٢ ،  
ص ٣١٦ .  
(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٩٩ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ،  
ق ٢ ، ص ٣٣٣ ، وابن واصل ، مروج الكروب ، ج ١ ، ص ١٣٨ - ١٣٩ .  
أنظر أيضا ، حسن حبشي ، نور الدين والصليبيون ، ص ١٠٥ .  
(٤) هو أبو الحارث شيركوه بن شاذي بن موان ، لقب الملك المنصور أسد الدين ،  
وهو عم صلاح الدين ( أنظر ترجمته في ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٢ ،  
ص ٣١٧ ) .  
(٥) أنظر أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٣٢ .

وسار شيركوه حتى وصل بلبيس ، وهناك لقيه ناصر الدين اخو ضرغام على رأس جيش كبير . ودارت بين الطرفين معركة انتهت بانتصار أسد الدين شيركوه ، الذي سار بعدها الى القاهرة ، فدخلها في أواخر جمادى الآخرة من سنة ٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م فخرج ضرغام منها هاربا بنفسه ولكن رجال شاور لحقوا به وقتلوه . وتولى شاور الوزارة مرة ثانية في رجب من السنة نفسها (١) وكما توقع نور الدين محمود ، فان شاور ما أن تمكن من الوزارة حتى تنكر لعهد ، وكتب الى أسد الدين يطلب العودة الى الشام ، فلم يجبه الى ذلك ، بل طالبه بما وعدهم به . ولكن شاور تمالى في الرفض وألح على خروج أسد الدين ، الذي أرسل فرقتين جيشه أستولت على بلبيس (٢) .

وهنا يبدو أن شاور أدرك عجزه عن مقاومة شيركوه ، فبحث الى الصليبيين يطلب منهم مساعدته ، ويخوفهم من امتلاك نور الدين لمصر ، فسارعوا الى اجابته ، الأمر الذي أجبر نور الدين محمود على غزو ممتلكاتهم في الشام لكي يشغلهم عن مساعدة شاور ، الا أن ذلك لم يمنعهم لحلمهم بأهمية مصر ، فتركوا في الشام من يقاوم نور الدين ، وساروا يتقدمهم عموري الأول (Amarlic I) ملك بيت المقدس الى مصر ، واتجهوا صوب بلبيس التي كان يتمركز فيها شيركوه ، وحاصروه بها ثلاثة أشهر ، ولكنهم لم ينالوا منها شيئا (٣) رغم قلة الاستعدادات بها . وفي الوقت نفسه بلغهم انتصار نور الدين محمود

- 
- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٩٩ ، و ابو شا مه ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٣٣ ، حسن جيش نور الدين والصليبيون ص ١٠٦ .  
 (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٩٩ .  
 (٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ ، و ابو شا مه ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٣٥ - ٣٣٦ ، و ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ١ ، ص ١٣٩ - ٢٤٠ ، و ابن الحديد ، زكيا لطلب ، ج ٢ ، ص ٣١٢ ، و الذهبي ، العبر في خبر من غير ، ج ٤ ، ص ٨٦٧ .

فى حارم واستيلاؤه عليها ، ثم تقدمه الى بانياس . وهنا أدركوا خطورة الأمر ،  
ورأوا ، أنه لابد من العودة الى الشام ، فراسلوا أسد الدين شيركوه فى الصلح ،  
وتسليم ما بيده لشاور . ويبدو لنا من هذا أن شيركوه لم يكن يعلم بما فعله  
نور الدين فى الشام من انتصارات ، هذا بالإضافة الى نقص الذخائر والأقوات  
عنده ، نتيجة لطول الحصار عليه ، فوافق شيركوه على الصلح ، وكان ذلك فى  
ذى الحجة من سنة ٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م ، وعاد الى الشام سالما رغم ما تعرض  
له من الصليبيين فى طريق عودته . وتعرف شيركوه على أحوال مصر ، وانفـرس  
فى نفسه الدافع فيها ، حتى كانت مجالسه بالشام لا تخلو من التحدث بالرجوع  
اليها . وظل يمتنى نفسه بالعودة اليها . وكان عنده من الحرس على ذلك  
كثير .

وأدرك نور الدين محمود أن ثروة مصر ، ربما يفيد منها الصليبيون  
حربيا وما ديا ، خاصة بعد أن بلغه أن شاورا قد كاتب الصليبيين ، طالبا  
منهم الدخول الى مصر لمساعدته ، وتمكينه فيها . فضلا عن استياء الخليفة  
الفاطمي الحاضد ، الذى بحث الى نور الدين يستنجد به منه ، لاتباعه سياسة  
الظلم وسفك الدماء فى مصر .

- 
- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٠٠ ، و ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ،  
ق ٢ ، ص ٣٣٦ ، و ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٤٠ ، و ابن  
المديم ، زيك الحلب ، ج ٢ ، ص ٢١ - ٢٢ .  
(٢) ابن سعيد الروض المهبوب ، ج ١ ، ورقة ٢٤ .  
(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٢٤ .  
(٤) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٧٧ ، و ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،  
ج ٧ ، ص ١٤٧ ، و ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٥٢ .  
(٥) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٢٦٨ ، و ابن تفرى  
بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٤٨ .

(١)  
بالإضافة الى غدره بأسد الدين وعدم وفائه بحمده لنور الدين محمود . كل  
ذلك كان كفيلا بتحريك هم نور الدين للدخول الى مصر ، حيث غادرت الحملة  
النورية الثانية دمشق في ربيع الأول من سنة ٥٦٢ هـ / يناير ١١٦٧ م في طريقها  
الى مصر تحت قيادة أسد الدين شيركوه ومعه ابن أخيه صلاح الدين ، الذي  
ذكر البعض أنه خرج الى مصر مكرها . (٢) ولكن الذي يهمننا هو أن صلاح الدين  
قد استفاد من اشتراكه في تلك الحملات ، حيث وقف بنفسه على أحوال مصر  
وعرف أهلها ، فدخل مصر ، حتى وصل الى بلدة أطفح ثم عبر النيل ، ونزل  
(٣)  
بالجيزة وعسكر هناك . (٤)

أما شاور فانه لما بلغه مجيء أسد الدين شيركوه ، كاتب الفرنج طالبا  
النجدة فأتوه في جميع كثيرة ، يحدوهم الى ذلك أمران : الاول طمعهم في مصر  
والثاني خوفهم من سيطرة نور الدين عليها . (٥) ثم سار بعد ذلك أسد الدين  
شيركوه بجيشه متجها الى الصعيد حتى وصل الى مكان يعرف بالبايين وتبعته  
جيوش مصر والصليبيين ، ولحقوا به هناك في جمادى الآخرة من سنة ٥٦٢ هـ /  
مارس ١١٦٧ . واستشار أسد الدين أصحابه في ملاقاتهم فترددوا بآراء

- 
- (١) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٣٦٣ ، و ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ،  
ق ٢ ، ص ٣٦٣ ، و ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٤٨ ، و ابن  
قاضي شهاب الكواكب الدرية ، ص ١٦٩ .  
(٢) أنظر ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢٩ ، و ٣٠ ، و ابو شامة ،  
الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٦٧ .  
(٣) أطفح ، بلد بالصعيد الادنى من أرض مصر على شاطئ النيل الشرقى  
( أنظر ياقوت معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢١٨ ) .  
(٤) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٣٧ ، و ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ،  
ص ٣٢٤ ، و ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥٠ .  
(٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٣٢٤ ، و ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ،  
ق ٢ ، ص ٣٦٤ ، و ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٤٩ ، و ابن كثير  
، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٥٢ .



الأمر ، لكنهم عادوا واجتمعت كلمتهم على القتال . ودارت بين الطرفين معركة  
حامية الوطيس انتهت بانتصار أسد الدين شيركوه ، وهزيمة أعدائه .<sup>(١)</sup>

سار أسد الدين بعد هذه المعركة متجها إلى الاسكندرية ، وما أن  
وصلها ، حتى سارع أهلها بتسليمها له ، بسبب ميلهم إلى المذهب السني ،  
فاستتاب بها ابن أخيه صلاح الدين وعاد هو إلى الصعيد .<sup>(٢)</sup> ويدوان أسد  
الدين شيركوه ربما يكون قد خاف أن تصل لشاور والصليبيين بعد هزيمتهم  
في معركة البابين امدادات من البحر ، لذلك سارع إلى الاستيلاء على الاسكندرية  
لمنع ذلك . وهو ما حدث فعلا ففي الوقت الذي كانت قوات الصليبيين والفاطميين  
قد عادت إلى القاهرة بعد واقعة البابين ، ثم زحفت إلى الاسكندرية حيث  
قامت بحصارها برا ، كان الاسطول الصليبي قد شرع في حصارها بحرا الأمر<sup>(٣)</sup>  
الذي أجبر أسد الدين شيركوه على ترك الصعيد والعودة إلى الاسكندرية .  
وهنا يدوان هزيمة شاور وحلفائه في البابين ، وتفرق عسكر أسد الدين بين  
الشمال والجنوب ، جعل كلا منهما يوافق على الصلح عندما بعث الصليبيون  
والفاطميون إليه في طلبه ، مقابل اعطائه خمسين ألف دينار ، فأجاب طلبهم  
واشترط ألا يقيم الصليبيون في البلاد المصرية ، ثم عاد شيركوه وصلاح الدين إلى  
الشام . عاد أسد الدين شيركوه من مصر إلى الشام بعد أن عقد صلحا مع<sup>(٤)</sup>

(١) ابن الأثير الكامل ج ١١ ص ٣٤٥ ، أبو شامة ، الروضتين ج ١ ص ٦٢ ،  
ص ٣٦٥ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ج ١ ص ١٥٠ وعن تفاصيل موقعة  
البابين ، وأسباب هزيمة الصليبيين فيها ، انظر حسن حبشي ، نور الدين  
والصليبيون ص ١١٤ .

(٢) ابن الأثير الكامل ج ١١ ص ٣٢٦ ، أبو شامة ، الروضتين ج ١ ص ٢ ،  
ص ٣٦٥ - ٣٦٦ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ج ١ ص ١٥١ ، ابن العديم  
نزهة القلب ج ٢ ص ٣٢٤ .

(٣) انظر جمال الدين سرور ، الدولة الفاطمية في مصر ص ١٢٨ .

(٤) ابن الأثير الكامل ج ١١ ص ٣٢٦ - ٣٢٧ ، أبو شامة ، الروضتين ج ١  
ص ٢ ، ص ٣٦٦ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ج ١ ص ١٥١ - ١٥٢ .

شاور وحلفائه اشترط فيه لخروج الصليبيين جميعا من مصر ، الا أن الصليبيين  
اتفقوا مع شاور على أن يبقى لهم بالقاهرة مندوب أو شحنة <sup>(١)</sup> ، وأن تكون لهم  
حامية • تحرس أبواب المدينة وأسوارها ، هذا بالإضافة الى التزامهم شاورا  
بدفع مائة ألف دينار سنويا <sup>(٢)</sup> .

وهنا يبدو أن الصليبيين المقيمين بمصر أدركوا سهولة الاستيلاء عليها ،  
فبعثوا الى ملكهم عموري الأول ، يستدعونه لدخولها ، فرفض في بادئ الأمر ،  
ولكنه عاد الى اجابة طلبهم مرغما • هذا بالإضافة الى ما قام به بعض أعيان  
الدولة الفاطمية الناقمين على شاور من الاتفاق مع عموري الاول على دخول مصر  
ومساعدتهم • وسار عموري الاول على رأس جيش كبير الى مصر ، فنزل بلبيس  
واستولى عليها في صفر من سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م ، ثم سار منها في اتجاه  
القاهرة • وهنا يذكر ابن الأثير ، أن أهلها قاوموا الصليبيين خوفا من التعرض  
للمصير السيئ الذي تعرض له أهل بلبيس ، وأن عموري لو أحسن السيرة في  
بلبيس لمملك القاهرة • أما شاور ، فيبدو أنه قد شعر بحرج موقفه أمام الصليبيين  
<sup>(٣)</sup>  
فأمر بإشعال النار في الفسطاط بعد أن نقل أهلها الى القاهرة • <sup>(٤)</sup>

- 
- (١) الشحنة : هو رئيس الشرطة والموكل بالأمن في بلد من البلاد ، والشحنة  
هي وظيفة رئاسة الشرطة - أنظر المقرئى ، السلوك ، ج ١ ، قسم ١ ص ٣٥ .  
ص ٩٧٩ ، سعداوى ، جيش مصر ، ص ٣٢ ، حاشية رقم (١) .
- (٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٣٢٧ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ،  
ص ١٥٥ ، المقرئى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٣٣٨ ، ابن الفرات ، تاريخ  
ابن الفرات ، ج ٤ ، ص ١ ، ج ١٩ ، السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ،  
ص ٤ .
- (٣) أنظر ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٣٣٥ - ٣٣٦ ، ابن واصل ، مفرج  
الكروب ، ج ١ ، ص ١٥٦ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٤٤٥ -  
٤٤٦ .
- (٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٣٣٦ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢ ،  
ص ٣٩٠ - ٣٩١ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥٧ .

وكان الخليفة الفاطمي قد أدرك خطر الصليبيين على بلاده ، وعجز  
 شاور عن وقفهم ، فبعث الى نور الدين محمود يخبره بذلك ، ويطلب النجدة  
 منه <sup>(١)</sup> . والواقع أن نور الدين لم يكن من الممكن أن يترك الصليبيين يستولون على  
 مصر ، لما كان يعتقد عليها من الآمال في تحقيق مشروع الوحدة الاسلامية .  
 لذلك فلم يكن يسمح بمودة عموري اليها ، حتى سارع الى تجهيز قوة كبيرة بقيادة  
 أسد الدين شيركوه ومعه ابن أخيه صلاح الدين ، الذي حرصت المصادر  
 العربية على اظهاره في صورة الممتنع عن المجيء الى مصر في صحبة عمه شيركوه <sup>(٢)</sup> .  
 ولكن يبدو أن المؤرخين انما قصدوا من تلك الاشارات ايضاح أهمية الدور  
 الذي يمليه القدر المكتوب ، وكيف أن نور الدين ألح على صلاح الدين في  
 الحضور الى مصر دون أن يدري أن صلاح الدين هذا سيكون منافسه في المستقبل ،  
 وأنه سيرثه في دولته .

وعلى كل فان شاورا عندما أدرك خطر الصليبيين ، حين شددوا  
 الحصار على القاهرة اتبع أسلوب اللين والمفاوضة معهم ، فبعث الى عموري  
 الأول ، يتودد اليه ويطلب المصالحة فوافق عموري بعد أن اشترط على شاور  
 أن يدفع له مبلغا كبيرا من المال ، على أمل الاستعداد والمودة الى مصر مرة  
 ثانية <sup>(٣)</sup> . أما أسد الدين شيركوه فقد اخترق الصحراء الى القاهرة حيث رحب به  
 الناس والتفوا حوله . وهنا يبدو أن عموري الأول ، لم يجد حلفاء من الفاطميين  
 قادرين فشله فهاد الى الشام يجرأ ذيل الخيبة . أما شيركوه ، فبمجرد

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ٣٣٦ - ٣٣٧ .

(٢) أنظر ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١١ ، وابن الاثير ، الكامل ،

ج ١١ ، ص ٣٣٨ ، وابن تخرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٥٠ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٣٧ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢

ص ٣٩١ .

دخوله القاهرة استدعا بالخليفة العاضد ، وخلع عليه خلع الوزارة ولقبه الملك  
(١)

المنصور ، وذلك في ربيع الآخرة من سنة ٥٦٤ هـ / يناير ١١٦٩ م .

تولى أسد الدين شيركوه الوزارة للخليفة الفاطمي العاضد وتحقق

بذلك ما كان يصبو اليه نور الدين محمود من تحقيق وحدة اسلامية تمتد من

الفرات الى النيل لوضع الصليبيين بين شقي الرحى تمهيدا للقضاء عليهم .

لذلك ، لم يكف يسمح بانتصار قائده شيركوه حتى غمرته فرحة كبيرة وبعث رساله  
(٢)

بالبشائر الى مختلف البلاد .

وكان من الطبيعي أن يحقد شاور على شيركوه وخاصة بعد أن ظهر

تأييد الخليفة العاضد لشيركوه . فأرسل شاور مرة أخرى الى الصليبيين يستدعيهم  
(٣)

لمساعدته وطلب منهم الدخول الى مصر عن طريق دمياط . ويبدو أن الصليبيين

قد تأخروا عن الوصول لمساعدته ، فأخذ يعمل على تدبير مؤامرة يقض بها على  
(٤)

شيركوه وأمرأء نور الدين جميعا . لذلك اجتمع أعيان مصر ، وكبار قادة جيش

شيركوه وقالوا له « ان شاورا سبب فساد البلاد والعباد » وطالبوه بقتله ،

وانقاذ المسلمين من شره . (٥) وهنا يذكر ابن الاثير أن شيركوه نهى رجاله عن قتل

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٣٣٨ - ٣٣٩ ، ابن العديم ، زبدة  
الطلب ، ج ٢ ص ٣٢٧ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ص ٣٩٦ -

٣٩٧ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ١٦١ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٣٣٩ .

(٣) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ص ٢٧٦ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٣٣٩ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ،

ق ٢ ص ٣٩٧ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ص ٢٧٦ .

(٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٣٣٩ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ،

ص ١٦١ ، ١٦٢ ، سعيد عاشور ، الحكمة الصليبية ، ج ٢ ص ٧٠٠ .

(١)  
 شاور ، فأجابوه الى ذلك في الظاهر ، أما في السر فقد عزموا على قتله . ولعل  
 السبب في ذلك خوف شيركوه من ظهور فتنة في مصر بسبب قتله قد تؤدي الى  
 اضاعة جهوده . وتقضى رجال شيركوه على شاور ولم يجهزوا عليه بل جاءوا به  
 أسيرا اليه . ولم يفعل شيركوه به شيئا ، حتى أرسل اليه الخليفة العاضد ،  
 يأمر بقتله ، وإنفاذ رأسه اليه . وهكذا انتهى الأمر بقتل شاور في ربيع الأول  
 ٥٦٤ هـ / يناير ١١٦٩ م واستمر أسد الدين شيركوه وزيرا للخليفة العاضد  
 الفاطمي لمدة شهرين وخمسة أيام ، وخلفه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي .

أما عن صلاح الدين فهو صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي ولد  
 في قلعة تكريت سنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٨ م وكان والده أيوب واليا عليها . ولكن  
 يبدو أن صلاح الدين لم يطل به المقام بها وذلك لان انتقال أسرته الى الموصل  
 ثم الى الشام ، حيث أصبح والده حاكما على بعلبك التي اقطعها اياه نور  
 الدين محمود . وقضى صلاح الدين طفولته ببعلبك ، وتلقى بها ما يتلقاه  
 الطفل المسلم من العلوم الاسلامية ، ولقى من الرعاية والاهتمام باعتباره ابن والي  
 المدينة ، ما لا يلقاه أبناء أوساط الناس ، فدرس القرآن الكريم والحديث والفقه  
 والنحو والتاريخ واللغة والأدب . فضلا عن لعب الكرة والفروسية والصيد وغيرها  
 مما يتاح لابناء الطبقات الحاكمة . ثم لحق الشاب صلاح الدين بعمه أسد  
 (٤)

- 
- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٤٠ .  
 (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٤٠ ، ابن واصل ، التاريخ الصالح  
 ورقة ١٩٤ ب - ١١٩٥ ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٦٢ ، ١٦٣ .  
 (٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٦ .  
 (٤) أنظر الباز العرني ، الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ص ٢٩ .

الدين شيركوه في حلب ، حيث كان شيركوه في خدمة نور الدين وحصل على  
 إقطاع بها ، ثم خلف صلاح الدين بعد ذلك أخاه الأكبر توران شاه في شحنة  
 دمشق في سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٦ م بعد أن أصبحت دمشق من ممتلكات نور  
 الدين . وأبدى صلاح الدين في هذا المنصب قدرة كبيرة ومهارة فائقة ، غير  
 أنه لم يلبث أن دب خلاف بينه وبين صاحب الديوان أدى إلى تخليه عن ذلك  
 المنصب . (١) ورجع صلاح الدين إلى حلب مرة أخرى ، وهناك شمله نور الدين  
 بعنايته ، لما بدا فيه من أمارات السعادة ولاح عليه من علامات التقدم والسيادة (٢)  
 وظل نور الدين يقره إليه ويخصه وهو « كلما تقدم قدما تبد منه أسباب تقتضى  
 تقديمه » على حد تعبير ابن شداد . (٣) حتى اتفق لعمه أسد الدين شيركوه  
 الدخول إلى مصر فاصطحبه معه - كما سبق أن رأينا - . لتبدأ تلك المرحلة  
 الهامة من حياة صلاح الدين .

ولم ينعم أسد الدين شيركوه بالحياة طويلا في مصر إذ توفي في ٢٢  
 جمادى الآخرة من سنة ٥٦٤ هـ / ٢٣ مارس ١١٦٩ م وذلك بعد شهرين  
 وخمسة أيام من توليه الوزارة . (٤) وولى الخليفة العاضد بعده ابن أخيه صلاح  
 الدين ، وذكر أبو شامة نقلا عن أن ابن أبي طى أنه عندما توفي أسد الدين  
 شيركوه وقع اختلاف بين المسكر الشامي فيمن يتولى الوزارة . ومالت الاسدية

(١) أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٥١

(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٦ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٤١ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ،

ق ٢ ، ص ٤٠٥ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٦٨ ، البلد

سنا البرق الشامي ، ج ١ ، ص ٨١ .

الى صلاح الدين ، وفي تلك الساعة أرسل العاضد وسأل عن يصلح للوزارة  
فأشار عليه جماعة من الأمراء بشهاب الدين محمود الحارثي خال صلاح الدين  
فاستدعاه ، وخاطبه فاحتول الوزارة ، فامتنع من ذلك وأشار لولاية ابن أخيه  
صلاح الدين . وكان الحارثي أولاً قد رغب في الوزارة وتحدث فيها ، فلما  
رأى مزاحمة بعض كبار الأمراء له ، خاف أن يشتغل بطلبها فتفوته ، وربما  
فاتت صلاح الدين ، فأشار به لأنها إذا كانت في ابن أخيه كانت في بيته .  
وقد وجد ذلك قبولاً لدى الخليفة العاضد لأن صلاح الدين لم تكن له بطانة  
بمصر وكان صغير السن ، ظناً من الخليفة الفاطمي أنه بذلك يستطيع التحكم  
في الأمور على هواه ، ومن ثم منع نور الدين من التدخل في شئون مصر بعد ذلك .  
بالإضافة الى إيقاع الفتنة بين الأمراء النوريين الكبار أمثال المشطوب والحارثي  
وغيرهما . هذا ما حدث بالفعل ، فقد رفض بعض الأمراء تولي صلاح الدين  
الوزارة ، لولا ذلك المجهود المثمر الذي بذله الفقيه عيسى الهكاري في إقناعهم  
بذلك ، حيث استجابوا ما عدا عين الدولة ياروق الذي عاد الى الشام  
غاضباً .  
(٤)

- 
- (١) أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٣٨ - ٤٣٩ .  
(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٤٣ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ،  
ق ٢ ، ص ٤٠٧ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ١٧ .  
(٣) هو الفقيه أبو محمد عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد الهكاري ، من  
كبار رجال الدولة الصلاحية ، ذكر ابن خلكان أن نسبه ينتهي الى الحسن  
ابن علي بن أبي طالب ( أنظر وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٤٧٩ ) .  
(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٤٤ ، أبو الفدا ، المختصر  
في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٤٧ .

لكن صلاح الدين لم يكد يتولى الوزارة ، حتى خيب آمال الخليفة

الماض ، فاستمال الناس بالفاء المكوس الفاطمية ، وبذل الاموال والهبات<sup>(١)</sup>

والخلق لهم ، حتى احبوه وساسهم سياسة حسنة . ولعل ما زاد الناس حبا<sup>(٢)</sup>

له وتعلقا به ، تمكنه من صد تلك الفارة التي شنّها الصليبيون على دمياط في

صفر من سنة ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م وردهم خائبين عنها . فضلا عما قام به أثناء<sup>(٣)</sup>

وزارته من تأسيس المدارس وتحصين المدن والموانئ ، والثغور المصرية ، وبناء

القلعة على طرف المقطم ، حتى استطاع أن يمدن لنفسه في الوزارة ، لبيداء

بذلك صفحة جديدة في تاريخ الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين ، انتهت

بانتصاره عليهم واستعادة بيت المقدس .

ولكن يبدو أن الخليفة الماض لم يكن وحده المستاء من نفوذ صلاح

الدين وبالتالي نور الدين في مصر ، بل ان ذلك امتد الى نفوس عامة الناس

حيث قام الطواشي مؤتمن الخلافة أحد رجال القصر الفاطمي بالاتصال<sup>(٤)</sup>

بالصليبيين ، وتحريضهم على مهاجمة مصر ، حتى يضطر صلاح الدين الى

الخروج من القاهرة لصد غارتهم ، فيتمكن هو من القضاء على البقية الباقية من

(١) ابو شامه ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٤٣ .

(٢) ابن واصل ، التاريخ الصالحى ، ورقة ١١٩٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٤٤ .

(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٤١ ٤٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٥١ - ٣٥٢ ، ابو شامه الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص

٤٥٦ - ٤٥٧ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٢٧٩ ،

ابن ابيك الدوادارى ، الدر المطلب ، ص ٤١ ، الشبلى ، طبقات

الشافعية ، ج ٧ ، ص ٣٥٥ .

(٤) مؤتمن الخلافة هو خصى متحكم في القصر قيل أن اسمه جوهر ( أنظر ابو

شامه ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٥٠ .



رجال صلاح الدين بالداخل . الا أن صلاح الدين الذي كان — على ما يبدو —  
 ويدرك استياء بعض الفاطميين من سياسته تلك قد جعل بمصر جواسيس لمراقبة  
 كل التحركات هناك فاكشف رجاله حامل رسالة مؤتمن الخلافة وهو في طريقه بها  
 الى الصليبيين ، فاكشف صلاح الدين تلك المؤامرة فأسرع بقتل مؤتمن الخلافة  
 وذلك في سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م . وأثار مقتله غضب أتباعه من السودان ،  
 فقرروا الخروج على صلاح الدين . الذي ما أن علم بذلك حتى جمع أصحابه ،  
 واستعد لذلك ، فوصل السودان الى القاهرة . ودارت بين الطرفين معركة  
 تجلت فسيها مقدرة صلاح الدين الحربية ، فرجحت كفة جيشه ، حتى اضطر  
 السودان الى طلب الأمان منه ، فأجابهم الى ذلك .  
 (٢)

وفي الوقت الذي شدد نور الدين محمود هجماته على الصليبيين  
 (٣)

بالشام ، واستولى على الموصل سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧١ م ، كانت هناك مشكلة  
 عظيمة لها خطورتها تقلق باله ، تلك هي الخلافة الفاطمية الشيعية في مصر .  
 فنور الدين محمود ، كان سنيا يدين بالتبعية للخلافة المباسية في بغداد ،  
 إضافة الى أن علاقته بها قد ازدادت على ما يبدو وعقب استيلائه على الموصل .  
 (٤)

أما صلاح الدين في مصر فلم يكن أقل تحمسا للمذهب السني ، اذ كان

- 
- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٤٥ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ،  
 ق ٢ ، ص ٤٥١ ، ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ١ ، ص ١٧٦ ، المقرئ  
 الخط ، ج ٢ ، ص ١٩ .  
 (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٤٧ ، ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ١ ،  
 ص ١٧٦ ، ١٧٧ .  
 (٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٦٤ .  
 (٤) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص

شافعى المذهب فأخذ يعمل على نشر المذهب السنى هناك ، تمهيدا لاعلان  
 الخلافة العباسية فى مصر • وبدأ صلاح الدين بعزل قضاة مصر الشيعة ، وعين  
 مكانهم قضاة شافعية<sup>(١)</sup> • كما أنشأ مدارس للشافعية وأخرى للمالكية ووقف عليها  
 الأوقاف ، كما عمل على إلغاء<sup>(٢)</sup> " حتى على خير العمل من الأذان " <sup>(٣)</sup> ، بالإضافة  
 الى ما قام به صلاح الدين من جهود لاضفاف مركز الخليفة العاضد وتقوية مركزه  
 فى مصر ، فيقال أنه تتبع جند العاضد ، واستولى على دور الامراء واقطاعاتهم ،  
 وأعطاهم لأصحابه ، ولم يبق للعاضد معه الا الاسم فقط • ومع ذلك فان صلاح  
 الدين ، ظل متخوفا من الاقدام على تلك الخطوة الكبيرة وهى اسقاط الخلافة  
 الفاطمية فى مصر • ولعل السبب فى ذلك أن صلاح الدين نفسه ، كان حريصا  
 على ابقاء الخلافة الفاطمية فى صورتها الشكلية ، لاحتياسه يتغير شعور —  
 الدين نحوه وتخوفه منه ، فأراد أن تبقى ليلوذ بها عند الحاجة • يد لنا على<sup>(٥)</sup>

- 
- (١) النويرى ، نهاية الارب ، ج ٢٦ ، ورقة ١١٠ ، وابن الاثير ، الكامل ،  
 ج ١١ ، ص ٣١٦ ، وابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٩٨ ، والمقرئ  
 الخطط ، ج ١ ، ص ٣٥٩ ، السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٥٥ •  
 (٢) ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٨٦ ، سبط ابن الجوزى ،  
 مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٢٨٣ ، وابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ،  
 ص ٣٥٨ — ٣٥٩ ، البندارى ، سنا البرق الشامى ، ص ١١ ، تاريخ ابن  
 الفرات ٤ ، ج ١ ، ص ١٢٨ •  
 (٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٦٣ •  
 (٤) المقرئ ، الخطط ، ص ٣٥٨ ، السبكى ، طبقات الشافعية ، ج ٧ ، ص  
 ٣٤١ ، وابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، م ٤ ، ج ١ ، ص ١٦١ •  
 (٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٦٨ ، وأنظر أيضا سعيد عاشور ، الحركة  
 الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٢٣ •

ذلك أن صلاح الدين عندما جاءته أوامر نور الدين بذلك ما طله بادئ الأمر بحجة خوفه من وثوب أهل مصر عليه لميلهم إلى العلويين إلا أن نور الدين لم يصح إليه بل شدد عليه بذلك « وألزمه الزاماً لا فسحة فيه »<sup>(١)</sup> وأخيراً لم يصر صلاح الدين بدا من تنفيذ أوامر سيده نور الدين بإعلان الخلافة العباسية في مصر بعد أن استشار أصحابه وبعض الفقهاء فأمر الخطباء بالدعاء للخليفة<sup>(٢)</sup> المباسى على المنابر في أول جمعة من المحرم سنة ٥٦٧ هـ / سبتمبر ١١٧١ م<sup>(٣)</sup>.

أما الخليفة العاضد فيقال أنه في ذلك الحين مرض مرضاً شديداً ولم يخبره أحد بما فعله صلاح الدين وقالوا « إن عوفى فهو يعلم » وإن توفي فلا ينبغى أن نفجعه بمثل هذه الحادثة قبل موته « فمات يوم عاشوراء دون أن يعلم بذلك »<sup>(٤)</sup>.

ومما لا شك فيه أن سقوط الخلافة كان حدثاً خطيراً في تاريخ العالم الإسلامي بوجه عام وفي مصر بوجه خاص ، فيها هي دولة الفاطميين تنهار بعد

---

(١) المعنى ، عقد الجمان ، ج ١٢ ، ورقة ١٦٥ ب ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٣٦٨ - ٣٦٩ ، ابن العديم زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٣٣٣ ،

ابن المبرى ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢١٥ .  
(٢) ذكر المعنى في عقد الجمان ، ج ١٢ ، ورقة ١٦٧ أ ، وابن الشحنة في روضة المناظر ورقة ٧٠ ب أن صلاح الدين قبل الإقدام على قطع خطبة العاضد الفاطمي وأقامتها للمستضى العباسي ، استفتى الفقهاء ، فأفتوه بجواز ذلك لما كان عليه الشيعة في مصر من فساد الاعتقاد .

(٣) الاصفهاني ، البستان الجامع ، ورقة ١١٨ أ ، الكبي ، عيون التواريخ ، ج ١٧ ، ورقة ١٣٥ أ ، ابن الأثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٥٦ ، أبو شامة الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ص ٤٩٣ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ٢٠٠ .

أنظر أيضاً : Cambridge History of Islam, P. 203.

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٣٦٩ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ٢٠١ ، أبو الفدا ، المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ص ٥١ .

قرنين من الزمان تقريبا . لتعود للعالم الاسلامي وحد تطلعت هبية ، وتصبح  
 الخلافة العباسية هي الخلافة الوحيدة التي تدعى لها العالم الاسلامي بولائه  
 الروحي . لذلك فلا غرابة اذا اقيمت الاحتفالات في بغداد تبجيرا عن شعور  
 الفرح بذلك النصر الذي تحقق للخلافة العباسية (١) حيث كان نور الدين قد بعث  
 الى الخليفة العباسي في بغداد رسلا يشرونه بذلك ، فرد عليه الخليفة  
 المستنصر بارسال الخلع والتشريفات له ولصالح الدين ومعها الاعلام والرايات  
 السود شعار العباسيين . (٢)

لم يؤد اعلان الخلافة العباسية في مصر وموت الخليفة الماضد الى استتباب  
 الأمور لصالح الدين ، بل واجه فتنة عدة كان من أهمها ظهور بعض المنتسبين  
 الى الخلافة الفاطمية ، الذين حاولوا احياؤها في مصر . ففي سنة ٥٦٩ هـ /  
 ١١٧٤ م دبرت مؤامرة اشترك فيها الناقمون على صلاح الدين ، وكان من  
 زعمائها عمارة اليمني وعبد الصمد الكاتب ، وداعى الدعاة فضلا عن غيرهم من  
 جند مصر ، وبقايا السودان وحاشية القصر . (٣)  
 (٤)

- 
- (١) سعيد عاشور ، الايوبيون والمماليك ، ص ٢٨ .  
 (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٧١ ، البنداري ، سنا السبق  
 الشامي ، ج ١ ، ص ١١٥ - ١١٧ ، المقرئ ، السلوك ، ج ١ ، ص ٤٧ .  
 (٣) عمارة اليمني : هو الفقيه ابو محمد عمارة بن أبي الحسن علي الحكيم اليمني  
 الملقب نجم الدين والشاعر المشهور كان فقيها شافعي المذهب شديد  
 التعصب للمذهب السني ، له كتاب في تاريخ اليمن ، توفي سنة ٥٦٩ هـ .  
 ( أنظر ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ص ٤٣١ - ٤٣٥ ) .  
 (٤) الحنبلي ، شفاء القلوب ، ورقة ٢٢٦ ( مخطوط ) ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١  
 ص ٣٩٨ - ٣٩٩ ، ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ١ ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ،  
 ابن خلدون ، العبر ، ج ٥ ، ص ٢٨٧ .

ويدو أن هؤلاء المتأمرين أدركوا عجزهم عن مواجهة صلاح الدين دون الاستعانة بقوة خارجية ، فاتصلوا بالاسماعيلية في الشام ، وطلبوا منهم التدبير لقتل صلاح الدين — وذلك لما عرفوا به من براعة في هذا المجال . كما أن عمارة وأصحابه لم يكتفوا بهذا بل اتصلوا بالصليبيين في الشام وصقلية ، واتفقوا معهم على غزو مصر . وفي الوقت نفسه يقومون هم باشمال الفتنة من الداخل . ولكن هذه المؤامرة كشفت واحبطت قبل أن تنفذ ، وذلك بفضل اشتراك زين الدين علي بن الواظ ، أحد رجال صلاح الدين مع مدبريها ، فقد أخبره بما عزم عليه أولئك فقبض عليهم . (٢) وعند ما تأكد له ذلك ، صلب زعماءهم في رمضان من سنة ٥٦٩ هـ / أبريل ١١٧٤ م . ثم التفت الى بقية المتأمرين من الفاطميين فنفاهم الى الصعيد . أما أهل القصر فقد فرض عليهم رقابة شديدة ، حتى لم يعد يصل اليهم شيء من أمرا الدولة ، وأجروى عليهم من الارزاق والكسوة ما يليق بحالهم . (٣)

أما بالنسبة للصليبيين ، فيبدو ، أن صليبي الشام عرفوا انكشاف مؤامرة عمارة وأصحابه ، وأنه لا قبل لهم بملاقاة صلاح الدين ، فلم يفعلوا شيئاً . (٤) أما ملك صقلية فيحتمل أنه قد استجاب لذلك الطلب من ساعته ، فجهز اسطولا ضخما ، وبعثه الى مصر ، فسار حتى وصل الى الاسكندرية في ذي الحجة

- 
- (١) عن الاسماعيلية أنظر ما يلي ص ٦٠ — ٠٠٠ .  
 (٢) ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٦١ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٠٤ ، وابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ .  
 (٣) الكتبي عيون التواريخ ، ج ١٧ ، ورقة ١٥٣ أ — ب ، وابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٠٠ ، وابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٢٤٧ ، وابن قاضي شهبه ، الكواكب الدرية ، ص ٢٢٥ — ٢٢٦ ، .  
 (٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٠١ .

من سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م . وهناك دارت معركة كبيرة بينه وبين قوات  
صلاح الدين في البر والبحر ، انتهت بانتصار جيوش صلاح الدين . وعاد  
اسطول صقلية عن مصر يجر اذيال الخيبة ، بعد أن فقد عددا كبيرا من رجاله  
(١)  
وعدده .

ولم تقتصر الفتن التي ظهرت في مصر لماواة صلاح الدين على تلك  
التي ظهرت بالقاهرة ، بل تعدتها الى أنحاء مختلفة من البلاد المصرية ،  
كان من أهمها تلك التي أشعل نارها في أسوان على حدود النوبة أحد قادة  
الفاطميين الذي يدعى كنز الدولة . التي حول ذلك القائد جمع كبير من  
المصريين الناقمين على سياسة صلاح الدين أوهمهم بأنه يملك البلاد المصرية  
ويعيد الخلافة الفاطمية فيها ، وهاجم مدينة قوص ويضيف ابن الأثير ، أن كنز  
الدولة أقدم على قتل أحد أمراء صلاح الدين ، الذين كانت اقطاعاتهم في تلك  
البلاد . (٢) الأمر الذي زاد من غضب صلاح الدين عليه ، وقرر وأد هذه الفتنة  
في مهدها . فجهز جيشا كبيرا ، أسند قيادته الى أخيه الملك العادل ، فسار  
حتى لقي الكنز وأصحابه ، ودارت بين الطرفين معركة قتل فيها عدد كبير من  
عسكر الكنز . وعاد العادل الى القاهرة بعد أن قضى على تلك الفتنة ، وذلك

---

(١) المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٤١٤ ، وابن قاضي شهبه ، الكواكب الدرية ،  
ص ٢٢٧ - ٢٢٨ ، وابن اييك الدواداري ، الدر المطلوب ، ص ٤٩ .  
(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٤٧ - ٤٨ ، وابن واصل ، مفرج  
الكروب ، ج ٢ ، ص ١٦ - ١٧ ، والمقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٥٨ ،  
وقوص مدينة كبيرة في صعيد مصر ( أنظر ياقوت ، معجم البلدان ) .  
(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤١٤ .

(١)

في صفر من سنة ٥٧٠ هـ / سبتمبر ١١٧٤ م .

وفي الوقت الذي تحققت فيه أحلام نور الدين محمود بإقامة جبهة إسلامية موحدة تضم مصر وبلاد الشام يستطيع بها الوقوف في وجه العدو والصليبي ، ظهرت أحداث أدت إلى ظهور وحشه بينه وبين قائده صلاح الدين . فقد اتبع صلاح الدين سياسة متشددة في مصر لتستتب له الأمور فيها ، فبادر مصر كبار القادة في الجيش النوري ، أمثال عين الدولة ياروق وعز الدين جرهك وغيرهما ، من لم تعجبهم سياسة صلاح الدين ، ولعلمهم أناروا نور الدين ضده . فضلا عن احاطة صلاح الدين نفسه بجماعة من الأمراء الأسديين وهم أمراء عمه أسد الدين شيركوه وعلى رأسهم الفقيه عيسى المهكاري ، وجاؤلى الأسدي ، وسهاء الدين خراقوش الذي حكمه في قصور الخليفة الماض ضد بعد وفاته . بالإضافة إلى تحكم صلاح الدين في خيرات مصر ، وعدم تخصيص شيء منها لبلاد الشام ، حتى اضطر نور الدين إلى أن يرسل مبعوثا من قبله هو الموفق خالد بن القيسراني إلى صلاح الدين ، ليطلع على الأمور ، ويطالبه بحساب ما أخذه من قصور الخليفة الفاطمي ودواوين الدولة الفاطمية » وتقرير

- 
- (١) الحنبلي ، شفاء القلوب ، ورقة ٢٢ ، ابن شداد ، النوادر السلطانية ص ٤٨ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ص ٣٣٨ ، ابن واصل مفرج الكرب ، ج ٢ ص ١٧ ، ابن تفرج بردي ، النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٤ .
- (٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٣٦٩ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ص ٤٤٠ .
- (٣) نظير حسان سعداوى ، التاريخ الحربي المصري ، ص ١٥ - ١٦ .

(١)

القطيعة على صلاح الدين في كل سنة \* .

وما لبثت النفرة التي حدثت بين نور الدين وصلاح الدين أن انتقلت إلى مرحلة أخطر ، إذ تطور الأمر إلى تخوف صلاح الدين من الاجتماع بسيد نور الدين في أي عمل حربي مشترك ، ففي سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م عزم نور الدين على مهاجمة حصن الكرك والشوك ، وأمر صلاح الدين بأن يخرج إليه من مصر ، في الوقت الذي يأتي هو من بلاد الشام لاحكام الحصار عليه . فوعده صلاح الدين بادی الأمر بالطاعة ، إلا أنه عاد فاعتذر عن لقائه عندما علم بوصوله إلى الكرك متمللاً بخوفه من وثوب الشيعة على مصر في حالة غيابه عنها .

(٢)

ومن الواضح أنه كان على صلاح الدين ، في تلك الظروف ، أن يحدد موقفه من نور الدين فاما أن يظل على ولائه له بوصفه نائباً عنه في مصر ، وفي هذه الحالة عليه أن يتقبل قرار نقله منها في أي وقت من الأوقات ، واما أن يستقل عن نور الدين ويخرج عن طاعته ، وفي هذه الحالة عليه أن يصد هجوم نور الدين .

(٣)

الدين .

- وازاء هذا أدرك صلاح الدين خطورة موقفه أمام جيوش نور الدين — إذا ما حاولت دخول مصر ، فعزم على الاستيلاء على مناطق أخرى تكون ملاذا له يقيم فيها دولته إذا ما نجح نور الدين في اخراجه من مصر . ففكر بادی الأمر
- 
- (١) المقرئ ، الخط ج ١ ، ص ٥١ — ٥٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٧٠ ، الذهبي ، دول الاسلام ، ورقة ١٠٦ أ .
- (٢) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٥٨ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٢٢١ ، البنداري ، سنا البرق الشام ، ج ١ ، ص ١١٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٦٨ .
- (٣) سميد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٢٥ — ٧٢٦ .



في بلاد النوبة ، وبعث اليها أخاه توران شاه فاستولى عليها ، ولكنه رأى أنها  
(١)  
بلاد فقيرة لا تنفي بحاجاتهم اذا احتاجوا لها . كما فكر أيضا في الاستيلاء على  
برقة طمعا في ثروتها<sup>(٢)</sup> . وأخيرا اختار على ما يبدو أن يكون ملجأه عند الحاجة  
الى اليمن التي اشتهرت في ذلك الحين بغنى مواردها ، وبعث أخاه توران شاه  
اليها فاستولى عليها سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م<sup>(٣)</sup> .

وبالإضافة الى ذلك ، لا يوجد أدنى شك في أن صلاح الدين لم تكن  
تخفى عليه أهمية بلاد اليمن بالنسبة لتجارة البحر الأحمر ، لذلك قرر السيطرة  
على المدخل الجنوبي لهذا البحر خاصة بعد أن أصبحت عدن مركزا تجاريا .  
يضاف الى ذلك أن صلاح الدين أراد أن يضمن لقاعدة ملكه في مصر ورود متاجر  
الشرق الأقصى عن طريق البحر الأحمر ، وتزويد موارده مصر المالية بالضرائب  
التي تجبى من ميناء عيذاب وغيره<sup>(٤)</sup> .

وعندما أدرك نور الدين أن صلاح الدين أخذ يوسع نفوذه في البلدان  
المجاورة لمصر ، قرر الدخول اليها وأخذها منه ، فاستدعى جيوشه من الشرق  
وعزم على المسير الى مصر . الا أن مشروعه هذا لم يتم حيث وافاه الأجل قبل

(١) ابن الاثير الكامل ج ١١ ص ٣٨٧ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ج ١ ص ٢٢٩ ، المقرئ ، الخطط ج ٢ ص ٣٧ ، ابن كثير ، البداية  
والنهاية ج ١٢ ص ٢٧٠ ، وتوران شاه نحو : الملك المعظم توران شاه  
ابن أيوب بن شاذي توفي بالاسكندرية سنة ٥٧٦ هـ ( ابن خلكان ، وفيات  
الاعيان ج ١ ص ٣٠٦ ) .

(٢) سعيد عاشور ، الايوبيون والمماليك ص ٢٩ .

(٣) الكتبي ، عيون التواريخ ج ١٧ ، ورقة ١٥٢ أ ، ابن الشحنة ، روضة  
المناظر ، ورقة ٧٠ ب ، ابن واصل ، مفرج الكروب ج ١ ص ٢٨٣ ، ابن  
فخري بردي ، النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٦٩ ، المقرئ ، السلوك ج ١ ص ٥٣ .

(٤) حسنين ربيع ، البحر الاحمر في العصر الأيوبي ، ندوة تاريخ البحر الأحمر  
بجامعة عين شمس ، سنة ١٩٧٩ م ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(١) -  
تنفيذه .

د خول صلاح الدين د مشق سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م :

لم يكد نور الدين محمود ينهى مشروع توحيد الجبهة الاسلامية الذى  
 أصبح يضم الشام ومصر ، حتى وافته المنية فى شوال من سنة ٥٦٨ هـ / مايو  
 ١١٧٤ م ، قبل أن يجنى ثمار تلك الجهود التى بذل الفاتى والرئيس من  
 أجلها . وتولى الأمر بعده ابنه الملك الصالح اسماعيل الذى لم يكن قد تجاوز  
 الحادية عشرة من عمره ، مما أثار الأطماع داخل البيت الزنكى وخارجه فى امتلاك  
 هذه الدولة (٢) ، وكان أول الظالمين سيف الدين غازى ، صاحب الموصل ، ذلك  
 أن نور الدين عند ما ظهرت الوحشة بينه وبين قائده صلاح الدين وعزم على  
 الدخول الى مصر وأخذها من صلاح الدين ، بعث الى الموصل ود يار بكر وبلاد  
 الجزيرة يطلب مجيئهم للاستعانة بهم فى غزو مصر . فسار سيف الدين ابن عم  
 نور الدين على رأس جيشه قاصدا الشام . وفى أثناء سيره بلغه نبأ وفاة نور  
 الدين ، وتولى ابنه الصغير فدخله الطمع فى هذه المملكة ، وأسرع باحتلال  
 بعض المواقع الهامة ببلاد الجزيرة مثل نصيبين والخابور وحران والرها والرقه  
 وسروج وغيرها ، ولم يبق سوى رأس العين لأنها كانت لقطب الدين صاحب  
 (٣) (٤) (٥)  
 هو ابن خاله ، وقلمة جمبر لحصانتها . وقد شعر سيف الدين

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٠٢ .

(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٤٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١

ص ٤٠٢ .

(٣) رأس العين ، ويقال رأس عين ، مدينة مشهورة من مدن إقليم الجزيرة بين

حران ونصيبين ود نيسر ( أنار ياقوت ، معجم البلدان ) .

(٤) قلعة جمبر على الفرات مقابل صفين ، وكانت تعرف أولا بدوسرثم ملكها

رجل يدعى جمبر بن مالك فسميت به ( أنار ياقوت ، معجم البلدان ) .

(٥) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٧٥ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٢٥ ،

ص ٥٩٠ - ٥٩١ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٣٢٥ ،

ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٦٥٥ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ،

ص ١٢ .

غازى بتسلط أمراء الشام وغيرهم على أحوال الدولة النورية مستغلين صغر سن الملك الصالح وعجزه عن تدبير أمور دولته . ولعل ذلك كان السبب فى هروب سعد الدين كشتكين من صفوف جيش سيف الدين غازى ، عند ما علم بوفاة نور الدين محمود بالشام لينافس غيره من الأمراء فى تدبير دولة الملك الصالح .  
(١)

ولم تقتصر تلك الاطماع بعد وفاة الملك نور الدين على أفراد البيت الزنكى فى بلاد الشام ، وانما تعدت ذلك الى الامراء النوريين هناك ، وذلك للفوز بتدبير مملكة الملك الصالح ، مع انهم أجمعوا بادية الأمراء على توحيد كلمتهم لخدمته والحفاظ على دولته وجعل شمس الدولة ابن المقدم صاحب الراى الأول فى ذلك .  
(٢)

الا أن هؤلاء الأمراء ، ما لبثوا أن اختلفت كلمتهم ، فدب الخلاف بين اثنين من أكابرهم هما شمس الدين على بن الداية الذى تركز بحلب ، وأخذ يقوى مركزه هناك ، وشمس الدين محمد بن المقدم بدمشق ، حيث كان يقسم الملك الصالح عنده . وأخذ كل منهما يسعى للحصول على الوصاية على الملك الصالح فابن المقدم يسعى للحفاظ عليه بدمشق فى الوقت الذى كان ابن الداية يتحين

- 
- (١) ابن الاثير الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٠١ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٩ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١١ .  
(٢) ابن الاثير الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٠٥ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢ ، ص ٥٨٥ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٤١ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٢ ، ابن الوردي ، تنمية المختصر ، ج ٢ ، ص ١١٩ ، وابن المقدم هو الامير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم من كبار أمراء الدولتين النورية والصلاحية ، توفى بمكة سنة ٥٨٣ هـ متأثرا بجراحه التى لحقت به أثناء المعركة التى دارت بين الحجاج المراقيين والشاميين ، أنظر الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٧ ، ورقة ١٢ أ .

الفرس لنقله الى حلب • وعندما استولى سيف الدين غازى على بلاد الجزيرة ، بحث  
ابن الداية الى دمشق يطلب احضار الملك الصالح ، بحجة خوفه من مجىء سيف  
الدين للسيطرة على بلاد الشام <sup>(١)</sup> .

ويبدو أن ابن المقدم أدرك نوايا ابن الداية فرفض ارسال الملك الصالح  
عندما بحث اليه يطلبه • ثم عاود ابن الداية فبحث سعد الدين كمشتكين ، ومعه  
بعض الأمراء الى دمشق لاحضار الملك الصالح ، فخرج لهم ابن المقدم وتمقبهم  
فى الطريق وأنزل بهم خسائر عدا على أثرها الى حلب • ولم يياس ابن الداية <sup>(٢)</sup>  
من ذلك ، بل عاود تجهيز كمشتكين ، وبعثه مرة أخرى الى دمشق ، وسير معه  
الكتب الى كبار الأمراء ، فدخل دمشق واجتمع بهم وأخبرهم بما فى مسير الملك  
الصالح الى حلب من المصالح فوافقوه على ذلك وعاد الى حلب ومعه الملك الصالح <sup>(٣)</sup>  
<sup>(٤)</sup>

ويبدو أن ابن الداية عندما عزم على ارسال سعد الدين كمشتكين الى  
دمشق للمرة الثانية كان قد زوده بمعلومات كفيلة باقناع الأمراء الدماشقية دون  
ابن المقدم ، بوجوب انتقال السلطان الطفل الى حلب • ولعل تلك المعلومات  
تتلخص فى أن ابن المقدم على صلة بصالح الدين ، وأن صلاح الدين ربما استولى  
على شخص اسماعيل بمساعدته ، وأن المصلحة تتطلب ارساله الى حلب قبل فوات

- 
- (١) ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ص ٤١٥ ؛ ابو شامة ، الروضتين ج ١ ص ٢٤١  
ص ٥٩٠ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٣ ص ١٢ .  
(٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ج ٢ ص ١٠ .  
(٣) ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ص ٤١٥ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ج ١٢  
ص ٨ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٣ ص ١٤ .  
(٤) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ص ١٧٦ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ج ٢ ص  
٨ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٣ ص ١٤ .

الأوان<sup>(١)</sup> . كما يمكن القول بأن ابن الداية ربما يكون قد زود كمشتكين بالاغراءات  
للأمراء الدماشقة ، باسناد المناصب اليهم أو بزيادة اقطاعاتهم ، بدليل أنهم  
اشرطوا على ابن الداية عند موافقتهم على ارسال الصالح أن يخلف لهم على  
إقطاعاتهم بدمشق ويصمت نسخة اليمين مع أخيه سابق الدين عثمان .<sup>(٢)</sup>

ويخرج الملك الصالح من دمشق الى حلب ، ازداد التنافس بين الأمراء  
وطمح كمشتكين في الاستئثار بتدبير دولته . ودبر وهو في طريقه الى حلب  
مؤامرة للقبض على أولاد الداية وغيرهم من كبار الأمراء ، فقبض عليهم وأودعوا  
السجون ، وانفرد هو بتدبير أمور الملك الصالح وذلك في المحرم من سنة  
٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م .<sup>(٣)</sup>

وازاء هذا الحدث أيقن ابن المقدم ، ومعه الأمراء الدماشقة أن  
كمشتكين ان استقر له الأمر بحلب ، أخذ الملك الصالح وسار اليهم ، فقرروا  
اللجوء الى وسيلة تحميمهم من ذلك ، وراسلوا سيف الدين غازي ، صاحب الموصل ،  
الذي رفض المجيء لاستلام دمشق ، بل سار الى مراسلة الملك الصالح وسعد  
الدين كمشتكين وصالحهما على ما أخذه من البلاد ، معتقدا بأن الدماشقة ينوون  
خداعه . الأمر الذي ازدادت معه مخاوفهم ، فكاتبوا صلاح الدين في مصر ،

(١) أنظر حسان سعداوى ، التاريخ الحربى المصرى ، ص ٥٣ .

(٢) ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ص ١٤ .

(٣) الحنبلى ، شفاء القلوب ، ورقة ٢٢ - ٢٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١

ص ٤١٥ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٠٢ ، ص ٥٩٣ - ٥٩٤ .

ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٧ ، ص ١٦٥ ، ابن المديم ، زبدة

الحلب ، ج ٣ ، ص ١٤ - ١٥ ، ابن تفرى بردى ، النجوم الزاهرة

ج ٦ ، ص ٢٤ .

(١)  
وطلبوا منه الخروج اليهم لامتلاك دمشق .

كان للتنافس الذي حدث بين الأمراء النوريين بالشام حول الفسوز  
بتدبير دولة الملك الصالح ، وما أعقبه من أطماع داخلية وخارجية في السيطرة  
على أملاك الدولة النورية ، تلك الأطماع التي أهمها ما قام به الصليبيون  
من محاولة للسيطرة على أملاك تلك الدولة ، حتى اضطر هؤلاء الأمراء الذين  
حرصوا منذ البداية على منع صلاح الدين من التدخل في شئون الشام ، الى  
مراسلة عموري الأول ومهادنته . (٢) وكان لذلك أثره البالغ في إثارة غضب صلاح  
الدين ، فبحث يهود الأمراء النوريين بالشام ويتوعدهم بالخروج اليهم لحماية  
الملك الصالح ودولته ، فكتب رسالة الى شمس الدين بن المقدم وغيره من  
الأمراء يقول فيها « لو أن نور الدين يعلم أن فيكم من يقوم مقامى ، أو يشق به ،  
مثل ثقته بى لسلم اليه مصر ، التي هي أعظم ممالكه وولاياته ، ولو لم يعجل عليه  
الموت لم يعهد الى أحد بتربية ولده والقيام بخدمته غيرى ، وأراكم قد تفردتم  
بحولاي دونى ، وسوف أصل الى خدمته ، وأجازى انعام والده بخدمة يظهر  
أثرها وأجازى كلا منكم على سوء صنيعه في ترك الذب عن بلاده » . (٣) ورسالة أخرى  
يقول فيها « انا لا نؤثو الاسلام وأهله الا ما جمع شملهم ، ولف كلمتهم ، وللبيت

- 
- (١) الحنبلى ، شفاء القلوب ، ورقة ٢٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤١٥ - ٤١٦ ، ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٩ ، أبو الفدا  
المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٥٦ . ابن أبي الهيجاء ، تاريخ  
ابن أبي الهيجاء ، ورقة ١٧٣ .  
(٢) أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٩٤ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة  
الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٢٤ ، ابن الطيوس ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص  
٧ ، السبكي ، طبقات الشافعية ، ج ٧ ، ص ٣٦٠ - ٣٦١ ، ابن  
المديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٢ - ١٣ .  
(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٠٥ - ٤٠٦ ، ابن المديم ، زبدة  
الحلب ، ج ٣ ، ص ١٢ .

الأتاكي - أعلاه الله - الا ما حفظ أصله وفرعه أو دفع ضرره وجلب نفعه ،  
فالوفاء انما يكون بعد الوفاة ، والمحبة انما تظهر اثرها عند تكاثر اطماع  
العداة ، وبالجملة انا في واد والظانون بنا ظن السوء في واد ، ولنا من الصلاح  
(١)  
مراد ، ولم يحددنا عنه مراد .

والخلاصة أن تلك الخلافات بين الأمراء الشاميين ، تطورت تطورا  
خطيرا ، عند ما انفرد كمشتكين بتدبير أمور الملك الصالح ، ثم مصالحته لسيف  
الدين غازي ، مما أثار مخاوف بقية الأمراء من اطماعه ، فاضطروا الى الاستنجاد  
بصلاح الدين ، الذي أدرك أنه ينبغي مواصلة السياسة التي بدأها زنكي ، وجرى  
عليها نور الدين من بعده ، والتي تقضى بتوحيد كلمة المسلمين ، والقضاء على  
الصليبيين ، فأجاب طلبهم .  
(٢)

خرج صلاح الدين من مصر ، قاصدا الشام بعد أن تأكد من أن  
(٣)  
" الملك الصالح صبي لا يستقل بالأمر ، ولا ينهض بأعباء الملك " على رأس  
جيش قوامه سبعمائة فارس ، بعد أن استخلف على مصر أخاه الملك العادل ،  
وسار حتى وصل بصرى ، وهناك استقبله صاحبها الذي سبق أن كاتب صلاح  
الدين للقدوم الى الشام وقدم له المساعدات والتسهيلات . ثم سار صلاح الدين  
(٤)

(١) ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ٢ ، ص ١٨ ، السبكي ، طبقات الشافعية ،  
ج ٧ ، ص ٣٦١ .

(٢) الباز العريني ، الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ص

(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٠ ، أبو شامة الروضتين ، ج ١ ،  
ق ٢ ، ص ٦٠٤ ، ابن تفرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٢٥ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤١٦ ، وبصرى موضع بالشام من أعمال  
دمشق وهي قصبة كوره حوران ( أنظر ياقوت ، معجم البلدان ) .

حتى وصل دمشق ، وفتحت له أبوابها وتسلمها دون عناء يذكر في أواخر شهر  
(١)  
ربيع الآخر من سنة ٥٧٠ هـ / نوفمبر ١١٧٤ م .

وهنا يمكننا أن نؤكد أن خروج صلاح الدين إلى الشام لم يكن لمجرد  
الرغبة في تحقيق اطماع ومكاسب شخصية ، وإنما ظهر الاتجاه واضحاً في سياسته  
نحو تحقيق الوحدة الإسلامية والقضاء على عوامل الفرقة التي ظهرت في الدولة  
الثورية بقصد مواجهة الصليبيين صفاً واحداً بدليل ما صرح به صلاح الدين  
من عبارات تدل على ذلك عند خروجه إلى الشام .  
(٢)

تسلم صلاح الدين دمشق ، وسكن دار والده المعروفة بدار العقيق ،  
وكان عليه أن يتسلم قلعتها التي احتفظ بها الخادم ربحان ، ورفض بادي  
الأمر تسلمها . وهنا يبدو أن صلاح الدين لم ير الاصطدام بربحان وبعت إليه  
القاضي كمال الدين بن الشهرزوري يخبره بأنه لا يزال على ولائه للملك الصالح  
ابن نور الدين محمود ، وأنه إنما جاء لخدمته وإعادة دولته ، واستطاع ابن  
الشهرزوري اقناع ربحان ، وتسلم صلاح الدين القلعة ، واستتب له الأمر في

- 
- (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٠ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١  
ص ٤١٦ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ص ٦٠٤ ، ابن واصل ،  
مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٩ ، ابن تفرى بردى ، النجوم ، ج ٦ ، ص ٢٥  
(٢) أنظر سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ص ٢٤٧ ، أما العبارات  
التي قالها صلاح الدين عند خروجه إلى الشام فيذكر سبط ابن الجوزي  
( مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٤ - ٣ ) أن صلاح الدين كتب إلى  
شرف الدين بن عسرون يقول " لما بلغني وفاة المرحوم ، خرجت من مصر  
لقصد الجهاد ، وتطهير البلاد من أهل الكفر والعناد " . وذكر ابن واصل  
( مفرج الكروب ) ، ج ٢ ، ص ١٨ : " إن صلاح الدين قال " ولو استمرت  
ولاية هؤلاء القوم تفرقت الكلمة ، وطمع الكفار في البلاد " كما قال " أنا لا  
نؤثر للإسلام وأهله إلا ما جمع شملهم ولف كلمتهم " .



دمشق ، وظل يظهر الطاعة للملك الصالح ، فغضب النقود وأقام الخطبة باسمه .<sup>(١)</sup>

ولعل السبب في اتباع صلاح الدين الأسلوب الولاء للملك الصالح ، هو خوفه من إثارة الناس ضده ، واتهامه بخيانة سيده نور الدين . والتفت صلاح الدين بعد ذلك إلى استمالة قلوب أهل دمشق وذلك بتوزيع الأموال عليهم ، وإزالة ما استجد بعد وفاة نور الدين من منكرات وضرائب ومكوس .<sup>(٢)</sup>

وكان لدخول صلاح الدين دمشق ، وتثبيت أقدامه فيها بالاستيلاء على قلعتها ، أثره البالغ على نفوس القائمين بتدبير دولة الملك الصالح في حلب وعلى رأسهم سعد الدين كمشكين . فما أن سمعوا بذلك الأمر حتى سارعوا إلى الاستنجاد بسيف الدين غازي صاحب الموصل الذي سبق أن راسلهم<sup>(٣)</sup> فصالحوه على ما بيده من البلاد .

وهنا يبدو أن صلاح الدين أراد أن يتجنب الصدام مع الملك الصالح ، فأرسل إليه كتابا يظهر له الولاء ، ويؤكد له أنه إنما جاء لخدمته ، ولجمع كلمة المسلمين للوقوف في وجه العدو الصليبي . واستشار الملك الصالح كبار رجال دولته في حلب ، فأشاروا عليه بعدم الموافقة ، فرد على صلاح الدين برسالة شديدة اللهجة عده فيها باخراجه من دمشق واتهمه بالطمع في الملك . فغضب

- 
- (١) ابن النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٦ ، ورقة ١١٣ هـ . ابن الأثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٤١٦ - ٤١٧ هـ . البنداري ، سدا البرق الشامي ، ج ١ ، ص ١٧٧ هـ . ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٧ ، ص ١٦٩ هـ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٨٨ .
- (٢) أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٠٥ هـ . ابن تغري بوردی ، النجوم ، ج ٦ ، ص ٢٥ هـ . السبكي ، طبقات الشافعية ، ج ٧ ، ص ٣٦٢ .
- (٣) ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ٢ ، ص ٢١ .

صلاح الدين من ذلك ، وقال لرسول الملك الصالح « والله ما جئت الى هاهنا  
شرها ولا طمعا في الدنيا ، وفي مصر كفاية ، وما جئت الا لاستنقذ هذا الصبي  
(١)  
من يد مثلك وأمثالك وأنتم سبب زوال دولته » .

وعلى كل فانه يحتمل أن صلاح الدين عندما وصله ذلك التهديد من  
الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين ، وسمع باستنجاده بسيف الدين غازي ،  
أدرك خطورة موقفه في دمشق ، وقرر توسيع نفوذه في بلاد الشام ، فخرج من  
دمشق بعد أن استخلف عليها أخاه سيف الاسلام طغتكين ، فبدأ بحمص  
واستولى عليها في جمادى الأولى من سنة ٥٧٠ هـ / ديسمبر ١١٧٤ م ، واستعصمت  
عليه قلعته ، فلم يرتضييع الوقت في حصارها . وسار الى حماه ، فأستولى  
(٢)  
عليها في بداية شهر جمادى الآخرة من سنة ٥٧٠ هـ / أواخر ديسمبر ١١٧٤ م .  
ثم اتجه صلاح الدين الى حصار حلب ، فخرج الملك الصالح ، واحضر أهل  
حلب ، وذكروهم بسيرة نور الدين فيهم ، وتوسل اليهم بمقاومة صلاح الدين ،  
فخرجوا لقتاله . ولكن يبدو أن سعد الدين كمشتكين أدرك خطورة الموقف  
فراسل الاسماعيلية ، وبذل لهم أموالا طائلة ليقتلوا صلاح الدين ، وكادوا  
ينجحون في مهمتهم لولا انكشاف أمرهم وقتلهم بعد أن جرحوا صلاح الدين .

(١) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ ؛

ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢١ .

(٢) ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٠٧ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤١٧ - ٤١٨ ؛ ابوشامة ، الروضتين

ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٠٧ - ٦٠٨ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٢ ؛

ابن الحديد ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٠ - ٢١ ؛ ابن ابيك الد واداري

الدر المطلوب ، ص ٥٨ - ٥٩ ؛ المقرئ ، السلوك ، ج ١ ، ص ٥٨ - ٥٩ .

ولما فشل الاسماعيلية في أداء مهمتهم ، وبقى صلاح الدين على حصار حلب ، أرسل الحلبيون الى ريموند الصنجيلي أمير أمانة طرابلس الصليبية ، يطلبون منه المساعدة . وهنا يبدو أن ريموند هذا ، الذي كان وصيا على مملكة بيت المقدس عندئذ ، كان يدرك تماما أهمية تحالف الصليبيين مع أهل حلب ، بالإضافة الى خطورة قيام وحدة بين القاهرة ودמשق وحلب لذلك أسرع الى نجدتهم ، وسار لحصار حمص ، فاضطر صلاح الدين الى ترك حصار حلب وذلك في رجب من سنة ٥٧٠ هـ / فبراير ١١٧٥ م . فلما سمع الصليبيون بمقدومه رحلوا عن حمص ، فدخلها وملك قلمتها ، ثم توجه الى بعلبك فملكها أيضا في السنة (١) نفسها .

#### نزاع صلاح الدين مع الزنكيين : معركة خيرون حماء ، معركة تل السلطان :

والواقع أن صلاح الدين اتبع تلك السياسة الجديدة مرفعا ، قاصدا بذلك توحيد الصف لجهاد الصليبيين ، وذلك لما رآه من تواطىء الأمراء في حلب معهم خاصة بعد استنجادهم بريموند الثالث الصنجيلي صاحب طرابلس يد لنا على ذلك تلك الرسالة التي كتبت بخط القاضي الفاضل ، وبعثها صلاح الدين الى الخليفة العباسي ، ذكر فيها أن سبب خروجه الى الشام ، ما توافى اليه من الأخبار : « بما المملكة النورية عليه من تشعب الأراء توزعها ، وتشتت الأمور

---

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤١٩ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ج ١٢ ، ص ٢٩ - ٣٠ ؛ المقرئ ، السلوك ، ج ١ ، ص ٥٨ - ٥٩ ؛ سعيد عاشور ، الايوبيون والمماليك ، ص ٤١ ؛ ارنست باركر ، الحروب الصليبية ، ص ٨٠ .

وتقطعها ، وأن كل قلعة حصل فيها صاحب وكل جانب طمع اليه ، وأب ، وأن  
 قصد من ذلك الاستعداد لاسترجاع بيت المقدس الذي لن يتيسر فتحه وهو  
 بمصر ، " لبعث المسافة ، وانقطاع الحمار ، وكلال الدواب التي بها على  
 الجهاد القوة " . وأنه متى جاور بيت المقدس بانتقاله الى البلاد الشامية  
 " كانت المصلحة بادية والمنفعة جامعة ، واليد قادرة ، والبلاد قريبة ، والغزوة  
 ممكنة والمبرة متسعة ، والخيال مستريحة ، والمساكر كثيرة الجموع والأوقات  
 مساعدة " . وأن ذلك يمكنه من الحفاظ على الملك الصالح اسماعيل بن نور  
 الدين الذي كان صلاح الدين يرى أنه " به أولى من قوم ياكلون الدنيا باسمه  
 (١)  
 ويظهرون الوفاء في خدمته وهم ظالمون بظلمه "

وأدرك سيف الدين غازي أن صلاح الدين إذا ما تمكن من بلاد الشام  
 (٢)  
 فإنه سوف يتجه الى الموصل نفسه ، لذلك سارع بإجابة الملك الصالح وبعث الى  
 أخيه عماد الدين زنكي صاحب سنجار يطلب منه الاستعداد للمسير معه الى  
 الشام . وهنا يبدو أن صلاح الدين قد أدرك بادي ذي بدى خطورة تحالف  
 الزنكيين ضده فسعى الى الايقاع بينهم . ويقال أنه أرسل الى عماد الدين  
 صاحب سنجار يمينه بصفته أكبر أخوته ، فرفض إجابة أخيه سيف الدين الى ذلك .  
 (٣)  
 وعلى كل فان سيف الدين غازي ، عندما رأى عدم استجابة عماد الدين ،

- 
- (١) أنظر ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٢٢ - ٦٢٣ .  
 (٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٢٠ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ،  
 ج ٢ ، ص ٣٠ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٢ - ٢٣ .  
 (٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٢ .

جهز جيشاً أسند قيادته الى أخيه عز الدين مسعود . وبعد أن انضم اليه الجيش الحلبى زحفوا جميعاً على حماه ، وعندئذ عرض صلاح الدين على الزنكيين أن يتنازل لهم عن الحصون التى أخذها ويكتفى هو بدمشق على أن يكون نائباً للملك الصالح فيها ، إلا أن الزنكيين رفضوا ذلك العرض . والتقى الجمعان بمقزون حماه فى رمضان من سنة ٥٧٠هـ / أبريل ١١٧٥م ، ودارت بين الجانبين معركة انتهت بانتصار صلاح الدين (١)

والواقع أن هذه المعركة تعد من المعارك الهامة فى ذلك النزاع ، لما ترتب عليها من نتائج كان أهمها اقدام صلاح الدين عقب انتصاره فى تلك المعركة على حصار حلب ومن ثم اعلانه عزل الملك الصالح اسماعيل بقطع الخطبة عنه ، وإزالة اسمه من النقود ، ليبدأ بذلك سياسة مغايرة لما كان عليه من قبل ، حيث كان قبل ذلك يكن ولاءً للملك الصالح على أساس الاعتراف بجميل والده نور الدين محمود . إلا أن تلك السياسة لم تجد على ما يبدو مع أولئك الأمراء الطامعين ، الذين اضطروا نتيجة تجرأ صلاح الدين على عزل الملك الصالح الى الاعتراف بالأمر الواقع والسعى للصلح مع صلاح الدين . ووافق صلاح الدين على رفع الحصار عن حلب على أن يكون له ما بيده ولهم ما بأيديهم من بلاد الشام ، وأن يطلقوا ابن الداية . وأن تجتمع الجيوش الإسلامية لقتال الصليبيين ، ووقعت الايمان على ذلك . ويضيف أبو شامة نقلاً عن ابن أبى طى أن من جملة

(١) ابن واصل ، التاريخ الصالحى ، ورقة ١١٩٨ ، الحنبلى ، شفاء القلوب ، ورقة ٢٣ ، ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٠ - ٥١ ، ابن الاثير الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٢١ - ٤٢٢ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٣٣ - ٦٣٤ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٥ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ، البندارى ، سنا البرق الشامى ، ج ١ ، ص ١٨٨ - ١٨٩ ، ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٢ - ٢٣ ، ابن واصل ، مغزى الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٢ - ٣٣ .

اليمن أنه متى قصد الملك الصالح عدو حضر صلاح بنفسه وجيوشه ودافع عنه ،  
والا يغير الدعاء له على منابر البلاد التي تحت يد السلطان وولاياته وولايات  
أصحابه ، وأن تكون السكة باسمه .<sup>(١)</sup>

وعقب توقيع ذلك الصلح ، عاد صلاح الدين قاصدا دمشق ، فلما وصل  
الى حماه وصلت اليه رسل الخليفة العباسي المستنصر ، ومعهم التشرifications  
الجليلة والاعلام السود ، وتوقيع من الديوان بالسلطنة ببلاد مصر والشام . ويبدو  
أن ذلك كان ردا على الرسالة السابقة ، التي أرسلها صلاح الدين الى الخليفة  
العباسي ، تلك الرسالة التي حدد فيها أهدافه من المجيء الى الشام .

وبذلك يمكن القول بأن صلاح الدين أصبح مطلق التصرف في البلاد  
التي تحت يده ، حيث اقطع خاله شهاب الدين الحارثي حماه وابن عمه ناصر  
الدين محمد بن شيركوه حمص .<sup>(٣)</sup>

وبعث سيف الدين غازي صاحب الموصل الى أمراء حلب يلومهم على ذلك  
الصلح الذي نص على تملك صلاح الدين ما بيده من بلاد الشام ، بالاضافة

(١) الحنبلي ، شفاء القلوب ، ورقة ٣ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢

ص ٦٣٩ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٢ - ٣٣ ، .

(٢) ابن واصل ، التاريخ الصالحى ، ورقة ١٩٨ أ ، النويرى ، نهاية  
الارب ، ج ٢٦ ، ورقة ١١٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٢٢  
ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٦٩ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٢٣ ، ابو شامة ، الروضتين ،

ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٤٠ .

(١) الى تبنيه حماية الملك الصالح عند تعرضه لأي خطر خارجي . ولم يكشف سيف الدين غازي أمير الموصل بذلك التوبيخ الذي وجهه الى أمراء حلب بل أجبرهم على نقض ذلك العهد ، وبحث اليهم رسولا من قبله أخذ عليهم المواثيق بذلك ، ثم توجه ذلك الرسول الى دمشق ، ليأخذ له من صلاح الدين العهد والميثاق ويكشف ما عنده من نوايا . فلما وصل طالبه صلاح الدين بنسخة الميثاق ، فأخطأ الرسول وسلمه ميثاق الحلبيين ، فاطلع صلاح الدين على ما اتفقا عليه ، وتحقق انهم نقضوا العهد معه . فكتب الى نائبه بمصر الملك العادل يطلب منه المجيء الى الشام استعدادا لما يبيته له الزنكيون . (٢)

أما سيف الدين فقد استعد للقتال استعدادا كبيرا حيث أنهى خلافه مع أخيه عماد الدين زنكي صاحب سنجار ، واستجد بصاحب حصن كيفا ، وصاحب ماردين . (٣) وسا ربحيشه الى حلب ، فانضم اليه أهلها ، كما أرسل الى الصليبيين يطلب منهم مساعدته مقابل إطلاق سراح من كان في الأسر من أمراءهم . (٤) ثم سارت عساكر الموصل وحلب مع من انضم اليها الى تل السلطان وهو موضع على مسافة مرحلة من حلب باتجاه دمشق . أما صلاح الدين ، فقد سار بعد أن وصلته الامدادات من مصر على رأس جيشه لملاقاة الزنكيين وحلفائهم

(١) المعنى ، عقد الحماية ، ج ١٢ ، ورقة ٢٠١ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ق ٢ ، ص ٦٤٧ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٣٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٦ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٩٢ .

(٢) ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٤٧ - ٦٤٨ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٣٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٦ - ٣٧ .

(٣) حصن كيفا ، ويقال كيا ، وهي بلدة وقلعة عظيمة على درجة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر .

(٤) وماردين قلعة مشهورة على جبل الجزيرة مشرفة على نيسرود ارا ونصيبين (أنظر باقوت معجم البلدان) .

(٤) أنار ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٥١ .

فوصل الى تل السلطان . وهناك دارت بين الطرفين معركة في شوال سنة

(١)

٥٧١ هـ / ابريل ١١٧٦ م انتهت بانتصار صلاح الدين وهزيمة أعدائه .

ويمكن القول بأنه اذا كانت معركة قرون حماه ، قد أنهى كل آمال للملك

الصالح في استعادة ما أخذه صلاح الدين من البلاد ، فان سيف الدين غازي

يعد هذه المعركة تعرض لنفس المصير ، فقد عاد هاربا بعد تلك الهزيمة .

وبلغ به الأمر أنه لم يعد يأمن على نفسه هناك حتى فكر في الهرب من الموصل

لولا تدخل بعض رجاله لاقتاعه بالبقاء هناك . كما أن تصرف صلاح الدين بعد

معركة تل السلطان دل على استحقاقه لزعامة المسلمين وقيادة جيوشهم في

مستقبل جهادهم ضد الصليبيين ، اذا أصر جماعة أمراء حلب والموصل ثم

(٢)

أطلقهم بعد أن خلع عليهم وهذا التصرف دفعهم الى الانضواء تحت لوائه .

كما يلاحظ أيضا أن صلاح الدين أراد بعد تلك المعركة تأمين مركزه

في بلاد الشام وذلك بفصل حلب عن الموصل ، فأستولى على بعض المدن الواقعة

(٣)

شرقي حلب مثل بزاعة ومنبج ، كما يبدو أيضا أنه أراد قطع كل اتصال بها

(١) الاصفهاني ، البستان الجامع ، ورقة ١٢٠ أ ، ابن شداد ، النوادر

السلطانية ، ص ٥١ - ٥٢ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢ ، ص

٦٥١ - ٦٥٢ ، ابن واصل مفرج الكرب ، ج ٢ ، ص ٣٧ ، ٣٩ ،

البنداري سنا البرق الشامي ، ج ١ ، ص ٢٠١ ، ابن العديم ، زبدة

الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٦ - ٢٧ .

(٢) أنظر ابن واصل مفرج الكرب ، ج ٢ ، ص ٤٠ ، نظير حسان سعداوي ،

التاريخ الحربي المصري ، ص ٧٣ .

(٣) بزاعة : بلدة من أعمال حلب بين منبج وحلب ( أنظر ياقوت ، معجم

البلدان ) .



(١)

فأستولى على قلعة أعزاز سنة ٥٧١هـ / ١١٧٦م . ثم توجه بعدها ففرض  
حصارا قويا على حلب في ذى الحجة من سنة ٥٧١هـ / يونية ١١٧٦م . وهنا  
يبدو أن الحلبيين أدركوا عدم قدرتهم على المقاومة ، فكاتبوا صلاح الدين  
يتوسلون اليه ويطلبون منه الصلح ، فأجابهم الى ذلك . ودخل في هذا الصلح  
المواصلة وصاحب حصن كيفا ، وصاحب ماردين ، على أن يكونوا يدا واحدة على  
(٢)  
من نكته .

والواقع أننا نلاحظ أن صلاح الدين كان يسارع في كل مرة الى قبول  
الصلح عندما يالبه منه الزنكيون ، ولا يستبعد أن يكون قد قصد بذلك الاسلوب  
معالجة الأمور معهم بالطرق السلمية ، مدخرا القوة للجهاد ضد الصليبيين .  
أما عن دور الاسماعيلية في نزاع صلاح الدين مع الزنكيين ، فتجدر  
الاشارة الى أن الاسماعيلية طائفة لعبت دورا خطيرا في تاريخ الشرق الأدنى  
في عصر الحروب الصليبية ، وأثرت عن طريق مباشر وغير مباشر في مجرى أحداث  
تلك الحروب . وينتسب أفراد هذه الطائفة الى اسماعيل بن جعفر الصادق المتوفى  
سنة ١٤٥هـ والذي نجح اتباعه في اقامة الدولة الفاطمية . وظلت هذه  
هذه الدولة تتزعم الدعوة الاسماعيلية التي اشتد ساعدها بصفة خاصة في مصر  
والشام وفارس ، الا أن هذه الدعوة تصدعت عقب وفاة الخليفة المستنصر بالله

- 
- (١) ابن شداد ، الاوراق الخطية ، ج ١ ، ورقة ١٢٨ ب ، ابن الاثير ،  
الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٢٩ - ٤٣٠ ، ابو شامة الروضتين ، ج ١ ، ص ٤٢ ،  
ص ٦٥٥ - ٦٥٦ ، ابن الوردي ، التمهيد المختصر ، ص ١٢٣ ، سميح  
عاشور ، الايوبيون والمماليك ، ص ٤٣ .  
(٢) ابن واصل التاريخ الصالحى ، ورقة ١٩٨ ب ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١  
ص ٤٣١ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢ ، ص ٦٦٨ .

الفاطمي حيث انشق اتباعها في فارس والشام وانتوا الى نزار بن المشتصر  
 فأطلق عليهم اسم فرقة النزارية .<sup>(١)</sup> ومن أهم المبادئ التي أقام هؤلاء الاسماعيلية  
 عليها مذاهبهم ، أيمانهم بأن للمقيدة ظاهراً وباطناً ، وأن الشخص الذي يدرك  
 كنه الباطن ويتبعه لا يستحق العقاب ، وقد أدى بهم هذا الرأي الى تأويل  
 أحكام الشريعة ، فجعلوا لكل نوع من أنواع المياد باطناً ، مما جعل الناس  
 يطلقون عليهم اسم الباطنية .<sup>(٢)</sup>

وكان أول دعاة الباطنية أحمد بن عبد الملك بن عطاءش الذي قد مـهـ  
 الباطنية عليهم وألبسوه تاجاً وجمعوا له الأموال . وبعد وفاته حل محله الحسن  
 ابن الصباح ، الذي يعد أشهر دعاة هذه الفرقة في التنظيم ، إذ نظم هذه  
 الفرقة تنظيمًا محكمًا أساسه مبدآن هما : السرية التامة والطاعة العمياء . كما قام  
 الحسن بن الصباح أيضًا بتقسيم هذه الدعوة الى مراتب عدة ، أهمها مرتبة  
 الفداوية أو القدائيين ، التي اهتم الحسن بتدريب أفرادها تدريباً خاصاً  
 يتناول الجانبين الروحي والمادي ، بوصفهم الأداة التي اشتهرت بتنفيذ  
 سلسلة الاغتيالات التي اشتهروا بها في عصر الحروب الصليبية ، حيث كان القتل  
 هو السلاح الرهيب الذي استغله الباطنية في تنفيذ أغراضهم والتخلص من أعدائهم .<sup>(٤)</sup>

- 
- (١) سعيد عاشور ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ،  
 ص ٣٤٠ ، برنارد لويس ، الدعوة الاسماعيلية الجديدة ( الحشيشية )  
 ص ٥٤ - ٥٥ ، ٦٤ .
- (٢) عبد النعيم حسنين ، سلاجقة ايران ، ص ٧١ ، سعيد عاشور ، تاريخ  
 العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص ٣٤٠ .
- (٣) سعيد عاشور ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ،  
 ص ٣٤١ ، برنارد لويس ، الدعوة الاسماعيلية الجديدة ( الحشيشية )  
 ص ٦٣ .
- (٤) سعيد عاشور ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٣٤١ - ٣٤٤ .

ويدو أن نشاط هؤلاء الباطنية الهدام أخذ يمتد الى بلاد الشام منذ  
نهاية القرن الخامس الهجرى ، عند ما عطف عليهم رضوان ملك حلب واستمد  
لحمايتهم ، حيث استغل هؤلاء الباطنية ذلك ، وأخذوا يباشرون أعمالهم  
الاجرامية هناك ، حيث قاموا فى سنة ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م بقتل خلف بن ملاعب  
صاحب أفاصيه (١) .

وعلى كل فانه فى الوقت الذى كان صلاح الدين مشغولا بتوحيد الجبهة  
الاسلامية اضطر بعض الأحيان الى عقد هدنة مع طائفة الاسماعيليه فى بلاد  
الشام ، تلك التى أصبحت تملك قلاعا قوية ، وقد أزعجها ذلك النجاح الذى  
حققه صلاح الدين فى هذه البلاد . كما يبدو أن زعماء المسلمين وأمرأهم بالشام  
جعلوا منهم ورقة رابحة لاخراجها عند عزيمهم على التخلص من منافسيهم ، وخصومهم .  
ولعل أكبر دليل على ذلك ما حدث من أمرأ حلب من الاستعانة بهم للفتك  
بصلاح الدين عند حصاره لحلب سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٥ م . حيث أرسل سـمـد  
كشـتـيـن الى سنان مقدم الاسماعيليه ، وبذل له أموالا كثيرة ليقتل صلاح الدين  
فأرسل سنان جماعة من "فتاك أصحابه" فجاءوا الى معسكر صلاح الدين واختلطوا  
بمعسكره فعرفهم الأمير خمارنتكين صاحب قلعة أبى قبيس ، فزجرهم ، فوثبوا عليه  
وجرحوه (٢) / ثم تقدم أحد هم ويده سكينه مشهورة بقتل صلاح الدين ، فلما  
وصل الى باب الخيمة اعترضه أحد الأمراء فقتله ، ثم قبض على الباقيين وقتلوا (٣) .

(١) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٤٩ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ، ص ٤١٩ ، و أبو شامة ، في ذكر فى الروضتين ، ج ٢ ، ص ٦١٠ ، نقلا عن ابى أبى طى أن الاسماعيليه وثبوا على ناصح الدين  
خمارنتكين وقتلوه .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤١٩ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٦١٠ ،

لم تقتصر محاولة الاسماعيلية الفتك بصلاح الدين على هذه المحاولة الأولى التي وقعت في حلب ، بل حاولوا مرة أخرى الوثوب عليه بتحريض من أمراء حلب ، وهو يحاصر قلعة أعزاز سنة ٥٧١هـ / ١١٧٦م ، حين هجم عليه جماعة منهم حاولوا قتله لولا شجاعة صلاح الدين وتفاني أصحابه في الدفاع عنه ، واجابوا محاولتهم تلك وقتلهم .<sup>(١)</sup>

وهكذا أدى اتساع نشاط هؤلاء الاسماعيلية في بلاد الشام بوجه خاص الى اضافة عامل قوى جديد الى عوامل التفكك التي تعرضت لها تلك البلاد في عصر الحروب الصليبية .<sup>(٢)</sup> ومن هذا المنطلق أدرك صلاح الدين أنه لكي يحقق مشروع الوحدة الاسلامية ، فان عليه أن يقوم بتأديب تلك الطائفة . فمأن عقد الصلح مع أهل حلب حتى اتجه الى بلادهم وحاصر أعم قلاعهم وهي قلعة مصياف<sup>(٣)</sup> سنة ٥٧٢هـ / ١١٧٦م ، وضيق على من بداخلها ، ولم يزل كذلك حتى أرسل سنان مقدم الاسماعيلية الى شهاب الدين الحارثي خال صلاح الدين صاحب حماه يطلب منه التدخل بينهم . ويصلح الحال ويفتح فيهم . وهنا يذكر ابن الاثير أن شهاب الدين وافق على طلبهم ذلك وتدخل لدى صلاح الدين بسبب تهديد الاسماعيلية له ، بالاضافة الى ضجر جيش صلاح الدين

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٢ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٣٠ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٤٢ ، ص ١٥٩ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ٤١ ، ص ٣٣٥ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٨ - ٢٩ ، ابن تغري بردي ، النجوم ، ج ٦ ، ص ٢٣٨-٢٣٩ .  
أنظر أيضا Lewis, Saladin and the Assassins, p. ٢٣٨-٢٣٩.

(٢) سعيد عاشور ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص (٣) مصياف ، أو مصياف ، حصن مشهور بالساحل قرب طرابلس ، ( ياقوت ، معجم البلدان ) .

(١) من طول الحرب • أما ابن واصل ، فيرجع ذلك الى الجيرة التي كانت بين  
الاسماعيلية وشهاب الدين الحارثي • (٢)  
في حين يذهب آخرون أن شهاب الدين  
هذا لا علاقة له بذلك وأن صلاح الدين وافق على الصلح بسبب خوفه من  
هجوم الصليبيين على الشام الأعلى وهو بعيد عنهم (٣)

ومهما يكن من أمر ، فان صلاح الدين الذي كان يندل كل جهده  
للقضاء على كل ما يعكر صفو الوحدة الاسلامية وافق على مصالحة الاسماعيلية  
لأنه كان يرى أن من الأحسن ادخار قوته لساعة الفصل مع الصليبيين •

استيلاء صلاح الدين على مدن إقليم الجزيرة سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م :

وفي سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م توفي الملك الصالح اسماعيل بعد أن  
عهد بولاية حلب لعمز الدين مسعود ، صاحب الموصل ، فرأى صلاح الدين  
خطورة ذلك ، وأخذ يفكر في قطع الصلة نهائيا بين حلب والموصل واضعافهما  
ورأى الوسيلة الى ذلك استيلائهما على مدن إقليم الجزيرة •

ومما لا شك فيه أن صلاح الدين كان يعلم ما لهذه البلاد من أهمية  
كبرى في جهاده ضد الصليبيين ، فهو كما يبدو لنا كان في مقدوره عندما خرج  
من مصر بعد تحصينها والاطمئنان عليها ببناء السور وتشيد القلعة على طرف

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٣٤٦ •

(٢) ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ٢ ص ٤٨ • أنظر أيضا :

B. Lewis, Saladin, and the Assassins, p.p. 230-

(٣) العيني ، عقد الجمل ، ج ١٢ ، ورقة ٢٠٥ ، البنداري ، سنا البرق

الشام ، ج ١ ص ٢١٩ •

المقطم — كما سئرى فيما بعد — الاتجاه الى الشام بعد وفاة الملك الصالح ،

والاستيلاء على حلب ، حيث حاصرها ثلاثة أيام فقط ، ثم رحل عنها ولعل السبب (٢)

فى ذلك انه رآه أن جيش الشام ومصر لن يكفى لقتال الصليبيين فى فلسطين

فضلا عن تخوفه على ما يبدو من خيانة أهل هذه البلاد وضربه من الخلف أثناء

جهاده ضد الصليبيين فأثر ضمها أولا • وبلغ به العزم على ذلك أنه رفض العودة

الى بلاد الشام عندما بلغه آنذاك هجوم الصليبيين على دمشق وتخريب بعض

المدن المحيطة بها ، بل أجاب أصحابه بقوله • يخربون قرى ونملك عوضا عنها

(٣)

بلادنا ونعود ونمصرها ونقوى على قصد هم •

ورحل صلاح الدين عن حلب قاصدا البلاد الشرقية فى جمادى الأولى

من سنة ٥٧٨هـ / ديسمبر ١١٨٢م • وهنا تذكر المصادر سببا آخر شجع صلاح

الدين على السير الى هناك ، ذلك أن مظفر الدين كوكبورى ، صاحب حران ،

كاتبه يحثه على ذلك ويعدّه المساعدة • فارتحل عن حلب ونزل على البيرة التى (٤)

كان صاحبها قد دخل فى طاعة صلاح الدين • وهنا يبدو أن صلاح الدين أدرك (٥)

تذمر بعض الأمراء من سياسة الزنكيين ، فكاتب ملوك البلاد المجاورة هناك

(١) أنظر ما يلى — ص

(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٦ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ٣٠ ، المقرئ ، السلوك ، ج ١ ، ص ٧٨ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ،

ج ١٢ ، ص ٣١١ ، ابن سعيد ، المغرب ، فى حلى المغرب ، ص ١٤٨ •

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٨٤ •

(٤) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٦ — ٥٧ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ٣٠ ،

ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٥ ، ص ٢٠٥ ، ابوالفدا ، المختصر

فى أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٦٤ •

(٥) أنظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٧٥ — ٤٧٦ ، ابن واصل ، مفرج

الكروب ، ج ٢ ، ص ١١٦ ، ١١٧ •

ووعدهم بأن من جاء اليه راضيا سلمت بلاده له ، على أن كون من أجناس  
السلطان ومساعد يعلى جهاد الصليبيين ، فجاء الى خدمته صاحب ماردین ه  
ورسول من قبل صاحب حصن كيفا معلنين طاعتهما له .<sup>(١)</sup> أما عز الدين وأصحابه  
فانهم تأنوا قد ساروا الى نصيبين قاصدين حماية حلب من صلاح الدين الاأنهم  
فوجئوا به يعبر الفرات اليهم ه فعادوا الى الموصل ه فاستغل صلاح الدين  
ذلك ه وهاجم أقليم الجزيرة فاستولى على الرها وحران والفرقة وسروج ونصيبين  
وغيرها سنة ٥٥٧٨ هـ / ١١٧٢ م .<sup>(٢)</sup>

ويبدو أن صلاح الدين بعد انتصاره ذلك أراد أن يستغل تواجد  
جيوشه في تلك المنطقة ه فاستشار أصحابه في مهاجمة الموصل أو سنجار أو  
جزيرة ابن عمر ه فأشأوا عليه بالموصل لأهميتها ه فحاصرها حضارا شديدا  
قالبه الزنكيون بصمود هائل .<sup>(٣)</sup>

ويبدو أن صلاح الدين أخذ يشعر الحرج لمهاجمة الزنكيين - وهم  
مسلمون مما لا يتفق ودعوى الجهاد ضد الصليبيين ه لذلك حاول أن يدعهم  
مركزه بطلب التأييد من الخليفة العباسي الناصر لدين الله فبعث اليه رسالة  
يتهم فيها أمير الموصل بأنه عقد تحالفا مع الصليبيين قال فيها : « ولما تحقق

(١) الاصفهاني ه البستان الجامع ه ورقة ١١٢٣ - ب هـ ابو شامة ه الروضتين ه  
ج ٢ هـ ص ٣٢ هـ ابن واصل ه مفرج الكروب ه ج ٢ هـ ص ١١٦ - ١١٧ هـ

ابو الفدا ه المختصرة في أخبار البشر ه ج ٣ هـ ص ٦٤ .  
(٢) ابن شداد ه النوادر السلطانية ه ص ٥٧ هـ ابن الاثير ه الكامل ه ج ١١ هـ ص  
٤٨٣ - ٤٨٤ هـ ابو شامة ه الروضتين ه ج ٢ هـ ص ٣٢ هـ ابن المديسم ه  
زبدة الحلب ه ج ٣ هـ ص ٥٨ هـ المقرئ ه السلوك ه ج ١ هـ ص ٧٨ هـ ابن  
كثير ه البداية والنهاية ه ج ١٢ هـ ص ٣١١ هـ .

(٣) أنار ابن سعيد ه الروض المهبوب ه ج ٢ ورقة ٢٩ هـ ابن الاثير ه الكامل ه  
ج ١١ هـ ص ٤٨٤ - ٤٨٥ هـ ابو شامة ه الروضتين ه ج ٢ هـ ص ٣٣ هـ ابن واصل  
مفرج الكروب ه ج ٢ هـ ص ١١٩ - ٢٢١ هـ .

الخادم أن المواصله قد واصلوا الفرنج مواصله<sup>١</sup> خلصوا فيها الضمائر ٠٠٠٠ وعقدوا معهم عقدا ٠٠٠٠ وكان عقدهم احدى عشرة سنة ٠ والمستقر لهم في كل سنة عشرة آلاف دينار على أن تسلم ثغور المسلمين الى الكفار ٠٠٠٠٠ وأسارى الفرنج في كل بلدة بأيديهم وفي كل بلد يسترجعون من الخادم مائة الف الفرنج ٠٠٠٠٠٠ (١).

ولم يتأثر عز الدين محمود صاحب الموصل ٠ بتلك المناورات التي قام بها صلاح الدين ٠ بل صمم على الصمود أمامه ٠ فلبث إلى الاستانة ببضع (٢) الامراء المجاورين مثل قزل ارسلان صاحب اذربيجان وشاه أرضي صاحب خراسان ٠ أما الخليفة المباسي ٠ فقد اكتفى بالسعي للصلح بين صلاح الدين والزكيين ٠ وفوض صدر الدين شيخ الشيوخ<sup>(٣)</sup> في القيام بتلك المهمة ٠ حيث كان المواصله قد بحثوا اليه عندما علموا بمقدم صلاح الدين رسولا يخبره بذلك ٠ ويطلبون منه النجده ٠ الا أن هذه الوساطة لم تنجح بسبب اختلافها حول شروط (٤) الصلح ٠

والواقع أنه بالرغم من أن العلاقة بين صلاح الدين والخلافة المباسية قد ازدادت رسوخا وثباتا بحيث فاقت بكثير ما كان هناك بين سيده نور الدين

(١) ابو شامه ٠ الروضتين ٠ ج ٢ ص ٣١ ٠ ابن شاهنشاه الأيوبي ٠ مضمهر الحقائق ٠ ص ١٤٤ ٠ أنظر أيضا سعيد عاشور ٠ الحركة الصليبية ٠ ج ٢ ص ٧٧٦ - ٧٧٧ ٠

(٢) ابن الاثير ٠ الكامل ٠ ج ١١ ص ٤٨٧ ٠

(٣) الشيخ صدر الدين هو شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن اسماعيل بن أبي سعيد ابن أحمد النيسابوري ولد سنة ٥٠٨ هـ ٠ ذكر ابو شامه ٠ الروضتين ٠ ج ٢ ص ٥٧ أنه رتب في شيخه الشيوخ منذ توفي والده سنة احدى وأربعين وخمسائة ٠ ولم يزل على ذلك إلى أن توفي في سنة ٥٨٠ هـ (أنظر أيضا ابن الاثير ٠ الكامل ٠ ج ١١ ص ٥٠٩ ٠ ابن واصل ٠ مفرج الكروب ٠ ج ٢ ص ١٦٢)

(٤) أنظر ابن الاثير ٠ الكامل ٠ ج ١١ ص ٤٨٦ ٠ ابو شامه ٠ الروضتين ٠ ج ٢ ص ٣٣ ٠ =



والخلافة العباسية في بغداد ، لا تقامها في الصالح والأهواء . فالخلافة  
الفاطمية التي انتهت في مصر على يد صلاح الدين ، خلفت وراءها ذيو لا  
يستهان بها ، مما سبب لصلاح الدين متاعب كثيرة ، حيث تعرض لعدة مؤامرات  
من جانب الشيعة في مصر ، فضلا عن المؤامرات التي دبرها الباطنية لقتله  
بالشام . وازاء هذه الاخطار التي هددت صلاح الدين من جانب الشيعة  
في مصر وجد نفسه مضطرا للارتقاء في أحضان الخلافة العباسية ، التي لاشك  
أنها نظرت بعين العطف والارتياح الى الجهود الكبيرة التي بذلها صلاح الدين  
في استئصال جذور التشيع من مصر ، وتوطيد دعائم المذهب السني ، فضلا  
عن أن الخلافة العباسية في صحتها كان يعنيها في المقام الأول ، أن يكون لها  
في مصر والشام رجل قوى يد ين لها بالتبعية والروحانية على الأقل . <sup>(١)</sup> غير أن  
الخلافة العباسية قد أقلقها بعد ذلك الانتصار السريع الذي حققه صلاح الدين  
ضد الزنكيين ، وأنها أصبحت تخاف على مركزها سيطا وأنه بوصله الى الموصل ،  
أصبح منها قاب قوسين أو أدنى . لذلك لا يستبعد أن نرى أنها أصبحت عقب  
ذلك حريصة كل الحرص على الابقاء على البقية الباقية من البيت الزنكي خوفا من  
ازدياد نفوذ صلاح الدين ، ليصبح قوة تطغى على نفوذ الخلافة ، ولتظل  
الموصل كما كانت خطا دفاعيا عن بغداد . ولعل مما يؤيد ذلك ما ذهب اليه <sup>(٢)</sup>  
بعض المؤرخين من أن الخليفة العباسي بعث الى صلاح الدين يأمره بالرحيل

= ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ٢ ص ١٢٢ - ١٢٣ ، ابن شاهنشاه  
الايوبي ، مضار الحقائق ، ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(١) أنظر سعيد عاشور ، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، ص ٦٩ -  
٧١ .

(٢) نظير حسان سعداوى ، التاريخ الحربى المصرى ، ص ١٣٩ .

(١)

• عن الموصل أثناء حصاره لها •

وأخيرا يمكننا القول بأن صلاح الدين رأى أنه لابد من ترك حصار  
الموصل لهذه الأسباب آنفة الذكر مضافا اليها تخوفه من تلك المعاهدة التي  
انعقدت بين الموصل والصلبيين ، والتي تعهد أهل الموصل فيها بدفع  
عشرة آلاف دينار سنويا للصلبيين ، وتسليمهم بعض ثغور المسلمين ، وإطلاق  
سراح أسراهم مقابل مساعدتهم ضد صلاح الدين • (٢)

وفي طريق عودة صلاح الدين من الموصل ، مر بسنجار التي كان أهلها  
أثناء حصاره للموصل يقطعون طريق من يقصده من عساكره ، فاستولى عليها في  
شعبان من سنة ٥٧٨ هـ / ديسمبر ١١٨٢ م • (٣)

استيلاء صلاح الدين على حلب سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م :

يذكر ابن الأثير أن سيف الدين غزي صاحب الموصل في آخر أيامه وذلك  
سنة ٥٧٦ هـ أراد أن يعهد بملك الموصل لابنه معز الدين سنجر شاه ، إلا أن  
كبار أمراءه تدخلوا وأشاروا عليه بأن يعهد بذلك لأخيه عز الدين مسعود ، لما  
هو عليه من شجاعة وقوة نفس يستطيع بها مقاومة صلاح الدين الذي اتسع  
نفوذه في بلاد الشام • (٤)

- 
- (١) ابن الصمد ، شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٥٩ ، العبر في خبر من غبره ،  
ج ٤ ، ص ٢٣٢ •  
(٢) أنظر ما سبق ، ص ٦٦ •  
(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ،  
ص ٤٨٧ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٢٠٦ •  
(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٦٣ •

كما سار على هذا النهج الملك الصالح اسماعيل في حلب ، فانه عندما  
أشد به المرض وأراد أن يوصى بالملك بعده أشير عليه بابن عمه وصهره عماد  
الدين زنكى الثانى فرفض ذلك ، وذكر أصحابه بما وصل اليه نفوذ صلاح الدين  
في بلاد الشام ، وأنه لم يبق منها سوى مدينة حلب نفسها وإذا سلمت إلى  
عماد الدين لم يستطع حفظها من صلاح الدين ، ومتى استولى عليها صلاح  
الدين فلن يبقى البيت الزنكى مقام هناك ، وأن من الأحسن تسليمها إلى  
عزالدين مسعود صاحب الموصل لكثرة عساكره وبلاده وأمواله .  
(١)

وبالرغم من أنه يبدو للباحث من هاتين الروايتين أن الأمراء الزنكيين  
أصبحوا يخشون بأس صلاح الدين إلى درجة أن كل أمير تحضره الوفاة كان يعتمد  
إلى اختيار خلف قوى يستطيع مكابهة صلاح الدين .

و عندما توفي الملك الصالح في رجب من سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م سار  
عز الدين مسعود إلى حلب فتسلمها ودخل قلعته ، واستولى على ما بها من  
الخزائن ، وتزوج أم الملك الصالح قائداً بذلك شبيته أقدامه هناك . ويذكر  
ابن الأثير وغيره أن أهل حماه خرجوا عن طاعة صلاح الدين وذلك في شعبان  
من سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م ، وأن أهل حلب أشاروا على عز الدين بمهاجمة

- (١) ابن الأثير الكامل ج ١١ ص ٤٧٣ ؛ أنظر أيضا أبو شامة ، الروضتين  
ج ٢ ص ٢١ - ٢٢ ؛ سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٦٧ ؛  
ابن واصل ، مفرج الكروب ج ٢ ص ١٠٧ - ١٠٨ ، ابن العديم ،  
زبدة الطب ج ٣ ص ٤١ ، ابن تفرى بردى ، النجوم الزاهرة ج ٦  
ص ٨٩ - ٩٠ .  
(٢) تاريخ ابن أبي الهيجاء ، ورقة ١٧٨ ؛ أبو شامة ، الروضتين ج ٢ ص ٢٢ ؛  
ابن خلكان وفيات الأعيان ج ٧ ص ١٦٩ ؛ سبط ابن الجوزى ، مرآة  
الزمان ج ٨ ص ٣٦٧ .

د مشق وغيرها من بلاد الشام مستخفين غيا بصلاح الدين عنها ، فلم يفعل  
 وقال « بيننا وبين فلا نفد ربه » (١) ويبدو أن تردد عز الدين ومحافظة على  
 المهد يرجع الى ما اشاعته هيئة صلاح الدين وشخصيته في قلبه من رغبة وفزع (٢)  
 كما لا يستبعد أن يكون قد شعر بأن توسعه قد يؤدي الى اثاره أخيه عماد  
 الدين وتكثيف نفائسه خاصة وأنه كان يحظى بمكانة كبيرة في نفوس أهل الشام  
 بدليل الحاحهم بادى الأمر على الملك الصالح بأن يجعله خلفا له .

ولم يطل مقام عز الدين مسعود بحلب بل رحل عنها في شوال من سنة  
 ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م . بعد تسليمها بعدة شهور الى الرقة وفيها وصلته رسالة  
 أخيه عماد الدين صاحب سنجار يطلب منه أن يسلم اليه حلب ويأخذ منه سنجار  
 عوضا عنها ، فلم يجبه الى ذلك . ولكن يبدو أن عز الدين كان قد تخوف من رد  
 الفعل لدى صلاح الدين ، وخاصة أن أخاه عماد الدين قد هدده بأن يسلم  
 سنجار الى صلاح الدين اذا لم يوافق على طلبه . كما أن تسليم حلب لعز الدين  
 لم يرق لبعض الأمراء فيها ، حيث راسلوا عماد في السري باليون مجيئه الى  
 حلب ، بالإضافة الى الحاحهم في طلب الاموال والزيادة في الاقطاع . كل ذلك (٣)  
 (٤)  
 (٥)

- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٧٤ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٠٨ ، ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٤٦ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ .
- (٢) نظير حسان سعداوى ، التاريخ الحربى المصرى ، ص ١٣٠ .
- (٣) ابن الاثير الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٧٤ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٠٩ - ١١٠ ، ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٤٧ .
- (٤) أنظر ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٤٥ .
- (٥) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٠٩ .

جعل عز الدين يوافق على طلب أخيه ، فتنازل له عن حلب مقابل أخذ سنجاره ،  
(١)  
وعاد الى الموصل بعد أن أدرك أنه ليس بإمكانه حفظ الموصل مع الشام .

وحدث ما توقعه عز الدين مسعود حيث وصل صلاح الدين الى الشام  
في صفر من سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م ، وبدأ بحصار حلب ، ثم رأى أن يتجه شرقا  
لفزو الموصل فاستولى على مدن إقليم الجزيرة - كما سبق أن ذكرنا - وعاد  
بعد ما قاصدا حلب فاستولى في طريقه على آمد وتل خالد وعين تاب في المحرم  
من سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م . ويبدو أن صلاح الدين قصد بذلك قطع أى اتصال  
بحلب بالإضافة الى تعزيز قواته لحصارها . ولعل ذلك كان السبب في أنه سلم  
آمد بخزائنها الى صاحب حصن كيفا ، كما أن هذا العمل يبعد صلاح الدين  
كل البعد عن الأنانية وحب السلطة ، وقصد بأعماله تلك الاستعداد لجهاد  
الصليبيين . (٣)

اتجه صلاح الدين بعد ذلك الى حلب في المحرم من سنة ٥٧٩هـ / يونيه

١١٨٣م فأحكم حصارها ولقى مقاومة من أهلها بادية الأمر . ولكن يبدو  
أن عماد الدين زنكى الثانى أدرك أنه لا قبل له بمقاومة صلاح الدين وذلك  
لأسباب عدة منها : أن ذلك سوف يكلفه الشيء الكثير ، حيث أخذ يقتصد فى

(١) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٦٢ ، ابن واصل ،  
مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٩٣ - ٤٩٤ ، ابن واصل ، مفرج الكروب  
ج ٢ ، ص ١٣٩ ، المقرئ ، السلوك ، ج ١ ، ص ٨١ ، ابن خلدون ،  
المبر ، ج ٥ ، ص ٣٠ ، ابن الوردي ، المختصر ، ج ٢ ، ص ١٣٣ ، وآمد  
مدينة من أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدرا ، وتل خالد قلعة من نواحي  
حلب ، وعين ناب قلعة حصينة بين حلب وانطاكية ، ( أنظر ياقوت ، معجم  
البلدان ) .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٩٤ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، =

اخراج الاموال ، محتجا بأن أخاه عز الدين مسعود لم يترك له بها شيئا . الأمر

(١)

الذى أغضب أهل حلب ، وطلبوه بانفاق كل ما يملك في سبيل الحفاظ عليها .

كما أن لحكمة صلاح الدين دور كبير في ذلك ، حيث تظاهروا بأنه يريد أن يسكني

مساكن على جبل جوشن بالقرب من حلب ، مما أدخل الرهبة والفرح في قلوب

الحلبيين .<sup>(٢)</sup> يضاف الى ذلك وقوف عز الدين مسعود من ذلك موقفا سلبيا - حيث

لم تذكر المصادر قيامه بشيء لمساعدة أخيه وحماية حلب . لذلك اضطر عماد

الدين الى مفاوضة صلاح الدين ، ومال الى أن يسلم اليه جلد مقابل اعطائه

سجنار ، فوافق صلاح الدين على ذلك ، وزاده على طلبه الخابور والرقم

ونصيبين . واستقر لصلاح الدين أمر حلب في صفر من سنة ٥٧٩هـ / يونيه

(٣)

١١٨٣م

والواقع أن استيلاء صلاح الدين على حلب قد ترتبت عليه نتائج هامة

كان لها الأثر الكبير في مشروع الجهاد ضد الصليبيين . حيث أصبحت مقاليد

بلاد الشام كلها بيد صلاح الدين ، كما أنه يمكن القول بأن دولته بعد ذلك

أصبحت من حيث السعة والمناعة الحربية والسعة أكبر دولة في الشرق الأدنى

كله ، إذ شملت جميع البلاد من دجلة الى النيل وشواطئ أفريقيا الشمالية حتى

طرابلس ، فضلا عن النوبة واليمن والحجاز . وذكر ابن جبير أنه في جمادى

الأولى من سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م دعا الخطيب بمكة للخليفة العباسي ، ثم

ج ٦٤ ص ٩٤ ، ابن الصبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢١٩ ، الباز  
الصبري ، الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، القسم الأول ، الايوبيون

(١) ابن الأثير ، الكامل ج ١١ ص ٤٩٦ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ،

ص ١٤٢ ، ابن الحديد ، زبدة الحلب ، ج ٣ ص ٦٤ - ٦٥ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ج ١١ ص ٤٩٦ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ،

ص ٤٣ ، ابن شاهنشاه الايوبي ، مضار الحقائق ، ص ١٤١ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ج ١١ ص ٤٩٧ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ص ٤٣ ،

سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ص ١٧٦ - ١٧٧ ، ابن  
واصل ، التاريخ الصالح ، ورقة ٢١٠ ب ، أنظر أيضا العماد ، البرق الشامى

ج ٥ ص ١٠٩ - ١١٠

لأمير مكة ، ثم لصالح الدين ، وما أن وصل إلى اسم صلاح الدين حتى «  
(١)  
خفت الألسنة بالتأمين عليه من كل مكان » .

أما بالنسبة للصليبيين فإن استيلاء صلاح الدين على حلب وتوابعها ،  
كان بمثابة ضربة خطيرة وجهت لهم ، ذلك أن صلاح الدين بهذا العمل أصبح  
أقوى حاكم في الشرق الاسلامي . بالإضافة إلى تأكيد الروابط العسكرية بين  
محور مصر والشام ، حتى غدت أملاك الصليبيين بالشام محصورة داخل هذا  
المحور . (٢)

واستطاع صلاح الدين باستيلائه على حلب ، أن يوقع الانقسام بين  
البيت الزنكي نفسه ، فنرى أن من ضمن الشروط التي سلم بفوجيها سنجار  
وغيرها من مدن إقليم الجزيرة إلى عماد الدين زنكي الثاني ، أن تكون جيوش  
تلك المناطق تحت تصرفه إذا أراد الفزوة . (٣) ولعله بهذا العمل قد ضمن عدم  
تدخل عماد الدين لمساعدة أخيه عز الدين مسعود صاحب الموصل إذا ما أراد  
صلاح الدين بمهاجمة الموصل . والأهم من ذلك أنه بهذا الشرط ضمن  
مؤازرة عماد الدين له إذا أراد الفزوة ضد الصليبيين .

الموصل تدوين بالولاء لصالح الدين سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م :

بعد أن استولى صلاح الدين على حلب توجه إلى جهاد الصليبيين

- (١) ابن جبيرة الرحلة ، ص ٩٦ ، نظير حسان سعداوى ، التاريخ الحربى  
المصرى ، ص ١٤٨ .
- (٢) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ص ٧٨٠ ، نظير حسان سعداوى  
التاريخ الحربى المصرى ، ص ١٤٧ .
- (٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٤٩٧ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ،  
ج ٢ ص ٤٣ ، ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ٢ ص ١٤٢ .

(١)  
 بعض الوقت ، فغزا بيسان والكرك ، وهذا يكشف لنا السياسة الحكيمة التي  
 اتبعتها صلاح الدين في تلك الرحلة التي كان يعد نفسه بها للجهاد ضد  
 الصليبيين ، ففي الوقت الذي كان يعمل فيه جاهدا لتوحيد الجبهة الاسلامية ،  
 كان يقوم بغارات متعددة على ممتلكات الصليبيين ، لايجاد توازن بينه وبينهم ،  
 حتى تمكن في النهاية من التفرغ لهم . الا أن ذلك لم ينسهم ضم الموصل ،  
 والاستفادة من امكانياتها في جهاده ضد الصليبيين ، والعزم على حصارها .  
 وهنا حدثت احداث ربما كان لها الأثر الكبير في دفعه الى اتخاذ هذه الخطوة  
 من ذلك ما قام به مظفر الدين كوكبوري صاحب حران من حيث صلاح الدين —  
 على قصد الموصل ، حيث أكثر من مراسلته ، ثم خلف بوعده عند ما وصل صلاح  
 الدين الى حران ، بالاضافة الى استجداد صاحب أربل به عند ما تعرض  
 لهجوم من قبل عز الدين مسعود نفسه .<sup>(٢)</sup> كما يبدو أن عز الدين مسعود بعد  
 أن استولى على حلب أدرك حرج موقفه ، وأنه ليس في مقدوره مقاومة صلاح  
 الدين لوحدا حاصر الموصل . لذلك أراد أن يدخل في مفاوضات معه . فبعث  
 الى الخليفة المباسي يتوسل اليه في انقاذ مندوب من قبله الى صلاح الدين  
 للقيام بدور الوساطة بينهما ، فأرسل شيخ الشيوخ صدر الدين الذي انضم اليه  
 وفد من أهل الموصل . ووصلوا الى دمشق في ذي القعدة من سنة ٥٧٩هـ / فبراير  
 ١١٨٥م ولكنهم عادوا دون التوصل الى نتيجة في ذلك .<sup>(٣)</sup>

### (١) أنظر ما يلي في الفصل الثالث :

- (٢) أبو شامة ، كتاب الروضتين ج ٢ ص ٦١ ، ابن واصل مفرج الكروب ، ج ٢ ،  
 ص ١٦٥ .  
 (٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٦٨ ، سبط ابن الجوزي ، مرة  
 الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ص ٣٨٣ .  
 (٤) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٦٥ ، سبط ابن الجوزي ، مرة  
 الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ص ٣٧٨ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ص  
 ١٦٢ ، ابن شامة ، مناقب الأيوبي ، مضمار الحقائق ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .  
 أنظر أيضا العماد ، البرق الشامي ، ج ٥ ص ١٦ - ١٧ .



ومهما يكن من أمره فان صلاح الدين سار الى حزان في أوائل سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م وهناك انضمت اليه عساكر صاحب حصن كيفا ، ودارا . كما دخل في طاعته معزالدين سنجر شاه ابن أخى عزالدين مسعود ، صاحب جزيرة (١) ابن عمر ، الذى كان قد خرج عن طاعة عمه بعد قبضه على مجاهد الدين قايمار . ثم سار صلاح الدين باتجاه الموصل في ربيع الأول من سنة ٥٨١هـ / يونية ١١٨٥م . ويبدو أنه أراد أن ينال من الخليفة العباسي تقليدا يخوله الاستيلاء على الموصل ، فبعث اليه يخبره بما عزم عليه من منازلة الموصل وأن هناك أسبابا تجبره على ذلك منها أن أهل الموصل يخطبون لسلطان المعجم ، وينقشون النقود باسمه ، كما أنهم يواسلون الصليبيين ويجرضونهم على مهاجمة بلاد الاسلام ، وأنه لا يقصد بذلك الطمع في الملك أو التخلي عن البيت الزنكي ، وإنما قصده رد عم السى طاعة الخليفة ونصرة الاسلام ، وقطعهم عن مواصلة المعجم . (٢)

أما عزالدين مسعود فانه لما سمع باقتراب صلاح الدين من الموصل أخرج اليه نسوة كان من بينهن ابنة نورالدين محمود ، ومعهن جماعة من أعيان الموصل يطلبون من صلاح الدين الصلح ، فاستشار صلاح الدين أصحابه في ذلك فاختلّفوا بين مؤيد وممتنع وقال بعضهم : ان عزالدين ما أرسلهن الا وقد عجز عن حفظ البلد . وازاء هذه العبارة لم يستطع ابن الاثير أن يخفى تعصبه للمواصلة ، فذكر أن عزالدين مسعود لم يرسل هؤلاء النسوة بسبب احساسه

(١) أنظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٩٩ - ٥٠٠ .

(٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ١٦٦ .

(١) الضعف والوهن أمام صلاح الدين ، وإنما فعل ذلك لدفع الشر بالتي هي أحسن ، ولا شك أن عز الدين مسعود أدرك أنه سيواجه صلاح الدين وحيداً ، وأنه لستم يعدد يجمع في أكثر من الموصل . لذلك أثر أن يذل كل ما في وسعه في سبيل الاحتفاظ بها ، إلا أن صلاح الدين كان يعلم أنه لن يهدأ بالاً إلا بالسيطرة على تلك المنطقة ، فرد النسوة وصمم على النزول على الموصل بالرغم مما وصله عن اتفاق ملوك الشرق على قتاله إذا هاجم الموصل . وفرض عليها حصاراً استمر (٢) قرابة شهر . (٣)

وفي تلك الاثناء توفي شاه أرغين صاحب خلاط في ربيع الآخر من سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م ، ولم يكن له ولد يخلفه فقام مقامه أحد مماليكه . (٤) ويسعد وأن صلاح الدين كان يتحين الفرض لتوسيع نفوذه في تلك المنطقة قاصداً بذلك تضيق الخناق على الموصل ، فأستشار أصحابه في قصد خلاط ، ثم حدث أن جاءه بعض أعيانها ، يستدعونه ليسلموها إليه . وهنا يقال أنهم فعلوا ذلك مكرًا وخديعة بصلاح الدين ، بسبب خوفهم من شمس الدين البهلوان — ابن أيلكز صاحب أذربيجان وحمذان الذي كان ينوي السيطرة على بلد هم ، في الوقت الذي سمعوا فيه بمسير صلاح الدين اليهم . » ليدفعوا به البهلوان ويدفعوه

- 
- (١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥١٢ .  
 (٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٦٩ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٦٥ - ١٦٦ .  
 (٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٣ ، ويذكر أن ابن العديم ، ( زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٨٢ ) أن ذلك الحصار استمر شهرين .  
 (٤) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٦٥ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥١٣ - ٥١٤ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١ ، ص ٣٨٣ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٦٨ - ١٦٩ ، وخلاطه قصبة أرمينية الوسطى ( أنظر يا قوت ، معجم البلدان ) .

(١)

بالبهلولان ويبقى البلد بأيديهم .

ومهما يكن من أمر فان صلاح الدين سار باتجاه خلاط ونزل على ميافارقين ،  
 وحلول الاستيلاء عليها بالقوة الا أنه لقي مقاومة كبيرة بها ، الأمر الذي دعاه الى  
 الى استخدام الحيلة في ذلك . فأوقع بين زوجة قطب الدين ايلك الزبي صاحب  
 مارد بين المقيمة بالبلد بعد وفاة زوجها وبين أسد الدين برنقش الذي ولى  
 ميافارقين بعد وفاته . فسلم أسد الدين البلد الى صلاح الدين في جمادى  
 الأولى من سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م مقابل اشتراطه مالا واقطاعا .  
 (٢)

والواقع أن استيلاء صلاح الدين على ميافارقين يعد من الأحداث الهامة  
 في ذلك النزاع الذي دارت رحاه بين صلاح الدين والبيت الزنكي ، فهو بجانب  
 كونه بذلك قد ضيق الخناق على الموصل ، فان ابا شامة يذكر نقلا عن العماد  
 الاصفهاني ، أن صلاح الدين قلل نال بعد فتحها تشريفا من الخليفة العباسي  
 خوله النظر في أحوال ديار بكر ومصالح ايتام ملوكها . الأمر الذي زاد مركزه  
 قوة في تلك المنطقة ، وأصبح كل تصرف له مصبوغا بصبغة شرعية .  
 (٣)

عاد صلاح الدين بعد أن رتب شئون ميافارقين قاصدا حصار الموصل ،

- 
- (١) أنظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥١٤ .  
 (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥١٦ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ،  
 ج ٥ ، ص ٢٠٦ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٧٠ ، ابن  
 سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، ص ١٥١ ، ابن العماد ، شذرات  
 الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٦٨ ، الذهبي ، المعبر في خبر من غيره ، ج ٤ ،  
 ص ٢٤١ ، اليافعي ، مرآة الجنان ، ج ٣ ، ص ٤١٩ .  
 (٣) ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٦٣ .

فغزل بالقرب منها وذلك في شعبان من سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م . وهنا يبدو  
 أن عز الدين مسعود قد فقد الأمل في الحفاظ على الموصل ، خاصة بعد  
 فشله في الحصول على النجدة من الخليفة العباسي ، وملك المعجم البهلولان ،  
 بالإضافة إلى كون صلاح الدين قد عزّم على المقام بالقرب من الموصل ،  
 واقطاع تلك البلاد على جيشه ، وأخذ غلالها ودخلها ، واضعاف الموصل بذلك .  
 ومن ناحية أخرى فإنه لا يستبعد أن يكون صلاح الدين نفسه قد رأى أن من  
 الأفضل معالجة الموقف بالطرق السلمية ، قاصداً بذلك حقن دماء المسلمين  
 التي لا غنى له عنها في جهاده ضد الصليبيين بعد ذلك . كما يحتمل أيضاً  
 أن يكون قد تخوف من قيام الصليبيين بهجوم مباغت على بلاد الشام مستغلين  
 طول غيابه عنها . ولعل ما يؤيد ذلك ما ذهب إليه بعض المؤرخين من أن  
 صلاح الدين قد أرسل إلى عماد الدين زنكي ( الثاني ) صاحب سنجار يطلب  
 منه القيام بدور الوساطة بينه وبين أمير الموصل .<sup>(٣)</sup>

ومهما يكن من أمر ، فإن عماد الدين زنكي لم يلبث أن قام بهذا  
 الدور ، فأخذت رسله تتردد بين الطرفين ، وانتهى الأمر ، بأن تسلم صلاح  
 الدين شهرزور وقلاعها وحصونها وضياعتها ، وكذلك ما وراء النهر من البوازيج  
 وغيرها من البلدان المجاورة . وأن تكون الخطبة والسكة في الموصل لصلاح<sup>(٤)</sup>  
 (١) ابن هداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢٠ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ،  
 ج ٢ ، ص ٦٤ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٧١ .  
 (٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٧١ .  
 (٣) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٦٤ ، ابن واصل ، مفرج الكروب  
 ج ٢ ، ص ١٧١ .  
 (٤) شهرزور : كورة واسعة في الجبال بين اربل وهمدان ، والبوازيج : بلد  
 قرب تكريت على نهر الزاب الأسفل حيث يصب في دجلة وهي من أعمال  
 الموصل ( أنظر ياقوت ، معجم البلدان ) .

الدين ، الذى كان قد انتقل الى حران بسبب مرضه ، فوصلته وسل عزالدین مسعود وعلى وأسهم المؤرخ ابن شداد<sup>(١)</sup> واستقر الصلح بين الطرفين وحلف كل منهما للآخر ، وترتب على ذلك أن أقيمت الخطبة لصلاح الدين فى ديار بكر ، والبلاد الارتقية ، وذلك فى ذى الحجة من سنة ٥١٨ هـ / مارس ١١٨٦ م<sup>(٢)</sup> وهنا يبدو أن ابن الأثير الذى عرف بميله للزنكيين ، أراد أن يبعد هم عن مظهر الوهن والضعف أمام صلاح الدين ، فذكر أن صلاح الدين هو الذى حلف أولاً ثم بعث رسله الى عز الدين مسعود فحلف لهم<sup>(٣)</sup> .

ومما لا شك فيه أن هذا الصلح يعد مكسبا كبيرا لصلاح الدين ، استطاع بواسطته أن يقوى عدته استعدادا للجهاد ضد الصليبيين ، حيث يذكر أبو شامة فى الروضتين ، رسالة كتبها عماد الدين الى لسان السلطان الى أخيه سيف الاسلام طختكين واليه على اليمن يخبره بأن من ضمن شروط صلحه مع أهل الموصل : أن تكون عساكرهم فى خدمته للجهاد<sup>(٤)</sup> . كما يبدو أيضا أنه بهذا ، استطاع أن يقضى على المعاهدة الزنكية الصليبية بعد مضي أربع سنوات على إبرامها ، وأن يحقق الشرط الاول من حلم عماد الدين الزنكى ونور الدين محمود فيما يختص بتوحيد كلمة المسلمين تحت زعامة رجل واحد .

- 
- (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص .  
 (٢) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٧ ، ص ٦٤ ، وابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٧١ - ١٧٢ ، ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٥ ، ص ٢٠٧ .  
 (٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥١٧ .  
 (٤) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٦٤ .

والمواقع أن صلاح الدين بهذا الانجاز العظيم الذي حققه بتوحيد  
الجهة الإسلامية ، أصبح في مركز قوى يمكنه من توجيه جهوده  
لجهاد المسلمين واسترداد بيت المقدس .

\*\*\*\*\*

## الفصل الثاني

جيش صلاح الدين وتنظيماته الحربية

- صلاح الدين وتجديد حركة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين .
- تطور نظام الاقطاع الحربي في عصر صلاح الدين .
- ديوان الجيش الصلاحي .
- تنظيم الجيش الصلاحي .
- الاسلحة والمؤن والعتاد .
- أساليب القتال .
- دور الاسطول في جهاد صلاح الدين .

## الفصل الثانى

### جيش صلاح الدين وتنظيماته الحربية

~~~~~

#### صلاح الدين وتجديد حركة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين :

جاء صلاح الدين ليحقق ذلك الحلم الذى بدأه عماد الدين زنكى ثم ابنه نور الدين محمود ، لتوحيد كلمة المسلمين ووقوفهم صفا واحدا لتصفية المدوان الصليبي الذى خيم على المشرق الاسلامى فى ذلك الوقت . والباحث فى تاريخ الدولتين الزنكية والصلاحية يدرك أن قيامهما كان صحوه اسلامية استهدفت ايقاظ العالم الاسلامى من سباته العميق الذى استغله الغرب الأوربى ، مثالا فى الحملات الصليبية ، ليفرض سيادته على أجزاء منه . وبالرغم من أن عماد الدين زنكى ثم نور الدين محمود قد تمكنا من القضاء على كل ما يعكر صفو الوحدة الاسلامية سواء بانتهاء حالة الانقسام التى حلت بالعالم الاسلامى والتى أهمها قضاء نور الدين محمود على الخلافة الفاطمية الشيعية فى مصر التى كانت تنافس الخلافة العباسية السنية فى بغداد ، أو بالقضاء على اماره الرها تلا اماره الصليبية التى أسسها الصليبيون فى أعالي العراق . وجاء صلاح الدين يجدد دعوة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين .

والواقع أننا اذا تتبعنا أعمال صلاح الدين فى هذا المجال . ندرك أن المانع الاساسى له كان الجهاد فى سبيل الله . ولما كان ذلك لا يتأتى الا بتوحيد كلمة المسلمين فانه قد سعى جاهدا فى سبيل تحقيق ذلك ، حتى تمكن من تكوين جبهة اسلامية ضمت مصر والشام وأقليم الجزيرة . قضى فى سبيل تحقيقها نحو



تسعة أعوام ( ٥٧٠ - ٥٧٩ هـ / ١١٧٤ - ١١٨٣ م ) أصبح بفضلها أقوى ملك بين ملوك الشرق <sup>(١)</sup> . ثم اتبع ذلك بثلاث سنين تمكن خلالها من اخضاع الموصل وتحقيق ولائها له وذلك في سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٦ م - كما سبق أن ذكرنا ، ليمود بعد ذلك لمواصلة الجهاد ضد الصليبيين ذلك الجهاد الذي كان يعد في نظره فرض عين على كل مسلم ، لا يقل عن كونه ركنا من أركان الاسلام . ومن الأدلة على ذلك ما ذكره أبو شامة نقلا عن العماد الاصفهاني من أن المسلمين بعد استرجاعهم بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م عقدوا العزم على الحج وأحرموا من المسجد الأقصى على أن الحج والجهاد في نظرهم « ركنا الاسلام » <sup>(٢)</sup> . كما أورد ابن كثير في البداية والنهاية أن صلاح لما رجع الى دمشق بعد غزوة حصن كوكب سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٩ م ووجد الصفي بن القابض وكيل الخزانة قد بنى له دارا ضخمة بقلعة دمشق ، غضب عليه وعزله وقال « انا لم نخلق للمقام بدمشق ولا بنخيرها من البلاد ، وانما خلقنا لمباداة الله عز وجل والجهاد في سبيله » <sup>(٤)</sup> .

والى جانب ذلك فان صالح الدين كان قد اتبع أساليب عدة دلت على اهتمامه البالغ بتجديد دعوة الجهاد الاسلامي ودفع المسلمين الى أداء هذا

- 
- ( ١ ) أنظر نظير حسان سعداوى ، الحرب والسلام زمن المماليك .  
 ( ٢ ) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٢٣ .  
 ( ٣ ) الصفي بن القابض : أحد أمراء المسلمين الذين ولاهم صلاح الدين دمشق توفي سنة ٥٨٧ هـ ( أنظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٧٧ ) .  
 ( ٤ ) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٢٩ .

الواجب ، منها اهتمامه الشخصى بأمر الجهاد ، حيث حرص على أن يكون قدوة  
صالحة فى هذا العمل ، فكانت مجالسه لا تخلو من الحديث عن الجهاد  
لا سيما فضائله وأساليب التأهب والاستعداد له وشغفه به ، فيروى أنه قال فى  
أحد مجالسه " متى يسر الله فتح الساحل قسمت البلاد وأوصيت وودعت  
وركبت هذا البحر الى جزائره ، أتبعهم حتى لا أبقى على وجه الأرض من يكفر  
بالله أو أموت " (١) وكان الرجل من أصحابه إذا أراد أن يتقرب اليه ، ذكر له  
شيئا من أخبار الجهاد ومحاسنه وفضائله وحمقه عليه ، كما بلغ شغف صلاح الدين  
بأمر الجهاد فى سبيل الله أن طلب من كبار وزرائه وكتابه أن يؤلفوا له كتابا  
عدة فى هذا الموضوع بينوا فيها فضائل الجهاد وآدابه مستشهدين بالآيات  
الكريمة والأحاديث الشريفة التى وردت فيه ، فكان ممن ألف له فى هذا الشأن  
العماد الأصفهاني حيث يقول " وكنت قد جمعت له كتابا فى الجهاد بدمشق " (٢)  
وكذلك القاضي الفاضل الذى قال : " وأنا ممن جمع له فى الجهاد كتابا جمعت  
فيه آدابه وكل آية وردت فيه وكل حديث روى فيه " (٣) كما قال المؤرخ بهاء  
الدين شداد " وأنا ممن جمع له فيه كتابا جمعت فيه آدابه ، وكل آية وردت فيه  
وكل حديث روى فى فضله ، وشرحت غريبها ، وكان رحمه الله - كثيرا ما يذم  
حتى أخذه منه ولده الملك الأفضل " (٤)

- 
- (١) ابن سعيد ، الروض المهبوب ، ج ٥٢ ورقة ١٧ ب ، ابن شداد ، النوادر  
السلطانية ، ص ٢٢ ، ابن واصل مفرج الكرب ، ج ٥٢ ص ٤٣٣ .
- (٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢١ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ،  
ج ١ ص ٦٥ ، ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، ص ١٢٧ .
- (٣) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ص ١٢٤ .
- (٤) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ص ٢١ - ٢٢ .
- (٥) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢١ .

كما اتبع صلاح الدين الى جانب ذلك أسلوبا آخر لتجديد دعوة الجهاد الاسلامي وحث الناس عليه ، دل على رجاحة عقله وعظم اهتمامه بهذا الأمر :  
لقد كان يقوم بإرسال الرسل ومعهم الكتب الى الخليفة العباسي املالا لعله  
على سير الممارك والفتوحات كما حدث بعد معركة حطين وفتح عكا سنة  
٥٨٣هـ / ١١٨٧م حيث قال العماد الاصفهاني في نهاية كتاب بحثه اليه ذكر  
فيه ذلك الانتصار ، وعزمهم على فتح بيت المقدس ، وما يتأخر النهوض الى  
البيت المقدس وهذا أو ان فتحه وقد دام الضلال ، وقد آن أن يسمر فيهم  
(١)  
المهدي عن صحة الاسلام ، واما لاخباره بحلول الازمات ، كما حدث عند ما  
بلغه مقدم ملك الالمان فردريك بربروسا ، حيث بحث رسولا من قبله هو المؤرخ  
ابن شداد يعلمه بذلك ، ومن ثم أمره بالسير الى أمراء الموصل والجزيرة  
وسن جارا واربيل لحثهم على الجهاد ، فأجابوه الى ذلك وتأهبوا للمسير الى  
صلاح الدين . (٢) ولا شك أن صلاح الدين قصد بذلك استغلال السلطة الروحية  
للخليفة العباسي في ذلك الحين لاستنفار المسلمين وحثهم على الجهاد في  
سبيل الله ، لتطهير المقدسات وصد الأعداء . بالاضافة الى أن ذلك يدلنا  
على أن صلاح الدين كان يبحث رسلا من قبله الى شتى البلاد الاسلامية لاستنفار  
المسلمين للجهاد في سبيل الله . وأن ذلك لم يكن مقصورا على البلاد الخاضعة

(١) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٩٦ .

(٢) ابن سعيد ، الروض المهبوب ، ج ٢ ، ورقة ٣٦ أ ، النويري ، نهاية  
الارب ، ج ٢٦ ، ورقة ١٣٠ ، ابوشامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص

١٥٠ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣١٠ .

لسلطته بل تعدى الى أبعد من ذلك ، فأرسل رسله لاستنفار التركمان وترغيبهم  
(١)

فى الجهاد بكافة الوسائل وذلك بضخهم التشریفات وبذل العطايا والمنح لهم .

كما أنه لم یكتف بأرسال رسله الى المشرق الاسلامى ، بل بحث سفارة من قبله

” ومعها سنبه من التحف والالطاف ” الى الموحدين فى الغرب ” لاستنفارهم

للجهاد فى سبيل الله ، وذلك عند وصول ملوك الغرب وسقوط عكا فى أيديهم

(٢)

سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م

كما يظهر لنا أن اصلاح الدين اتخذ من خطباء المساجد وسيلة للدعاء

لجيشه بالنصر وحث الناس على الجهاد فى سبيل الله . يدلنا على ذلك ما ذكره

ابن شداد من أن صلاح الدين كان حريضا على شن معاركه أيام الجمع لا سيما

أوقات صلاة الجمعة تبركا بدعاء الخطباء على المنابر . يضاف الى ذلك ما  
(٣)

كان للقضاء والفقهاء من دور كبير فى ترغيب الناس فى الجهاد وارشادهم الى

فضائله . ولعل خير دليل على ذلك تلك الخطبة التى ألقاها القاضى محيى

الدين الزكى بعد استرداد بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ، والتى تضمنت

الى جانب كونها شكرا لله على ما حققه المسلمون من نصر باسترداد بيت المقدس ،

حث الناس على الجهاد وبيان ماله من فضائل . ثم انه لما قضيت الصلاة نصب  
(٤)

(١) الصمد ، الفتح ، ص ٣٢٣ .

(٢) ابوشامه ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٣٧ ، سبط ابن الجوزى ،

مرواة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٤٠٥ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ،

ص ٣٦١ - ٣٦٢ .

(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٧٥ .

(٤) أنظر نص الخطبة فى أبى شامه ، كتاب الروضتين ، ج ١١٠ - ١١٢ ،

ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ .

سريرا للوعظ وجلس عليه زين الدين الواعظ ه فوعظ الناس موعظة وصف لهم فيها  
الجهاد وفرائضه وفضائله وحشهم عليه .  
(١)

كما أهتم صلاح الدين أيضا بأشغال الحماة في نفوس المسلمين أثناء  
اشتداد الازمات وسير الممارك ه حيث كان كثيرا ما يسير بين صفوف الجيش  
ويحثهم على الجهاد وينادي « يا للإسلام » تارة بواسطة الجاوش ه كما حدث  
أثناء الوقعة الكبرى على مرج عكا سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م ه وتارة بنفسه كما حدث  
على عكا أيضا سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م عند ما ساءت أحوال الحامية الإسلامية  
وأشرف الصليبيون على دخولها .  
(٢)  
(٣)

وخلاصة القول أن ما ذكرناه من الأدلة التي سقناها على سبيل المثال  
لا الحصر ه يدلنا دلالة واضحة على أن صلاح الدين قد قام بدور فعال جدد  
فيه الدعوة إلى الجهاد الإسلامي في وقت كان العالم الإسلامي يمر فيه بمرحلة  
خطيرة ه وشجع المسلمين على الدفاع عن ممتلكاتهم ومقدساتهم ه مؤكداً أن  
الجهاد فرض مقدم على كل عمل ه وأنه واجب لا فسحة فيه بأي حال من الأحوال .  
ولعل مما يؤكد هذا ذلك الكتاب الذي بعثه إلى صاحب أربل في سنة

- 
- (١) أبو شامة ه كتاب الروضتين ه ج ٢ ه ص ١٠٩ - ١١٠ .  
(٢) ابن واصل ه مفرج الكروب ه ج ٢ ه ص ٢٩٦ ه والجاوش : يبدو أنه  
جند يا كانت مهمته النداء واستنفار الجند للقتال ( انظر ابن واصل ه  
مفرج الكروب ه ج ٢ ه ص ٢٩٥ حاشية ) .  
(٣) ابن واصل ه مفرج الكروب ه ج ٢ ه ص ٣٥٦ ه ابن الفرات ه تاريخ ابن  
الفرات ه م ٤ ه ج ٢ ه ص ١٣ .

٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م عندما طلب منه منشورا يخوله الانفراد بحكم ابريل وما حولها  
من البلاد والقلاع ، فرد عليه قائلا : " ان الله لما مكن لنا في الأرض ، ووفقنا  
في اعزاز الحق ، واطهاره لاداء الفرض ، رأينا أن نقدم فرض الجهاد في  
سبيل الله ، فنوضح سبيله ، ونقبل على اعلاء كلمته في أرضه . . . . " (١) يضاف  
الى ذلك أيضا ما حدث قبل ذلك عندما عزم صلاح الدين على حصار الحصن  
الذي بناه الصليبيون عند مخاضة بيت الأحزان مستغلين انشغاله بحصار  
بعلبك سنة ٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م . حيث تملل بعض أصحابه ببعض الاعذار  
وطالبوه بمسألة الصليبيين ، فرد عليهم قائلا " ان الله أمر بالجهاد وتكفل  
بالرزق ، فأمره واجب . " (٢)

والجدير بالذكر أن وجوب الجهاد في نظر صلاح الدين لم يكن مقصورا  
على أهل تلك البلاد التي استطاع توحيد كلمتها تحت رايته ، بل أن ذلك  
يشمل العالم الاسلامي بأكمله ، يد لنا على ذلك احدى رسائله التي بحث بها  
الى أمير المغرب سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م يدعو الى الاسهام في الجهاد ضد  
الصليبيين ، تلك الرسالة التي ذكر فيها أنه لم يدعه الا " لواجب عليه والى  
ما هو مستقل به وما يقيق له . " كما يبدو لنا من هذه العبارة أن صلاح الدين  
قد جعل الجهاد الاسلامي في حكم الحج وأن الجهاد واجب على المسلم  
المستطيع شأنه في ذلك شأن الحج .

(١) ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٦٠ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ،  
ج ٢ ، ص ١٦٣ .

(٢) ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٦ .

(٣) ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٧١ .

ولم يكن صلاح الدين وحده هو الذى تبين دعوته الجهاد الاسلامى ، بل كان لأفراد جيشه دور كبير فى احياء هذه الفريضة ، يد لنا على ذلك تلك الاجتماعات التى كانت تعقد بينهم ، يتذاكرون فيها فوائض الجهاد وفوائله فقد اجتمعوا مرة وقام المؤرخ بهاء الدين بن شداد - بأمر صلاح الدين - بحثهم على الجهاد ، ويدعوهم الى التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان يفعله مع أصحابه ، وذلك الاجتماع عند الصخرة والتحالف على الموت .  
(١)  
فاستحسن الحاضرون ذلك ووافقوا عليه . كما كانوا يتباشرون ويتسابقون على معسكر صلاح الدين بمجرد علمهم بعزمه على الجهاد . ولا شك أنهم بذلك يؤثرون على غيرهم من المسلمين ، فيجعلونهم يتوافدون على الجهاد فى سبيل الله زرافات ووحدانا ، وخاصة المتطوعة . كما حدث عند عزم صلاح الدين على كبسى خيام الصليبيين فى معركة مرج الميون سنة ٥٧٥هـ / ١١٧٩م يضاف الى ذلك ما كان يقوم به جيش صلاح الدين من أعمال جليلة فى ميادين القتال كان الهدف منها خالصا لوجه الله تعالى . ولعل خير دليل على ذلك ، ما فعله ذلك الشاب المشقى الذى استطاع أن يحرق تلك الابراج الثلاثة التى نصبها الاليسيون على عكا ، عندما عرضت عليه الخلع والأموال نظير ذلك ، فلم يأخذ منها شيئا قائلا « انا فعلت هذا لله تعالى » . فضلا عن أن هذا العمل دليلا واضحا على أن جهود صلاح الدين لتجديد دعوة الجهاد الاسلامى قد وجدت

---

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢١٦ .

(٢)

(٣) الحنبلى ، شفاء القلوب ، ورقة ٤٤ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ،

ج ٨ ، ق ١ ، ص ٤٠٢ .

استجابة كبيرة بين المسلمين •

### تطور نظام الاقطاع الحربي في عصر صلاح الدين :

نشأ نظام الاقطاع الحربي في الشرق الاسلامي في العصور الوسطى في عهد الدولة السلجوقية ، التي كانت تدير على أساس صرف مرتبات نقدية للجيش النظامي حتى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي ، حيث أدى اتساع رقعة الدولة وصعوبة السيطرة عليها ، وازدياد الادارة المالية بياض المرتبات التي تصرف للجيش الى تفكير نظام الملك في الاستعاضة عن المرتبات النقدية <sup>(١)</sup> بالاقطاعات من الارض لمختلف الجند •

ومن المعروف أن مصر في العصر الفاطمي شاعت أحيانا نظاما اقطاعيا ، ولكنه لم يكن اقطاعا حريا • ولكن هذه الاقطاعات غير الحربية ، ما لبثت أن حدث لها بعض التغيير في طبيعتها ، وذلك عندما منحت هذه الاقطاعات المصرية لأمرأ جيش نور الدين ، اذ ارتبطت هذه الاقطاعات بالخدمة الحربية حسب النظام الاقطاعي الزنكي الذي كان اقطاعا وراثيا فقد كان من عادة نور الدين محمود عندما يموت أحد الأمراء المقطعين ، منح اقطاع الاب المتوفى لابنه ، وفي حالة صغر الابن كان السلطان يعين من يدهو الاقطاع حتى يكبر • وكان هذا هو السبب الذي جعل الأمراء يبرزون قدراتهم الحربية في الحرب ، وكان نور الدين قد اعتاد أخذ الاقطاع من أي أمير يهمل في واجباته ، والدليل

---

(١) المقرئزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٩٥ ، نظير حسان سمد اوى ، جيش



على ذلك أنه في سنة ٥٦٢هـ / ١١٦٧م عندما كان غالبية أمراء نور الدين محمود متردد بين في محاربة الفاطميين والصليبيين عند البابيين في صعيد مصر هدد الأمير شرف الدين برغش أنهم إذا رفضوا القتال فسوف يسترد السلطان نور الدين اقطاعاتهم ويطلب منهم إعادة الموارد التي أخذوها منها ، ولهذا حاربوا بشجاعة حتى انتصروا .<sup>(١)</sup>

أما الاقطاع الذي أحدثه صلاح الدين في مصر ، فلم يكن يتطابق تماما مع نموذج الاقطاع الزنكي ، وهو الاقطاع الذي اعتاده صلاح الدين وأصلوه ، فالاقطاع الايوبي كان يمنح كما هو الحال في الاقطاع الزنكي مقابل الخدمات الحربية ، غير أنه لم يكن اقطاعا وراثيا ، ولا يمنح المقطع أي سيادة على أراضي الاقطاع . إذ أن من المعروف أن طبيعة نظام الاقطاع ورغبة السلطان المستمرة في تحسين فعالية النظام الحربي ، لا يسمح بتوريث الاقطاع ، وكان صلاح الدين يعرف أن توريث الاقطاع سوف يؤدي الى نتائج عكسية بالنسبة للخدمات الحربية فسيحدث حالات ، وذلك عندما يموت المقطع ويترك طفلا صغيرا ، أو عددا من الاطفال ويصبح الحاصل على الاقطاع ليس في سن تؤهله لحمل السلاح ، ولا يستطيع الاشتراك في حملات عسكرية ، كما أن توزيع الاقطاع بين عدد من الاطفال كان يؤدي بالتالي الى نوع من الفوضى في الاقطاع .<sup>(٢)</sup>

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٢٥ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ،

ج ١ ، ص ٣٦٥ .

Hassanein Rabie, the Financial System of Egypt, .

pp. 28-30.

2) Rabie, on., pp. 59-60.

والى جانب ذلك فان منح الاقطاع بواسطة السلطان ، ليس معناه منح ملكيات الاراضى الزراعية لهذا المقطع ، وليس معناه أيضا تمتع المقطع بمتحصلات الاقطاع لفترة طويلة ، بل أن منح الاقطاع يعطى المقطع مجرد الحق فى أن يجمع لنفسه ولأجناده مجموعة معينة من الضرائب فى مقابل الواجبات المدنية والعسكرية (١)  
التي كان ملزما بأدائها .

بدأ صلاح الدين بتوزيع أراضى مصر على هيئة اقطاعات فمنح بعضهم لأهل بيته ، والبعض الآخر وزعه بين أمراءه وقادة جيشه ، فاقطع والده نجم الدين الاسكندرية ودماط والبحيرة ، واقطع أخاه شمس الدولة تورانشاه قوص وأسوان وعيذاب . وما يؤكد ذلك أيضا ما ذكره المقرئى فى الخطط حيث قال « وأما منذ أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب الى يومنا هذا ، فان أراضى مصر كلها ، سارت تقطع للسلطان وأمراءه وأجناده » . ولم يقتصر توزيع الاقطاعات الحربية فى عهد صلاح الدين على أرض مصر بل تعدى ذلك الى كل البلاد ذلك ~~الى كل البلاد التى تمكن صلاح الدين من ضمها الى مشروع الوحدة الاسلامية .~~  
واتبع عدة طرق لتوزيع تلك الاقطاعات على أمراءه وأجناده ، منها ما كان غرضه منه تثبيت أقدامه فى البلاد التى تخضع له . مثلما حدث عندما استولى على حمص وحماه سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٤م حيث اقطع الأولى لابن عمه ناصر الدين محمد ابن أسد الدين شيركوه ، والثانية لخاله شهاب

1) Hassanein Rabie, op. Cit. P. 57

(٢) العيني ، عقد الجمان ، ج ١٢ ، ورقة ١٨١ ، ابن قاضى شعبة الكواكب الدرية ، ص ١٨٧ ، المقرئى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٧ .

(٣) المقرئى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٩٧ .

(١)

الدين الحارمى .

كما استخدم صلاح الدين توزيع الاقطاعات وسيلة لتحقيق الوحدة

الاسلامية ، يدلنا على ذلك ، النداء الذى وجهه عند نزوله على البيرة ، حيث

كتب ملوك الاطراف ، قائلا " من جاء مستسلما سلمت بلاده على أن يكون من  
(٢)

أجناد السلطان ، واتباعه ومساعديه على جهاد الكفرة " وكذلك ما فعله مع  
(٣)

عماد الدين زنكى ، وعز الدين مسعود صاحب الموصل ، كما سبق أن أشرنا .

ومع صاحب عتبات الذى قام بمراسلة السلطان معلنا دخوله فى طاعته ونزوله

(٤)

على خدمته ، فلما فتحها أقرها عليه اقطاعات وذلك فى سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م .

كما كان صلاح الدين يمنح رجاله الاقطاعات مكافأة لهم على ما قاموا به

من أعمال جليلة ، يدلنا على ذلك ما فعله صلاح الدين مع أمير حصن كيفا الذى

(٥)

أقطعه أمدة مكافأة له نظير ما قدمه لصلاح الدين من خدمات . وكذلك ما فعله

مع سيف الدين المشطوب ، عندما أطلقه الصليبيون من الأسر ، إذ أحسن

(٦)

صلاح الدين استقباله ، واقطعه نابلس وأعمالها وذلك فى سنة ٥٨٨هـ / ١١٩٢م .

(١) ابن واصل ، التاريخ الصالحى ، ورقة ١٩٨ أ ، الفاهي ، دول الاسلام ،

ورقة ١٠٧ أ ، الهندارى ، سنا البرق الشامى ، ج ١ ، ص ١٩٣ ، ابن

أيك اليد وادارى ، الدر المطلب ، ص ٥٨ - ٥٩ ، ابن خلدون المعبر ،

ج ٥ ، ص ٢٥٧ .

(٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٣٩ .

(٣) أنظر ما سبق .

(٤) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٣٩ .

(٥) ابن تفرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٩٤ .

(٦) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٨١ ، التاريخ الصالحى ، ورقة

٢٠٧ ب .

كما يلاحظ أن صلاح الدين في توزيعه للاقطاعات قد راعى الجوانب الأمنية في دولته ، فوزع الاقطاعات على القبائل العربية التي كثيرا ما خانهم أهلها وحملوا الغلات الى الصليبيين ، فاقطع قبيلتي جذام وشملة اقطاعات متفرقة في الديار المصرية ، وذلك للحفاظ على الأمن وحث أولئك العربان على الاشتراك معه في الجهاد .<sup>(١)</sup>

ومن خصائص الاقطاع الأيوبي أنه يجيز أن ينتقل الاقطاع من مقطع الى آخر ، ولكن ذلك الانتقال لم يكن عن طريق الوراثة . ولم يحدث توريث الاقطاع في عهد صلاح الدين سوى ثلاث مرات ، ففي سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م توفى ناصر الدين محمد بن شيركوه ، فأعطى صلاح الدين اقطاعه في حوص والرحبه لولده شيركوه .<sup>(٢)</sup> وفي سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م أعطى صلاح الدين اقطاع شمس الدين ابن المقدم أمير الحاج الشامي لابنه عز الدين الذي ولاه الحاج الشامي أيضا .<sup>(٣)</sup> وفي المرة الثالثة أعطى صلاح الدين ثلثي اقطاع الأمير سيف الدين علي بن أحمد المشطوب لابنه عماد الدين أحمد وأميرين معه .<sup>(٤)</sup>

ومن الأمثلة على انتقال الاقطاع من مقطع لآخر من غير وراثة وهي القاعدة العامة ، أنه حدث في سنة ٥٧٤هـ / ١١٧٨م أن أعطى صلاح الدين حملا ،

- 
- (١) المقرئ ، السلوك ، ج ١ ، ص ٧٥ ، حسنين ربيع ، النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين ، ص ٢٩ .  
 (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥١٨ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٧ ، ص ١٧٢ ، السبكي ، طبقات الشافعية ، ج ٧ ، ص ٣٤٥ ، حسنين ربيع ، النظم المالية ، ص ٣٧ .  
 (٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ ، حسنين ربيع ، النظم المالية ، ص ٣٧ .  
 (٤) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٤١٠ - ٤١١ ، ابن واصل ، التاريخ الصالح ، ورقة ٢٠٧ ب ، حسنين ربيع ، النظم المالية ، ص ٣٧ .

بعد موت صاحبها خاله شهاب الدين الحارثى لابن أخيه تقى الدين عمر بن  
 شاهنشاه<sup>(١)</sup> . وفى سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م توفى زين الدين يوسف بن زين الدين  
 على كوجك صاحب اربل ، فاقطعها صلاح الدين لآخيه مظفر الدين بـورى ،  
 وأضاف اليه شهرزور<sup>(٢)</sup> .

وفى مقابل الموارد المتحصلة من الاقطاع ، كان على المقطع مجموعة من  
 الالتزامات التى كان يجب عليه أن يؤدىها ، وهى التزامات حربية مثل تقديم  
 المساكر وقت الحرب ، فضلا عن عدد من الواجبات غير الحربية . ونظرا للجهد  
 الذى اتصف به المصر فقد كانت الواجبات الحربية للمقطع دون شك أهم هذه  
 الواجبات ، فقد كان المقطع مسئولا عن نفقات عساكره ، وكان عليه أن يعد نفسه  
 لى يلحق بجيش السلطان على رأس فرقته الحربية فى كل حملة حربية ويكون  
 مكلفا بالانفاق عليها . والدليل ذلك ما ذكره العماد الكاتب أحد موظفى ديوان  
 الانشاء من أنه عندما خرج مع السلطان صلاح الدين من مصر الى الشام لقصد  
 الجهاد ضد الصليبيين ، ووصل جيش صلاح الدين الى السدير فى حملة الرملة  
 سنة ٥٧٣هـ / ١١٧٧م أعلن فى المسكر أن كل القوات يجب أن تأخذ ما يكفيها  
 من الأقوات لمدة عشرة أيام أخرى ، وأقيم سوق المسكر لهذا الغرض ، وشجعت  
 الاسعار المرتفعة العماد الصفهاني على أن يفتهم الفرصة ويعرض للبيع حوائجه ،  
 حيث أنه على حد قوله من رجال القلم وليس من رجال السيف ، فتوافدوا على

(١) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٥٠ ، اليافعى

مرآة الزمان ، ج ٣ ، ص ٣٩٩ .

(٢) ابن الوردي تنمة المختصر ، ج ٢ ، ص ١٤٧ .

السوق ، واشتروا منه مؤنهم ، وذلك بعد أن أعطاهم أمراؤهم رواتب الاقامات  
الاقطاعية المعتادة .<sup>(١)</sup>

ويبدو أن صاحب الاقطاع لم يكن ملزما في كل الحالات بالذهاب على رأس  
جيشه الى المعسكر السلطاني ، بل كان يكتفى أحيانا بإرسال عدد معين من  
الجند ، وأحلاما من السلاح والعتاد . يدلنا على ذلك ما حدث في سنة ٥٧٤هـ /  
١١٧٨م عند ما بنى الصليبيون قلعة بيت الأحزان ، وجعلوها مرصدا لحرب  
المسلمين ، فأرسل صلاح الدين الى أخيه الملك العادل بمصر ، يطلب منه أن  
يبحث اليه خمسمائة فارس يستعين بهم على جهاد الصليبيين<sup>(٢)</sup> وما حدث سنة  
٥٨٥هـ / ١١٨٩م حيث بحث عز الدين مسعود ، أمير الموصل الى صلاح الدين  
وهو على عكا ، أحلاما من النفط الأبيض ومن التراس ، والرماح ومن كل جنس  
أحكمه وأقوته وأجوده .<sup>(٣)</sup>

والى جانب ذلك كان على صاحب الاقطاع أن يقوم بمراقبة تحركات الأعداء  
وصد غاراتهم مثال ذلك ما حدث سنة ٥٧٤هـ / ١١٧٨م عند ما أغار أمير أنطاكية  
الصليبي على شيرز ، وأغار أمير طرابلس أيضا على جماعة من التركمان بمصر  
تأمينهم ، فقد رتب صلاح الدين نتيجة لذلك الهجوم ابن أخيه تقى الدين عمر  
ابن شاهنشاه على حماه وأقطعه أياها وجعل في خدمته شمس الدين بن المقدم ،  
وسيف الدين أحمد بن المشطوب وجعل مهمته صد غارات صاحب

(١) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٩٧ ، حسنين ربيع ، النظم  
المالية ، ص ٦٥ . Hassanein Rabie, op. P. 32.

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٠٠ .

(٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٠٧ ، العماد ، الفتح ، ص ٣٥٠ .

انطاكية • كما رتب ناصر الدين محمد بن شيركوه بحص في مقابلة صاحب طرابلس الصليبي (١) •

أما الواجبات غير الحربية التي كان على المقطع أدائها • فتشمل تنفيذ المراسيم السلطانية التي كان صلاح الدين يصدرها • وإقرار الأمن داخل الاقطاع • والنظر في مصالح الرعية داخل الاقطاع • وبالإضافة إلى ذلك فقد كان على المقطع عدد من الواجبات المدنية أهمها تلك التي تختص برى وزراعة الاقطاع وبعض الخدمات الخاصة بالسلطان • فضلا عن قيام المقطع وموظفيه بتوزيع التقاوى السلطانية بين المزارعين في الاقطاع • وكانت هذه التقاوى تمنح من جهة السلطان للمقطع مع الاقطاع لضمان سلامة المحصول • وكان من الواجب على المقطع أن يترك التقاوى في الاقطاع ليضمن محصولا طيبا لمن يخلفه على هذا الاقطاع (٢) •

وكان الاقطاع أحيانا يحتوى على أراضى مستصلحة نتيجة شق قنوات وجسور وكان على المقطعين أن يبذلوا كل جهدهم لكي يحسنوا هذه الاراضى المستصلحة • فضلا عن قيام المقطع بإقامة الجسور البلدية وصيانتها ( وعلى السدود الزراعية الصغيرة ) التي كان لها أهمية كبيرة في رى الاقطاع • أما عن الجسور السلطانية وهى السدود الزراعية الكبيرة التى شيدت لمنفعة الأقاليم

(١) ابن الشحنة • روضة المناظر • ورقة ٧٢ أ • أبو شامة • كتاب الروضتين • ج ٢ • ص ٨ • ابن واصل • مفرج الكروب • ج ٢ • ص ٧٤ •

(٢) ابن شاهنشاه الايوبي • مضاف الحقائق • ص ٢٢٦ - ٢٢٧ •

فلم يكن المقطع مسئولا عنها من الناحية النظرية ولكن من الناحية العملية ، كان المقطعون يساعدون السلطان فى تشييد هذا النوع من الجسور وذلك بامدادهم بالرجال والبقر والآلات وغيرها • يضاف الى ذلك أيضا أن المقطع كان يشترك (١) فى حفر وتطهير الترع والقنوات •

ورأينا فى الفصل الأول أن صلاح الدين نجح فى توحيد الجبهة الإسلامية التى كان الهدف منها اعداد العدة للجهاد لتصفية الوجود الصليبي من بلاد الشام • وكان عليه أن يكون جيشا كبيرا ومنظما يستأخ به تحقيق هدفه الذى ينشده • ولما كان من الصعب عليه دفع رواتب هذا الجيش نظرا لكثرة عدده ، لذلك لجأ صلاح الدين الى نفس الاسلوب الذى اتبعه أسلافه الزنكيون من قبل ، فوزع الاقطاعات على أمراءه ليكون بدلا عما يتطلب منه من دفع رواتب للجند • يد لنا على ذلك ما كان يفعله صلاح الدين عند عزمه على الجهاد ضد الصليبيين حيث كان يكتفى بمخاطبة المقطع ، الذى يسير بدوره الىه ومعه جيشه مزودا بالعتاد والمؤن •

ولما كان صلاح الدين هو المصدر الاصلى لمنح الاقطاع ، فقد كان يستأيع الخاء فى أى وقت وذلك متى تقاعس المقطع عن أداء واجبه ، أو بد ر منه ما يخل بالتزاماته الحربية من ذلك ما حدث سنة ٥٧٣هـ / ١١٧٧م من أن

(١) المقرئى ، الخطط ، ج ١ ، ص ١٠١ ، حسين ربيع ، النظم المالية ، ص ٣٤ •

(٢) أنظر النويرى ، نهاية الارب ، ج ٢٦ ، ورقة ١٣٠ ، ابن تفرى بردى ، هجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٢٩ •



صلاح الدين قطع أخبار جماعة من الأكراد لأجل أنهم كانوا السبب في هزيمة الجيش الإسلامي في وقعة الرملة عند تل الصافية أمام الجيش الصليبي الذي كان يقوده أرنط<sup>(١)</sup>.

والواقع أن نظام الاقطاع الحربي كان ذا أهمية كبيرة بالنسبة لجيش صلاح الدين ، حيث كان ذلك النظام دافعا لهم على التوسع في الفتوحات من ذلك ما حدث سنة ٥٨٨هـ / ١١٩٢م عند ما عاد صلاح الدين إلى دمشق بعد عقد الهدنة مع الصليبيين واستراح قليلا ، ثم اعتزم الغزو ، فأستشار ابنه الأفضل وأخاه العادل في ذلك . فأشار العادل عليه بغزو خلاط لأنه كان قد وعده أن يقطعه أياها إذا استولى عليها<sup>(٢)</sup>.

كما أن نظام الاقطاع الحربي بما اشتمل عليه من واجبات ، يعاقب المقطع بالاعفاء من اقطاعه متى قصر في شيء منها كان كفيلا بإخلاص الجنود واستماتتهم في القتال . فضلا عما كان يقوم به بعض المقطعين من أعمال حربية ضد الأعداء ، فيذكر كميل منابن واصل ، وابن كثير في حوادث سنة ٥٧٥هـ / ١١٧٩م ، أن عز الدين فرخشاه الذي كان اقطاعه بعبك آنذاك ، أغار على هذه السنة على صفد ، وعاد سالما بعد أن فتك بعدد كبير من مقاتليهم ، وغنم منهم غنائم كثيرة<sup>(٣)</sup>.

(١) المقرئى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٦٤ - ٦٥ ، حسنين ربيع ، النظم المالية ، ص ٥٦٠ ، Hassanein Rabie, op. Cit. 56.

(٢) ابن خلدون ، المعبر ، ص ٣٣٠ .

(٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٤٢ ص ٨٦ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٠٤ .

ويضاف الى ذلك أن نظام الاقطاع الحربي ، يعد من أولى موارد الدولة الأيومية لأنه مصدر الايراد الدائم اللازم للصرف على الجيش السلطاني ، وجيوش الأمراء الاقطاعيين ، فضلا عن النفقات العسكرية الهامة للجيش بنوعيه زمــــن الحربية (١) . وبهذا يمكن القول بأن صلاح الدين بتطبيقه لنظام الاقطاع الحربي في دولته ، قد وفر على نفسه مهمة تزويد جيشه كله بالسلاح والعتاد والمؤن ، خاصة اذا علمنا أنه كان على صاحب الاقطاع أن يأتي بجيشه الى ساحات القتال بكل مستلزمات القتال ، هذا فضلا عما كان يساهم به المقطع من أموال وعتاد ومؤن لخدمة الجيش السلطاني الملائم لصلاح الدين .

#### ديوان الجيش الصلاحي :

وكان ديوان الجيش الصلاحي مشرفا ومسئولا عن توزيع الاقطاعات ومتابعاتها . فقد كان هذا الديوان مركزا لتوزيع الاقطاعات بين الأمراء المقطعيين ، ومن أهم مهامه اثبات أسماء أصحاب الاقطاعات على اختلاف طبقاتهم ومن ثم الاشراف على تلك الاقطاعات التي كانت تخضع للزيادة والنقصان نظير ما يقدمه الأمير المقطع من خدمات السلطان . كما قام ديوان الجيش بتقدير المبالغ المساة الغيانات وهي الأموال التي تخصم من الجندى نتيجة غيابه عن الخدمة بدون اذن ، حيث يقوم الديوان بعملية الخصم عن هذه الددة . مثال ذلك ما ذكره ابن ماضي في تفسيره لمعناها ، حيث ذكر أنه اذا كان قد قرر للجندى ستائة دينار ، واشتغل

(١) حسنين ربيع ، النظم المالية في مصر ، ص ٤٠ .

بقراره ذلك أول السنة ، ثم غلب في اثنائها بغير إذن مدة شهرين اقتطع منها  
(١)  
مائة دينار .

كما يبدو أن ديوان الجيش قد قام أيضا بتسجيل العمليات المعروفة  
بالتفاوت والتي يمكن تعريفها : بأنها عبارة عن أموال الفروق الناتجة عن  
تغيير مرتبة الجندى بانتقاله من فئة أصحاب الجوامك والرواتب إلى فئة  
ذوى الاقطاعات ، أى أنه إذا انتقل جندى إلى اقطاع جديد للمرة الأولى ،  
(٢)  
فانه يأخذ د خ ل اقطاعه من تاريخ تعيينه عليه لأمن أول السنة .

ومن الوظائف التي قام بها ديوان الجيش أيضا تسجيله للأموال المعروفة  
بالفواضل والتي فسرها ابن ممتى بضوئه مثالا على ذلك ذكر فيه ، انه إذا كانت  
عبرة (٣) ناحية من التواحي خمسة آلاف دينار ، وفيها جماعة مقطعون بما مبلغه  
(٤)  
أربعة آلاف وثمانمائة دينار رسمى ما بقى من عبرتها فاضلا وهو مائتا دينار .

وما قيل عن الفواضل يمكن أن يقال عن المتوفر ، والذي هو عبارة عن  
جملة من الاموال تتوفر بسبب وفاة الجندى ، ان جرى العرف بأن يكون راتبه

(١) ابن ممتى ، قوانين الدواوين ، ص ٣٥٥ ، حسنين ربيع ، النظم المالية ،  
في مصر ، ص ٦٣ .

(٢) حسنين ربيع ، النظم المالية في مصر ، ص ٦٣ .

(٣) العبرة من الناحية النظرية هي متوسط المتحصل السنوى من الاقطاع بأن  
يجمع ايراد أحسن سنة وأسوأ سنة ثم يقسم على اثنين : ومن الناحية العملية  
كانت العبرة والمتحصل الفعلى من الاقطاع لا يمكن أن يتطابقا لتفصيل  
ذلك أنظر : Hassanien Rabie, op. Cit., PP. 47-48.

(٤) ابن ممتى ، قوانين الدواوين ، ص ٣٥٥  
Hassanien Rabie, op. Cit., PP. 47-48.

من أول السنة الى يوم وفاته لورثته ، وما كان مقررا بقية السنة ، صار من المتوفى ،  
(١)  
واذا لم يكن له ورثه ، جعل ذلك الديوان جميع ما قرر له متوفى .

وكان من اختصاصات ديوان الجيش ، اصدار احكامات دورية بمسدد  
الجيش ، والبالح المقررة لهم ، حيث يذكر المقرري نقلها عن متجددات  
القاضي الفاضل ، أنه في رجب من سنة ٥٥٧٧ / ١١٨١ م ، بلغت عدة الأجناد ،  
ثمانية آلاف وست مائة وأربعين ، والأمرء مائة وأحد عشر ، والطواشي ستة  
آلاف وتسعمائة وستة وسبعين ، والقراغلامي ألف وخمسمائة وثلاثة وخمسين ،  
(٢)  
وان المستقر لهم من المال ثلاثة آلاف وست مائة وسبعون ألف وخمسمائة دينار .

ومن خصائص ديوان الجيش أيضا ما ذكره ابن خلكان في ترجمته للملك  
الظاهر غياث الدين بن صلاح الدين من أنه جلس يوما لعرض العسكرة وديوان  
الجيش بين يديه ، فكان كلما حضر جندي أمامه ، سأله الديوان عن اسمه  
(٣)  
ليثبتوه في القوائم .

وقام الموظفون بديوان الجيش بتسجيل أسماء أصحاب الاقطاعات

- (١) ابن ماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٣٥٥ ، القلقشندي ، صبح الأعشى ،  
ج ٤ ، ص ١٩٠ ، حسنين ربيع ، النظم المالية في مصر ، ص ٦٣ .  
(٢) أنظر المقرري ، السلوك ، ج ١ ، ص ٧٥ ، والطواشي هو من رزقه  
من سبعمائة إلى ألف دينار تقريبا وله قلام يحفل سلاحه والقراغلامي  
طبقة أدنى من الطواشي ، أنظر ، ج ٤ ، دراسات في حضارة  
الاسلام ، ص ١١٥ .  
(٣) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ٦ - ٧ .

على اختلاف طبقاتهم ، وعدد الجند التابعين لكل مقطع داخل اقطاعه ،  
وأمام اسم كل مقطع عبرة اقطاعه « رمزا لا تصريحاً » ولعل ذلك كان من باب  
الحذر والسرية التى توخاها موظفو الديوان ، لذا تجنب الديوان ذكر عبرة  
(١)  
الاقطاع أو متحصله ، إلا بناءً على مرسوم من السلطان .

ويبدو أن ديوان الجيش قد قام بالصرف على العمائر ، والتحصينات  
التي كان صلاح الدين يهتم بها خاصة فى مصر خوفاً من هجوم الصليبيين  
عليها أثناء وجوده ببلاد الشام ، ولعل خير شاهد على تلك التحصينات  
التي أنفق عليها الأموال الطائلة ، بناءه للصور الايوبى بالقاهرة ، وتأسيس  
قلعة الجبل على طرف جبل المقطم (٢) . وكذلك تحصين مدينة مياط التى يذكر  
المقريزى أن تحصينها قد كلف « ألف دينار » (٣)

أما أهم موظفى ديوان الجيش فى عهد صلاح الدين ، فيشمل الناظر  
وهو الذى يمد المسئول الاول عن كل ما يجرى فى الديوان ، وليس لأحد من  
موظفيه أن ينفرد عنه بشئ من الأمور التى ينظر فيها الديوان ، ولا بد من توقيعه  
الرسمى على جميع ما يجرى من الديوان من أوراق رسمية ، فضلاً عن احاطته بجميع  
ما يرد على الديوان من معاملات ، بالاشفاة الى اشرافه على كل ما يرد الى

(١) التويرى ، نهاية الارب ، ج ٨ ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ ، حسنين ربيع ،  
النظم المالية ، ص ٦٢ .

(٢) أنظر ابن ممتى ، قوانين الدواوين ، ص ٣٤٧ ، حسنين ربيع ، النظم  
المالية ، ص ٦٧ .

(٣) المقريزى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٢١٥ .

(١) الديوان وما ينصرف منه • ولديه جميع البيانات بالمتحصلات والمصروفات والموافق والفوائض والمتأخرات • كما أنه يعد المسئول الأول عما يحدث في ذلك من خلل • (٣)

(٤)

ويلى الناظر متولى الديوان ومهمته الاشراف على تنفيذ تعليمات الناظر •

وليس له أن يزيد على ذلك شيئاً وأن فعل شيئاً منه لزمه ما يترتب عليه من تبعه • كما يقوم بالتصديق على التصاريح التى تسمى التذاكر • فضلاً عن الاستدعاءات •

وكذلك الاشراف على الموظفين عند مباشرتهم وذلك بالكتابة على توقيعهم • (٥) وتحريراتهم • أما الموظف الثالث فى الديوان فهو المستوفى ووظيفته مطالبة

الموظفين بما يجب عليهم رفعه من الحساب فى أوقاته • كما يقوم بتبليغ متولى الديوان بما يجب تحصيله من الأموال فى مواعيد المحددة وإقامة السجلات والتأكد من كمال ما يرد على الديوان • وإخراج ما يجب تخريجه منه • ومتى ظهر تقصير فى شىء من ذلك كانت عليه مسئولية الا فى حالة عدم وجود توقيمه •

عليه ويأتى بعد ذلك المحين • وهو الموظف الرابع فى الديوان • والذي ذكر ابن ماتي أنه عبارة عن كاتب بين يدي المستوفى • مهمته مساعدته فى الأعمال المنوطة به • وليس عليه مسئولية شىء من ذلك الا فيما يحضره من جرايد الديوان من غير أن يشهد عليه أحد • ليمرض عليه الوقت فتصبح الجريدة شاهدة عليه •

أما الناسخ • فهو كاتب وظيفته نسخ التوقيعات • والمكاتبات الصادرة من الديوان

(١) ابن ماتي • قوانين • ص ٢٩٨ •

(٢) النويرى • نهاية الارب • ج ٨ • ص ٢٩٩ •

(٣) ابن ماتي • قوانين الداوين • ص ٢٩٨ • أنظر حسنين ربيع • النظم المالية • ص ٨٤ •

(٤) ابن ماتي • قوانين الداوين • ص ٢٩٨ • النويرى • نهاية الارب • ج ٨ • ص ٣٠٠ • حسنين ربيع • النظم المالية • ص ٨٤ •

(٥) النويرى • نهاية الارب • ج ٨ • ص ٣٠٠ •

والواردة اليه ومتى ظهر منه تحريف فى شىء من ذلك تحمل مسئوليته \* والموظف السادس فى الديوان هو المشارف \* والذي ذكر ابن مطاى بأن « أمره جار على أمر الناظر » اذ يبدو لنا من هذا أن وظيفته هى تكرار عمل الناظر لتأكيد \* ومن ثم مراقبة تنفيذه وتدقيقه \* ويزيد على ذلك أن جميع المتحصلات المالية بعد الختم عليها تكون فى عهدته وتحت حيطته \* يلى ذلك العامل ومهمته القيام بعمل الحسابات اللازمة ورفعها \* والكتابة بالموافقة على ما يرفعه غيره من الممايلات \* فضلا عن قيامه ببيان البواقي لمن عليه شىء من أموال الدولة \* بسبب الانصراف عن الخدمة ويجرى مجرى العامل \* موظف آخر عرف بالكاتب \* عليه أن يكون على معرفة كافية بما يتأخر فى البلاد من مال وغلال مما يستعان به عند تقدير إيرادات الدولة \*

(٢)

والجيهن هو الموظف التاسع فى الديوان وهو موظف فاطمى الأصل \* مهمته كتابة المتحصل من الأموال وقبضه \* وكتابة الوصولات \* فضلا عن عمل المخازيم والاحتقات \* وما يتبعها \* بالإضافة الى أنه مطالب بما يقبض من الأموال \* وباخراج ما يترتب عليها من خراج \* أما الموظف العاشر فهو الشاهد \* وعمله تحقيق وضبط ما يشاهده من أوراق رسمية وغيرها \* ثم اثبات الحساب الموافق لتعليقه \* ولى ذلك عدد من موظفى ديوان الجيش منهم

- 
- (١) ابن مطاى \* قوانين الداوين \* ص ٣٠١ - ٣٠٣ \* حسنين ربيع \* النظم المالية فى مصر \* ص ٨٥ .  
 (٢) حسنين ربيع \* النظم المالية فى مصر \* ص ٨٥ .

النائب وقد ذكر ابن مطي في تعريفه أنه « كاتب يستخدم نائبا عن الديوان مع المستخدم مبن » . وعليه يمكن القول أنه من المحتمل أن تكون مهمته القيام بمراقبة الموظفين وأهل الديوان ، إذ يذكر المصدر نفسه بعد ذلك أن هذا الموظف لا يلزمه شيء من رفع الحسابات ولا الكتابة عليها ، ثم الأمين الذي يشبه النائب في عمله ، فضلا عن مشا بهته الشاهد في بعض الاعمال ، ثم الموظف المسعى بالخزن ، وعمله قبض الفلأت وخزنها ثم أخراجها ، وأخيرا الحاشر الذي بيد ولنا أن مهمته كانت حفظ ارث من توفى وليس له ورثة يرثونه ، وعليه تقع المسؤولية فيما قد يقع في ذلك من نقص بخيانة أو بغيرها .<sup>(١)</sup>

#### تنظيم الجيش الصالحى :

وكان الهدف الاساسى من قيام الدولة الايوبية — كما سبق أن رأينا — هو تخليص العالم الاسلامى من الخطر الصليبي الذى حل به في ذلك الوقت ، ولما كان ذلك الأمر يتطلب استعدادا كبيرا ، فان صلاح الدين عمد الى تكوين جيش كبير ذي عناصر متعددة يستطيع به أن يحقق هدفه ذلك . وعناصر هذا الجيش : المسكر السلطاني الذى كانت مهمته مقصورة على ملازمة السلطان والجهاد معه ، وجند الامراء الذين يستدعون وقت الحرب ويسرحون بعد ها ، فضلا عن المتطوعة والقوات المساعدة .

أما عن الجيش السلطاني ، فمن المعروف أن نور الدين محمود ، عندما

(١) ابن مطي ، قوانين الدواوين ، ص ٣٠٤ — ٣٠٦ ، حسنين ربيع ، النظم المالية ، ص ٨٥ — ٨٦ .



أرسل أسد الدين شيركوه على رأس الحملة الثالثة إلى مصر سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٩م ،  
 أعطاه مائتي ألف دينار سوى الثياب والأسلحة ، وسمح له أن يختار من المسكر  
 من يشاء ، فأختار ألفي فارس ، وأخذ المال ، وجمع ستة آلاف فارس من التركمان <sup>(١)</sup> ،  
 وأعطى نور الدين كل فارس ممن سار مع أسد الدين عشرين ديناراً <sup>(٢)</sup> ، كما انضم  
 إلى هؤلاء جيش شيركوه الذي كان قد أنشأه في حمص ، باعتبارها اقطاعاً له <sup>(٣)</sup> ،  
 وهم المعروفون بالأسدية .

ولما تنوفى أسد الدين شيركوه ، وخلفه ابن أخيه صلاح الدين في  
 الوزارة ، انسحب من مصر التركمان وعدد من الأمراء الترك بمن معهم من الفرسان  
 إلى الشام ، وبقي في خدمة صلاح الدين الأسدية والكرد . ولم تكد تنتهي تلك  
 السنة ، حتى ألف صلاح الدين عسكره المعروفين بالصلاحية بقيادة الأمير أباي <sup>(٤)</sup> ،  
 الهيجاء السجيين .

ويبدو أن صلاح الدين قد جعل من هذه الطوائف الثلاث وهي النورية  
 والأسدية اللتين خرجتا مع أسد الدين شيركوه إلى مصر سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٩م  
 والصلاحية التي كونها بعد ذلك أساساً لجيش عرف فيما بعد بالجيش السلطاني ،  
 أو الجيش النظامي ، مهمته ملازمة السلطان ، عند تسريحه لجند الأمراء بعد

<sup>(١)</sup> الباز المريني ، الشرق الأوسط في الصور الوسطى ، القسم الأول ، الأيوبيون

ص ١٥٥ ، هامilton جب ، دراسات في حضارة الإسلام ، ص ٩٧ .

<sup>(٢)</sup> ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٣٨ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ١ ،  
 ق ٢ ، ص ٣٩٢ .

<sup>(٣)</sup> أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ق ٢ ، ص ٤٣٨ .

<sup>(٤)</sup> ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٤٤ ، الباز المريني ، نفس المرجع ،  
 ص ١٥٦ ، هامilton جب ، نفس المرجع ، ص ٩٨ .

انتهاء الممارك أو حلول فصل الشتاء ، ولهم تقع الحروب والغزوات والأعمال  
(١)  
الحربية الهامة ولا يفادرون العاصمة إلا مع السلطان وللأغراض الخطيرة .

فكان صلاح الدين يعتقد على هذا الجيش في صد غارات الصليبيين ،  
التي قد تحدث أثناء ابتعاده أجناد الأمراء عنه ، والحد منها ، حتى يتمكن  
من استدعائهم للمجيء إليه . من ذلك ما حدث سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨م حين  
بلغه أن الصليبيين قد أغاروا على جبلة ، فخرج إليهم مسرعا بعسكره في الوقت  
الذي سير فيه رسله لاستدعاء جند الأمراء من جميع الأقطار ، فلما سمع الصليبيون  
بخروجه كفوا عن ذلك . ويبدو لنا أنهم فعلوا ذلك بسبب علمهم بوصول النجدة  
إلى صلاح الدين حيث وصل كل من عماد الدين صاحب سنجار ومظفر الدين  
زين صاحب اربل على رأس عسكرهما وكذلك عسكر الموصل ، إلى حلب ، قاصدين  
خدمة صلاح الدين والجهاد معه . أما بالنسبة لاعتماد صلاح الدين على عسكره  
النظامي ، عند تسريحه لعساكر الأمراء عند حلول الشتاء ، فيدلنا ما ذكره  
العماد وغيره على أن اعتماده على عسكره هذا دون غيره كان اعتمادا كلياً  
إثناء حصار عكا الذي استمر من سنة ٥٨٥هـ / إلى سنة ٥٨٧هـ / ١١٨٩ - ١١٩١م .  
حيث كان كثيراً ما يعطى جند الأمراء إذناً بالانصراف إلى أوطانهم إذا ما حل  
الشتاء على أن يعودوا إليه في الربيع .  
(٣)

- 
- (١) نظير حسان سعداوى ، جيش مصر ، ص ٢٥ - ٢٦ .  
(٢) ابن تيمزي بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٨ - ٣٩ .  
(٣) أنظر ، العماد ، الفتح ، ص ٣٦٢ ، وابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ،  
ص ٣١١ - ٣١٢ ، ٣٤٦ ، ٣٤٩ ، ابن سعيد ، الروض المصنوب  
ج ٢ ، ورقة ٣٦ ب ، ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ١ ، ص ٢٠٩ .

كما كان صلاح الدين يستغل عسكره السلطاني الذي كان يرباط مـهـ  
 طول السنة في الاغارة على الصليبيين وونصب الكائن لهم ، من ذلك ما حدث  
 سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م حين أمر صلاح الدين رجال الحلقة المنصورة في جيشه  
 بأن يكمنوا في جهة عينها لهم • فخرج الصليبيون للاحتشاش فانقضوا عليهم  
 (١)  
 وكبدوهم خاسر فادحة •

ويلاحظ أن صلاح الدين كان كثيرا ما يدعم عسكره السلطاني بعناصر  
 ممتازة من أجناد الامراء ، فمتى ما رأى أن عسكره بحاجة الى تقوية طلب من  
 أمير الاقطاع أن ينتخب له من جنده نخبة طيبة ويضعها اليه ، مثال ما ذكره  
 ابو شامة في حوادث سنة ٥٧٤هـ / ١١٧٨م من أن صلاح الدين كتب الى أخيه  
 المعادل بمصر يطلب منه أن ينتخب له من عسكر مصر الف وخمسائة يتقوى بهم  
 (٢)  
 على الصليبيين •

أما جند الامراء • فقد اقتضت ضرورة تابق نظام الاقطاع الحربي  
 في الدولة الايوبية ، بقاء معظم الجيش مفرقا بين أجزاء الدولة • وكان صلاح  
 الدين — كما رأينا — يقطع الاقطاعات لامرائه ، مقابل التزامهم بواجبات عدة  
 منها أن على كل أمير اعداد فرقة حربية تتكون من عدد محدد من الجنـد •

---

(١) المعاد ، الفتح ، ص ٥٥٩ • وجند الحلقة فئة من الجند يحتفظ  
 بالسلطان وتؤلف حوسه الخاص وكانت من خيرة قوات صلاح الدين ، أنظره  
 السيد الباز الحريني ، الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ص ٢٥٢ —  
 ٢٥٣ •

(٢) ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ٨ •

وتأمين كل لوازمها و فاذا ما نشبت الحرب ذهب هذا الامير بجنده الى ميدان القتال . واذا انتهت الحرب أو حل الشتاء ، عاد بهم الى اقطاعه ، على أن يعود بهم عند تجديد حالة الحرب أو انقضاء فصل الشتاء وحلول فصل الربيع . والأدلة على ذلك كثيرة فبالإضافة الى ما ذكرناه سابقا ، ذكر العماد أنه في سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨م وبعد انتهاء صلاح الدين من حصن كوكب ، أعطى عساكر الامراء الموافقة دستورا بالرجوع الى بلادهم . كما ذكر العماد وغيره أيضا أنه في سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م وبعد انحسار الشتاء وحلول الربيع عادت جيوش الامراء اليه وهو على عكا أثناء محنتها . وذكر ابن الأثير وغيره أنه في سنة ٥٨٨هـ / ١١٩٢م وبعد انتهاء حالة الحرب مع الصليبيين بمقد صلح الرملة معهم ، أعطى صلاح الدين لجميع الطوائف التي كانت قد توافدت للجهاد معه دستورا بالعودة الى أوطانها ، وعقد هو المعزم على الحج .<sup>(٣)</sup> أما بالنسبة لعودة عساكر الامراء عند تجديد حالة الحرب فيدلنا على ذلك ما ذكره ابن واصل في التاريخ الصالحى ، من أنه في سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م قدمت عساكر الامراء من جميع الاقطار مددا لصلاح الدين عند اشتداد القتال على عكا تلك السنة .<sup>(٤)</sup>

والى جانب المعسكر السلطاني ، وجند الامراء كانت هناك فرق الفزاة المتطوعة الذين كانوا يعرفون قبل العهد الصالحى بالاحداث المتطوعة .

---

(١) أنظر ما سبق ، ص  
 (٢) العماد ، الفتح ، ص ٢٧٤ ، ٣٦٢ ، ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، م ٤ ، ج ٢ ، ص ٢٠٢  
 (٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٨٦ - ٨٧ ، ابن تيمزي بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٤٨ ، ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، ص ١٧٥  
 (٤) ابن واصل ، التاريخ الصالحى ، ورقة ٢٠٦ ب .

استخدمهم نور الدين محمود في جيشه يد لنا على ذلك ما جاء في ابن القلانسي  
من أن نور الدين « أمر بالنداء » في الغزاة والمجاهدين والاحداث المتطوعة  
(١)  
من فتيان البلد والغزاة « بالتأهب والاستعداد لمجاهدة الفرنج »

والظاهر أنه كان لكل مدينة من المدن الاسلامية عامة « والداخله في

اطار الدولة الايوبية خاصة فرق من الغزاة المتطوعة « كانوا كثيرا ما يقصدون  
السلطان للجهاد معه بمحض اختيارهم » ومن الأدلة على ذلك ما ذكره ابن  
الاثير من أن نور الدين محمود قد استعان عند استيلائه على دمشق سنة  
١١٥٤هـ / ١١٥٤م باحداثها « الذين تذكر المراجع بأنهم هم الذين أطلق  
عليهم بعد ذلك الاحداث المتطوعة » ثم ما ذكره العماد « من أن صلاح الدين  
عند ما عزم على أن يقصد الفرنج في مرج عيون سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م لكبسهم  
في مخيمهم « وتسلم مع المسلمون بذلك تباشروا « وتسابقوا الى المسير اليه «  
(٢)  
وكان من ضمن الوافدين متطوعة دمشق وحمص وحران »

والجدير بالذكر أن مدينة دمشق التي اتخذها صلاح الدين عاصمة  
لدولته كانت تشتهر بفرقة الاحداث هذه منذ أيام نور الدين محمود وقبله «  
يد لنا على ذلك ما ذكره ابن القلانسي من أن نور الدين محمود « لم يكن في

- 
- (١) ابن القلانسي « ذيل تاريخ دمشق » ص ٣٤٠ « نظير حسان سعداوى  
جيش مصر » ص ١٥  
(٢) ابن الاثير « الباهر » ص ١٠٧  
(٣) أنظر نظير حسان سعداوى « جيش مصر » ص ١٤ - ١٥  
(٤) العماد « الفتح » ص ٢٩١ و ٢٩٢

استطاعته الاستيلاء على مدينة دمشق سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م الا بفضل مراسلته لاحداثها واستمالتهم اليه . فما أن بدأ نور الدين بمحاصرة دمشق حتى ثارت طائفة الاحداث ضد قائد الحامية الذي اضطر نتيجة ذلك الى التسليم .  
(١)

والظاهر أن كلمة أحداث هذه قد اختلفت من المصادر التاريخية اختفاء تاما طوال العهد الصالحى ويحده ، ورجال محلها كلمة المتطوعين . والكلمتان على كل حال تدلان على أن أفراد تلك الفرقة لم يكونوا قوة نظامية ، بل كان في استطاعتهم العودة الى أوطانهم أينما كانوا وحيثما شاءوا العودة . ويبدو لنا أن أغلب هؤلاء المتطوعة الذين أسهموا مع صلاح الدين في جهاده ضد الصليبيين ، لم يكونوا مقصودين على طائفة الاحداث الشهيرة في دمشق ، بل ضمت طائفة المتطوعة في عهده أعدادا كبيرة من الفقهاء والعلماء ورجال الدين ، يد لنا على ذلك ما ذكره ابن كثير ، أن صلاح الدين عندما عزم على فتح بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م " قدده العلماء والصالحون تطوعا " .

ولاشك أن هؤلاء المتطوعة كانوا يمتازون بحماس زائد وشجاعة وثقة فى ميدان القتال كما حدث عندما كان صلاح الدين على عكا سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م أن ركب فى بعض اصحابه لقصد النظر الى معسكر الصليبيين من مكان مرتفع ، واستكشف خطته ، فظن الخزاة من المعجم والعرب المتطوعة ، أنه على قصد المصاف والحرب

(١) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣١٥ ؛ نظير حسان سعداوى ، جيش مصر ، ص ١٠٤ .

(٢) نظير حسان سعداوى ، جيش مصر ، ص ١٥ .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٢٢ .

فأوغلوا في أرض العدو وهم يظنون أن السلطان قد سار أمامهم للجهاد ، فأرسل  
 صلاح الدين عددا من أمرائه يردونهم ويحمونهم حتى يخرجوا ، إلا أنهم لم  
 يصغوا إليهم ، واستمروا في المسير نحو الصليبيين الذين ترددوا بادي الأمر  
 في لقاءهم . لا اعتقاد لهم بأن خلفهم كميناً ، إلا أنهم عادوا فحطوا عليهم بمقد أن  
 تأكد لهم أنقطاعهم عن المسلمين ، وقتلوا منهم جمعا كثيرا \* وشق ذلك على  
 صلاح الدين ، وكان ذلك بسبب تفريطهم في أنفسهم ، وعرفت هذه الواقعة بوقعة  
 الفزة المتطوعة . ورغم أن البعض قد نسب ذلك إلى حماسهم الزائد وسوء  
 التدبير منهم ، إلا أنه يبدو لنا أن عملهم ذلك كان بدافع إيمانهم الشديد  
 بفكرة الجهاد وجبهم للاستشهاد في سبيل الله خاصة أن أغلبهم كان من العلماء  
 ورجال الدين .

والى جانب ذلك فانه يلاحظ أنه كان لوجود العلماء بين صفوف المتطوعة ،  
 أثره في ابداع هذه الطائفة بابتكار طرق جديدة في ميادين القتال ، كان لها  
 دور كبير في انتصار الجيش الاسلامي ، من ذلك ما ذكره ابن الأثير في حوادث  
 سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م في معرض حديثه عن معركة حطين من أن جيش المسلمين  
 عندما أحاط بالصليبيين ، قام بعض المتطوعة بأشمال النار في تلك المنطقة  
 مستغلين كثرة الحشائش اليابسة وسير الريح باتجاه الصليبيين ، فحملت حر  
 النار والدخان اليهم .

(١) الحماد ، الفتح ، ص ٢٩١ - ٢٩٢ ، أنظر أيضا ، نظير حسان سعداوى ،  
 جيش مصر ، ص ١٧ .

(٢) نظير حسان سعداوى ، جيش مصر ، ص ١٧ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٥ ، أنظر ما يلي ص

وكثيرا ما تذكر المصادرات التي بين أيدينا ، أن صلاح الدين عند عزمه  
 (١)  
 على الجهاد ، كان يبعث رسله الى الاقطار والامصار « للاستنفار والاستنصار »  
 والظاهر أن يقصد بالعبارة الأولى استنفار جند الامراء الذين كانوا يمدون  
 بمشاة الجند الاحتياطي ، أما العبارة الثانية فيبدو أن المقصود بها حث  
 الناس على الجهاد على سبيل التطوع لا الالتزام ، ومثله ما ذكره العماد في  
 الفتح من رسالة كان قد بعثها صلاح الدين الى أخيه سيف الاسلام باليمن  
 يستحثه فيها على الجهاد قال فيها « وقد كنا استدعينا المساكين والجموع  
 (٢)  
 للجهاد من جميع الجهات » إذ يحتمل أن يكون المقصود بالجموع هنا الفزاة  
 المتطوعة .

وهناك عنصر رابع من المطربين أسهم مع صلاح الدين في جهاده لتصفية  
 الوجود الصليبي هم القوات المساعدة من العربان وغيرهم الذين كان صلاح  
 الدين يستدعيهم ، لمشاركته في الفوز من ذلك ما ذكره العماد من أن صلاح  
 الدين كتب في سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م الى الاقطار والامصار يستدعي المسلمين  
 للجهاد « وأهل للاستعداد أهل الاستعداد » واستحضر الفوز من الحضر  
 (٣)  
 والبدو .

واشترك كثير من أبناء القبائل العربية في جيش صلاح الدين وأخلصوا  
 له مثلما حدث من بني منقذ أصحاب شيزر ، والكنانية الذين ينتسبون الى قبيلة

---

(١) أنظر على سبيل المثال : المنجد ، الفتح ، ص ٣٣١ ، أبو شامة ، كتاب  
 الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٤٩ .  
 (٢) المصداق ، الفتح ، ص ١٩١ .  
 (٣) المصدر السابق ، ص ٥٨ .



كنانة المهاجرة من عسقلان بعد سقوطها في أيدي الصليبيين ، والنازلة في  
دمياط وضواحيها على عهد الوزير الفاطمي طلائع بن رزيق ، وهي التي أسهمت  
مع صلاح الدين في غزوة لنزه وعسقلان سنة ٥٦١هـ / ١١٢٥م ، والتي قامت  
بارشاده إلى المسالك والطرق ، وكذلك القبائل الشامية التي قامت بفحارات  
خاطفة على القرى والمزارع الصليبية ، مثل غزواتهم على صيدا وبيروت سنة  
٥٧٤هـ / ١١٢٩م . وعلى الملوك ريتشارد أثناء زحفه لفلسطين سنة ٥٨٨هـ /  
(١)  
١١٩٢م .

### الأسلحة والمؤن والمعادن :

لما كانت الدولة الأيوبية قد قامت في ظروف عصية متمثلة في ذلك  
الصراع الذي كان دأباً بين القوى الإسلامية والقوى الصليبية ، كان على صلاح  
الدين أن يهتم بالحرب وشؤونها والأسلحة المستخدمة فيها ولعل خير ما يوضح  
لنا مدى عنايته بالأسلحة وشؤونه في تلك الفترة أنه طلب من أحد رجاله وهو  
مرض بن علي الطرسوسي أن يؤلف له كتاباً يشتمل على أنواع الأسلحة وطرق  
صناعتها (٢) .

واستخدم صلاح الدين في حروبه من الأسلحة ما هو كليل بتحقيق  
غرضه الذي كان ينشده . ويمكننا أن نستنتج من نص أوردته المصادر الأصفهاني ،

- (١) أنظر نظير حسان سعداوي ، جيش مصر ، ص ١٣ .  
(٢) قام الطرسوسي بتأليف كتابه المسمى ( تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة  
في الحروب من الأسواء ونشر أعلام الأعلام ، والعدد والآلات المصنية على  
لقاء الأعداء ) وأهداه إلى صلاح الدين . وقد قام كلود كاهن بنشره في  
مجلة معهد الدراسات الشرقية بدمشق سنة ١٩٤٧ - ١٩٤٨م .

عند حديثه عن الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين ، معظم تلك الأسلحة  
التي استخدمها صلاح الدين في جهاد ضد الصليبيين ، حيث يقول « أنه  
لما عاد الى مصر ، وقد شاهد الفتح والنصر ، ترك خزانة سلاحه بالقدس  
كلها ، ولم يربعد حصولها به نقلها ، وكانت أحمالا بأموال ، وأثقالا كجبال ،  
وذخائر وافية وعددا واقية ، ودروع سوابغ ، ونصولا دافعة ، وخودا وترانك  
وقطاعات ، وعدد النقوب ، وجميع أدوات الحروب <sup>(١)</sup> . هذا بالإضافة الى ما هو  
مشهور منها كالمنجنقات التي كانت تعتبر أعظم آلات الحصار في العصور الوسطى  
وقد وصف القلقشندي المنجنيق « بأنه آلة من خشب له دفتان قائمتان ، بينهما  
سهم طويل ، رأسه ثقيل ، وذنبه خفيف ، تجعل كفة المنجنيق التي يجمع  
فيها الحجر يجذب حتى ترفع أسافله الأعلى أعاليه ، ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذي  
فيه الكفة فيخرج الحجر منه فما أصاب شيئا إلا أهلكه » <sup>(٢)</sup> .

وقد ذكر الطرسوسي في كتابه ( تبصرة أرباب الالباب ) أن المنجنقات  
على عهد صلاح الدين كانت على ثلاثة أنواع منها الفرس الذي يمتاز بدقة  
صناعته وجودة استخدامه ومنها التركي الذي يعد أقل أنواع المنجنقات كلفة  
في صناعته وأخصرها مؤونة ، أما النوع الثالث فهو الفرنجي ، وقد وصفها وصفا  
دقيقا <sup>(٣)</sup> .

كما أورد الطرسوسي أيضا وصفا تفصيليا لكيفية استخدام المنجنقات  
في القتال حيث بين أن لذلك أمور يجب أن تراعى ، وأن عدم مراعاتها قد

(١) أنظر العماد ، الفتح ، ص ١٤٤ .

(٢) القلقشندي ، ج ٤ ، ص ٢٦ حاشية .  
و ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢٦ حاشية .

(٣) أنظر الطرسوسي ، تبصرة أرباب الالباب ، ص ١٧ .

يسبب أخطارا جسيمة لمن يتولى الرمي به • كما نبه على مراعاة الدقة في وضع الحجر على الكفة • لأن ذلك له أثره في تحديد المسافة التي يصل إليها الحجر كما بين أيضا أن الأصل في بعد المسافة وقربها لين السهم وييسره • فمتى كان السهم في لين ليس بالمفرط • كان لذلك أثره البالغ في الوصول الى مسافة أبعد • وأشد نكاية للهدف المقصود • • ومتى كان السهم يابسا كان دون ذلك • فضلا عما ذكره من أنه يتمين على الرامي بالمنجنيق أن يبعد بين رجليه ويضبط الكفة بيديه ويقعد مع كل جره بنفسه مع الكفة •

(١)

والواقع أن هذه المنجنيقات تعد أعظم الاسلحة التي أستخدمها صلاح الدين • وخاصة في المعارك التي تدور رحاها في أماكن حصينة • اذ من الضروري • استخدام هذا النوع من السلاح لاحداث المفجرات في الحصون والأسوار كي يستطيع منها الجيش النفاذ الى الداخل • هذا فضلا عن استخدامها في انتهاك العدو وداخل أسواره وذلك يقذف الحجارة التي يبدو أنها كانت تقذف بواسطة المنجنيقات في الجو حتى تعتل السور ومن ثم تسقط على العدو في الداخل •

أما بالنسبة لحجم الحجارة التي كانت تقذف بواسطة المنجنيقات • فقد كانت كما ذكرت بعض المصادر مثل قلوب الرجال ووجوههم • (٢) كما يبدو لنا أن هذه الحجارة التي ترمى بواسطة المنجنيقات كانت تختار من نوع خاص • اذ

(١) المصدر السابق • ص ١٦ •

(٢) المصادر • الفتح • ص ٢٥٥ •

يذكر القاضي الفاضل عند وصفه للمنجنقات هذه الحجارة بأنها « كالبرؤوس  
(١)  
المحلقة » لذلك لا يستبعد أن تكون هذه الحجارة تختار من النوع الأملس

ولم يقتصر عمل المنجنقات على الرمي بالحجارة ، بل استخدمت فسى  
الرمي بسلاح آخر كان للمسلمين دور كبير فى تطوير صناعته واستخداماته فى ذلك  
(٢)  
الوقت هو سلاح النفط . وقد ذكر الطرسوسى بعض المعلومات عن كيفية صنع  
هذه النفوط ، وأن المسلمين برعوا فى صنع أنواع عدة منها وأن هناك عناصر  
عدة تدخل فى تركيبها منها الزيوت ، والنورة المطفأة ، وغير المطفأة ، والنفط  
والصمغ ، والكبريت ، وخل الخمر الحاذق ، والقطران ، وشحوم الحيوانات ،  
ونخالة الحنطة ، وبعض النباتات وغيرها من العناصر التى كانت تخضع  
لعمليات كيميائية دلت على براعة المسلمين فى ذلك الوقت فى هذا الحـلـم  
(٣)  
لانتاج هذا السلاح .

والجدير بالذكر أن سلاح النفط هذا لم يقتصر الرمي به على المنجنقات  
فقد أشار الطرسوسى عند حديثه عن كيفية صناعته الى طرق عدة لاستخدامه فسى  
(٤)  
القتال ، فمنه ما كان يرمى به من على ظهور الخيل ، أو بواسطة الشباب ،

---

(١) ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، ج ٧ ، ورقة ٢٩٨ .  
(٢) أنظر على سبيل المثال ما ذكره ابن شداد ، فى النوادر السلطانية ، ص  
١٢٠ من أن صلاح الدين جمع الصناعات من النفاطين والزرايين وحشهم على  
الاجتهاد فى ابتكار سلاح لاحتراق الابراج الثلاثة التى نصبها الصليبيون  
على عكا .

(٣) أنظر الطرسوسى ، تبصرة ارباب الالباب ، ص ٢٠ - ٢٣ .  
(٤) الشباب : النبل وهو سهم مصنوع من القاب ، ( أنظر نبيل عبد العزيز  
خزانة السلاح ، ص ٥٥ .

ومنه ما يوضع في قشر البيض بعد اخراج ما فيه ثم يرص به على الهدف ، ومنه ما يقذف بواسطة قوس عمل خصيصا لذلك وللنفط المعمول في القوارير . فضلا عن تمكن المسلمين من صناعة نوع خاص منه يستطيع المشي على الماء دون أن ينطفئ .  
(١)  
مهمته احراق مراكب العدو .

والظاهر أنه كانت هناك جماعة متخصصة في جيش صلاح الدين مهمتها عمل هذا السلاح والرص به . يدلنا على ذلك ما ذكره ابن شداد من أن الخليفة المباسي بحث في سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م الى صلاح الدين حملا من النفط ومعه جماعة من الذين لهم خبرة بهذا السلاح عرفوا بالنقاطين والى جانب ذلك نجد الزرايين ، والذين فسرهم البعض بأنهم جماعة مهمتهم رص النفط من الزراقات التي هي عبارة عن أنابيب خاصة يرسل فيها النفط ، فتبث منها نار النفط بارقاد ودخان ، فتحرق السفن في الماء . ويبدو أن كلمة نقاطين كانت تطلق على الذين يعملون بالنفط في الحروب البرية ، أما الزرايين فربما قصد بها أولئك الذين اشتغلوا بهذا السلاح في البحر ، ولعل ما يؤيد ذلك اقتران كلمة الزرايين بالنقاطين عند الحديث عن سلاح النفط .  
(٢)  
(٣)  
(٤)

ومن الاسلحة التي استخدمها صلاح الدين في جهاده أيضا ما عرف

- 
- (١) أنظر الطرسوسي ، تبصرة أرباب الالبات ، ص ٢١ - ٢٢ .
  - (٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١١٨ .
  - (٣) أنظر ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، م ٤ ، ص ٢١١ حاشية .
  - (٤) أنظر ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١١٨ ، ١٢٠ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٥٢ .

باسم المثلثات أو ما يمكن أن نطلق عليه الحسك وهي التي وصفها الطرسوسى بقوله « هذه المثلثات من ألطف الآلات ، وأبدع المصنوعات ، وأسرعها تأثيرا فى النكاية وهي مكيدة ترمى فى الأرض التي تعلم أن المدو يسلكها اليه ، ويسرع فيها للهجوم عليهم ، فاذا ساحت الخيل عليها ، ووطئت شموكتها القائمة فيها عقرتها أشد عقر ، وأثرت فيها أعظم تأثير فتسقط الخيول بمن عليها ، وتهلك بما أصابها من تلك النكاية » وسلاح الحسك هذا على نوعين منه المثلث الذى هو عبارة عن شوكة قائمة وشوكتين على الأرض ومنه المسدس ويتكون من ثلاث شموكات قائمة ، وثلاث ثابتة على الأرض (١) .

أما الستائر فهي أهم معدات الحرب عند المسلمين فى العصر الوسطى ، كانوا يتخذونها من الجلود واللبود المبلولة بالخل والشب والنظرون لوقاية الحصون والقلاع من قذائف النفط ، كما كانت تستعمل الى جانب ذلك لحماية الابراج والدبابات المصنوعة من الخشب ، والسفن من قذائف النفط (٢) . عن استخدام نوع منها فى وقاية الجنود الذين يستعان بهم فى جراف المنجنىقات وما شابهها (٣) .

يلى ذلك الزنبوركات والجروح ، التي قد تحمى نوعا من القسى التي ترمى عنها السهام ، والدليل على ذلك ما ذكره ابن الأثير عند حديثه عن فتح

- 
- (١) الطرسوسى ، تبصرة أرباب الالباب ، ص ١٩ - ٢٠ .  
 (٢) ابن واصل ، مفتاح الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ حاشية .  
 (٣) أنظر الطرسوسى ، تبصرة أرباب الالباب ، ص ١٨ - ١٩ .

حصن صهيون سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨م ان يقول " ودام رشق السهام من قسي  
النيد ، والجرح والزنبورك والزيار " ان فقد ورد ان ذكر الزنبورك والجرح  
هنا على انهما نوعان من انواع القسي . وجاء ما في العماد أيضا " وتوقير  
الجروح والزنبوركات " فالتوقير لا يكون الا للقوس كما جاء في الروضتين أيضا  
ومراكب وحراريق وفيها رماة الجروح والزنبوركات " لهذا كان المقصود بها  
القسي لا السهام بدليل ما جاء في ابن شداد ان يقول " وأطلقوا ( أي المسلمين )  
عليهم سهام الجروح ، وأحجار المنجنيق " فالحجر يطلق من المنجنيق ، وكذلك  
السهم يطلق من القوس .

أما الدبابات ، فقد ورد في شرحها أنها " آلة سائرة تتخذ من  
الخشب الثمين وتغلف باللبود والجلود المنقعة في الخل لدفع النار ، وتركب  
على عجل مستدير ، وتحرك فتبخر ، وربما جعلت برجاً من الخشب ، ودبر فيها  
هذا التدبير ، وقد يدفعها الرجال فتندفع على البكر " . أما الطرسوسى  
فقد اكتفى بمجرد الإشارة إليها عند حديثه عن المنجنيقات بقوله " وما يضاف  
الى ذلك ( أي المنجنيقات ) وأن كانت هي ليست منها ، وإنما هي آلة تقرب

- 
- (١) ابن الاثير، الكامل ، ج ١٢ ، ص ١١ .  
(٢) العماد ، الفتح ، ص ٣٤٥ .  
(٣) ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١١٩ ، راجع ما ذكر عن الزنبورك  
في ابن شداد ، ص ١٤٨ - ١٤٩ حاشية للدكتور الشيال وابن الفرات  
م ٤ ، ج ١ ، ص ٢٣٩ حاشية ٤ ، الدواداوى ، المطلوب ، (حاشية) .  
(٤) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١١٨ .  
(٥) الحسن بن عبدالله ، أثار الاول ، ص ١٩٢ ، ابن الفرات ، تاريخ ابن  
الفرات ، م ٤ ، ج ٢ ، ص ٧ ، حاشية .

(١) من هيولاتها ، ويستعان بها في نقب الاسوار وما شابها وعلى الدبابات \*  
 داخليا  
 ويبدو أن استخدمها يكون بادخال الرجال / ، ومن ثم تدفع حتى تقترب من  
 الاسوار والحصون ليقوم من بداخلها بمهمة النقب في حين تقيهم هي ما يرمون به  
 (٣)  
 من فوقهم .

والى جانب ذلك فقد استخدم صلاح الدين أنواعا أخرى من الأسلحة  
 الخفيفة التي يكون القتال بها وجهها لوجه مثل . السيوف التي ذكر الطرسوسى  
 أن معادنها وأنواعها تختلف باختلاف البلدان التي توجد فيها . وأن منها  
 ما كان يصنع ببلاد المغرب والأندلس ، وبلاد الروم والهند والصين وديار مصر ،  
 كما ذكر أن أرداة أنواع السيوف ما كان بالمغرب والأندلس . أما أجودها فهو  
 ما كان يصنع بمصر . (٤) والسيوف سلاح ذو حد يضرب به باليد وهو أنبل الأسلحة  
 البيضاء التي قدر حقها المسلمون ومن قبلهم العرب في جاهليتهم . (٥) ومنها  
 أيضا الرماح التي تعد من أهم الأسلحة التي تستخدم من فوق ظهور الجناد . (٦)  
 وقد ذكر الطرسوسى ان هذه الرماح على أنواع منها الأصم القصير وهو أحسنها  
 طعنا . ومنها نوع آخر يشق نصفين ويجوف جميعه تجويفا تمشى فيه النشاب

(١) يبدو أن الطرسوسى قصد بهذا التعبير أن الدبابات كانت تقارب فسى  
 تصميمها وشكلها المنجنقات .

(٢) الطرسوسى ، تبصرة أرباب الالباب ، ص ١٨ .

(٣) عبد الرحمن زكى ، السلاح في الاسلام ، ص ٢٤ ، ابن شداد ،  
 النوادر السلطانية ، ص ٤٢ حاشية الشيال ، .

(٤) أنظار الطرسوسى ، تبصرة ، أرباب الالباب ، ص ٤ .

(٥) عبد الرحمن زكى ، السلاح في الاسلام ، ص ٣٣ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٨ .



(١)

وهذا النوع يستخدم كلقوس لرمى السهام •

أما الدرع فهي عبارة عن أثواب مفسوجة من زرو الحديد تلبس فـى الحرب وشكلها ضيق تلبس على الجسم لها أكمام قصيرة تصل الى منتصف الذراع و جرت المادة بأن يلبس المحارب ثوبا من النسيج البطن يكون أشبه بوسادة تحت حلقات المعدن أو صفائح الرقيقة • ويتكون الدرع الكامل من الجوشن وهو الجزء الذى يقى الصدر ، والبيضة أو الخوذة والمفروهي الأجزاء التى تقى الرأس ثم أجزاء أخرى تقى الساقين والساغدين والكفين • (٢)

ويشبه الدرع التراس وهي من أهم معدات الحرب فى عصر صلاح الدين ، وكانت تصنع من الحديد ومن الخشب الجيد ، ومن الجلود المكسوة بالدهون والاصباح يلقى بها المحارب الضرب والرمى وقد أشار الطرسوسى عند حديثه عنها الى أنها على أنواع عدة منها المدور وهي التراس ومنها الطوارق ، وهي التى وصفها بقوله بأنها " آلة مستطالة ، الى أن تستر الفارس والراجل وتبدأ مدورة ثم تجتمع أولا الى أن ينتهى آخرها الى نقطة محدودة كرووس المماول (٣) أما النوع الثالث من هذا التراس فهي الجنديات التى وضعها الطرسوسى أيضا بقوله " وهي كالطوارق إلا أنها غير محدودة الأخر ، بل مقطوعة لتقف على الأرض وهي التى تزحف بها الرجالة للقتال ، وتكون للصف كالحصن المانع من

(١) أنظر تفصيل ذلك فى الطرسوسى ، تبصرة أرباب الالباب ، ص ١٠ - ١١ •

(٢) عبد الرحمن زكى ، السلاح فى الاسلام ، ص ٢٦ - ٢٧ •

(٣) الطرسوسى ، تبصرة أرباب الالباب ، ص ١٢ •

(١)  
النبال

والى جانب ما ذكرناه من الاسلحة التى استخدمها صلاح الدين فى جهاده لتصفية الوجود الصليبي استخدم أسلحة أخرى خاصة بنقب الأسوار وطم الخنادق ، وهى التى عرفت بحدود النقب ومنها القطاعة التى هى عبارة عن مطرقة تستعمل لقطع الصخر أو هدم البناء <sup>(٢)</sup> هذا فضلا عن ما هو مشهور من هذه المدد التى تستعمل أيضا لنقب الاسوار وطم الخنادق كالساحى ومما <sup>(٣)</sup> شابهها .

ومن الاسلحة التى استخدمها جيش صلاح الدين الدبوس وهو عبارة عن التحريمية من حد يد عرفها البعض بأنها هراوة فى طرفها كتلة صغيرة . وكثيرا ما يحملها الفرسان فى السروج تحت أرجلهم لئلا تستخدم فى تهشيم الخوف المعدنية . <sup>(٤)</sup> ومنها أيضا اللتوت جمع لت وهى كلمة فارسية الأصل ، يقصد بها القدوم أو الفأس الكبير <sup>(٥)</sup> النجاة وهى ذلك السلاح الذى ضرب به صلاح الدين ربة أرناط بعد معركة حطين سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م وهى عبارة عن خنجر مقوس ، يشبه السيف القصير <sup>(٦)</sup> .

- 
- (١) الطرسوسى ، تبصرة أرباب الالباب ، ص ٢٢ .
  - (٢) عبد الرحمن زكى ، السلاح فى الاسلام ، ص ٤٥ .
  - (٣) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، م ٤ ، ج ٢ ، ص ٨ .
  - (٤) عبد الرحمن زكى ، السلاح فى الاسلام ، ص ٢٦ .
  - (٥) أنظار المطاد ، الفتح ، ص ٤١٠ حاشية .
  - (٦) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٧٩ حاشية .

أما عن المؤن والمتاد فمن المعروف أن صلاح الدين كان يعمد قبل خروج جيشه إلى ميادين القتال ، إلى توزيع الأسلحة والملابس على جنده من الدارخانات ، كما كان يعطى كل واحد منهم مبلغا معيناً من المال لشراء ما يلزمه من ضروريات المعركة ويحمل كل رجل معه ما تقرر له من كميات المؤن والعلوفه ، وقد يشترىها على حسابه الخاص ، إذ يجرى شراء كميات إضافية من التجار الذين يتخذون لهم مكاناً في قاعدة العمليات الحربية ليسيحوا للجند ما يحتاجون إليه (١) .

وكان صلاح الدين يحسب للممارك حساباً كبيراً في هذا الشأن ، فكثيراً ما كان يصدر أوامره للمسكر بعد سيرهم بالاستزادة من المؤن والمتاد تحسباً لطول المعركة ، كما حدث حين خرج صلاح الدين سنة ٥٧٣هـ / ١١٧٧م لغزو غزة وعسقلان حين أصدر أوامره إلى عسكره بأن يحصلوا من المؤن والزاد ما يكفى لشهرة أيام أخرى (٢) .

أما فيما يتعلق بالدخال المدد إلى المدن التي تتعرض لحصار طويل من جانب العدو ، فإن صلاح الدين كان إذا توقع من عدوه مثل ذلك ، أنفذ إلى البلد المتوقع حصاره من الرجال والميرة والآلات والأسلحة ، ما كان كفيلاً بالدفاع عنها ، فضلاً عن حرصه على رفع الروح المعنوية للمقيمين بالداخل . من ذلك ما ذكره أبو شامة في حوادث سنة ٥٦٥هـ / ١١٦٩م من أن صلاح الدين لما علم باعتزام الصليبيين حصار دمياط في تلك السنة ، أنفذ إلى البلد

---

(١) أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٩٧ ، الباز المرينى ، الشرق الأوسط في الحصور الوسطى ، ص ١٦٧ ، نظير حسان سعداوى ، جيش

مصر ، ص ٧٩ .

(٢) أنظر ما سبق ، ص .

من الرجال الابطال والفرسان ، والآلات ما أمن معه عليه . هذا بالاضافة  
الى امداده للمقيمين فيه بامدادهم بالمساكر والآلات ، وقيامه هو من الخارج  
بازطاج العدو .<sup>(١)</sup>

أما في حالة تعرض البلد لحصار مفاجئ من جانب العدو فقد عمد  
صلاح الدين الى أساليب عدة لادخال المؤن والعتاد الى ذلك البلد - الذى  
قد أحكم حصاره منها استخدام القوة فى احداث ثغرة فى صفوف العدو يتمكن  
من خلالها من ادخال المدد الى البلد المحاصر ، مثلما حدث سنة  
٥٨٥هـ / ١١٨٩م عندما بلغه حصار الصليبيين لمكا ، حيث جمع أصحابه  
وشاورهم فى الأمر ، واتفقوا على مضايقة العدو بالقوة . فاستدعى صلاح الدين  
عساكره من كافة الجهات ، واستعد لذلك استعدادا كبيرا ، وضرب ضربته  
فتمكن من فتح طريق سلكه المسلمون الى البلد ، وادخلوا لمكا ما أرادوا - من  
الرجال والأموال والذخائر والسلاح والميرة وغير ذلك . ومن هذه الأساليب<sup>(٢)</sup>  
أيضا قيام صلاح الدين بمهاجمة العدو لاشغاله ومناوشته لجذبه الى احدى  
الجهات ومن ثم انتهاز الفرصة من الجهة الأخرى لادخال المدد الى البلد  
المحاصر . من ذلك ما حدث سنة سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م أثناء حصار الصليبيين  
لمكا ، حيث قام صلاح الدين بهجوم قوى على الجيش الصليبي الذى كان  
يحاصر عكا ، لئلا يشغله عن الاسطول الاساسى القادم من مصر ، ومعه مراكب

(١) ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٥٨ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٤ - ٣٥ ، ابن تفرى بودى ،

النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٤٣ - ٤٤ .

فيها المؤمن والذخائر ، حتى استطاع ذلك الاسطول أداء مهمته رغم تعرضه  
 لاشتباك مع الاسطول الصليبي في عرض البحر . <sup>(١)</sup> هذا فضلا عما كان يقوم به  
 الاسطول الاسلامي من الحيل لادخال المدد الى البلدان الساحلية التي قد  
 تتعرض لحصار من جانب الاعداء . من ذلك ما حدث أيضا في عكا سنة ٥٨٦هـ /  
 ١١٩٠م حيث أعد صلاح الدين بيروت سفينة كبيرة أودعها أربعمائة غرارة  
 من القمح ووضع فيها كذلك الجبن والمبرة والبصل والقمح وأحملا من النخل والتمر  
 وغير ذلك . وركب في تلك السفينة جماعة من المسلمين تزوا بزى الفرنج ،  
 فحلقوا لحاهم ووضعوا الخنازير على سطح السفينة ، بحيث ترى من بعد  
 وعلقوا الصلبان ، وشدوا الزنابير ، وأبحروا بها في البحر وسط مراكب الصليبيين  
 ولما حاذوا عكا صوبوها نحوها ، وتمكنوا من أداء مهمتهم بادخال ما حملته تلك  
 السفينة من مؤن وعتاد الى داخل البلد ، ففرح المسلمون بذلك فرحا عظيما .  
 هذا فضلا عما كان يقوم به العوامون المسلمون من دور كبير في ذلك ، ولعلنا  
 نجد في قصة العوام عيسى خير دليل على ذلك . حيث كان ذلك الرجل يدخل  
 الى عكا بالكتب والنفقات على وسطه ليلا ، على غرة من المدو . وكان يفرس  
 ويخرج من جانب من مراكب المدو . وحدث في احدى الليالي أن أبحر وقد  
 شد على وسطه ثلاث كياس ، فيها الفدينار ، وكتب للمسكر ، وعام بها  
 في البحر . وكان من عادته ان انجح في أداء مهمته أن يظير طيرا لكي يعرف

(١) ابوشامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٥٤ ؛ ابن كثير ، البداية  
 والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٣٦ .

(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٣٥ ؛ ابوشامة ، كتاب  
 الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٦١ .

المسلمين وصوله • وفي هذه المرة أبطأ ذلك الطير • فاستشعر المسلمون هلاكه •  
 وحده أيام بينما الناس على طرف البحر في البلد • قذف البحر ميتا غرقا •  
 (١) (١) •  
 ففتقدوه • فبقي الناصب على رأسه • والبرام وجوه على الناصب الناصب • والناصب الكتب •

كما كان صلاح الدين يستغل هدوء الأحوال ، عند ما يهيج البحر ويحل الشتاء في ادخال المؤن والعتاد الى ميادين القتال ، من ذلك ما ذكره ابن شداد في حوادث سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م من أن صلاح الدين عند ما هاج البحر في هذه السنة ، ورفع العدو ما كان في البحرين الشوانى<sup>(٢)</sup> الى البر ، استغل بادخال البديل - أى اخراج من بالداخل من المعسكر واحلال آخرى -  
وادخال<sup>(٣)</sup>  
محلهم - / المير والذخائر والنفقات والعدد اليها .

## أساليب القتال :

أما عن أساليب القتال في جيش صلاح الدين فإن تناولها يدفعنا إلى الحديث عن تعبئة الجند على عهد صلاح الدين والحقيقة أنها لم تكن تختلف عما سبقها أو لحقها من الممهور الإسلامية ، إذ كان يتألف من عسكر المقدسة ثم عسكر القلب ، حيث يكون السلطان بجند ، ثم عسكر آخر من ناحية اليمين من موقف السلطان وعلى سمتة يسمى اليمين ، ثم عسكر آخر من ناحية الشمال

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٣٥ - ١٣٦ .  
 (٢) الشواني مقدّم هاشمى وهى السفينة الحربية الكبيرة ، أنظر ابن ممتى ،  
 قوانين الدواوين ، ص ٣٤٠ ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٤٨  
 حاشية .  
 (٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٥٢ - ١٥٣ ؛ العماد ، الفتح ،  
 ص ٤٥٦ - ٤٥٧ .

ويدعى الميسرة ، ثم فرقة أخرى من وراء المسكر كله أطلق عليها الساقة ، ويقف  
السلطان وأصحابه فى الوسط بين هذه الفرق الأربع . وهذه هى الأصول التى  
أجمع عليها فى ترتيب جيوش المسلمين ، وتلك الأصول فى نظرهم كالفروع  
الواجبة ، أما الفروع كالطلائع ، والكناء ، فهى كالتوافل غير الواجبة لاختلافهم  
(١)  
فيها .

والتعبئة هى هذه الصورة ، معناه أن يقف كل عسكر فى موضعه  
ويعرف كل أمير منزلته استعدادا للزحف على العدو ، بحيث يقف الميمنة فى  
مقابلة ميسرة العدو ، والميسرة فى مقابلة ميمنته . وتنقسم كذلك كل من الميمنة  
والميسرة الى جناحين أيمن وأيسر ، وبالمثل القلب ، فيقال الذراع الايمن  
للقلب ، والذراع الأيسر للقلب . وتتكون المؤخرة من المطبخ والخزينة ،  
والفائض من الخيول والاسرى والجرحى . وتطبق هذه الصورة على ما ذكرته  
الروايات المعاصرة عن التعبئة الصلاحية فى المعركة المعروفة بالصفاء الاعظم  
أو الموقعة الكبرى التى حدثت فى شعبان من سنة ٥٨٥هـ / اكتوبر ١١٨٩م عندما  
خرج الصليبيون بتعبئة القتال نحو المسكر الاسلامى بتل المياضية . ذلك أنه  
لما كان يوم الاربعاء الموافق الحادى والعشرين من شعبان سنة ٥٨٥هـ تحركت  
عساكر الصليبيين فارسهم وراجلهم ، واصطفوا خارج خيامهم : قلبا وميمنة وميسرة  
وفى القلب الملك بين يديه الانجيل ، وامتدت الميمنة فى مقابلة ميسرة عسكر  
المسلمين ، وامتدت ميسرة العدو فى مقابلة ميمنة المسلمين ، وكان طرف

---

(١) أنظر الدارسوسى ، تبصرة ارباب الالباب ، ص ٢٣ - ٢٤ ، نظير حسا  
سعداوى ، التاريخ الحربى المصرى ، ص ٢٢٥ ، سعداوى ، جيش  
مصر ، ص ٤٠

ميمنتهم الى النهر وطرف ميسرتهم الى البحر . ولما رأى صلاح الدين ذلك نادى  
فى جيشه " يا للاسلام " فركب الناس ، وامتدت الميمنة الى البحر ، والميسرة  
الى النهر كذلك . وكان صلاح الدين قد رتب الناس فى الخيام ميمنة وميسرة  
وقلبا ، حتى اذا وقعت صيحة لا يحتاجون الى تجديد ترتيب وكان هو فى القلب .  
(١)

وكان صلاح الدين يقوم بتعيين قائد مستقل لكل فرقة من هذه الفرق ،  
أطلق عليه المقدم فيقال مقدم المقدمة ، ومقدم الميمنة ، ومقدم الميسرة ، ومقدم  
الساقة . أما القلب فقد جرت العادة بأن تكون امرته لصلاح الدين نفسه ، ويحاط  
بالاطباء والفلكيين والعلماء والاكهفاء ورماة المزاريق المهرة ويقف جاهدوا المسلم .  
(٢)  
وأصحاب الكوسات .

والى جانب ذلك كان صلاح الدين يدور بنفسه يوم المعركة على صفوف  
الجيش ويخاطبهم ويحثهم على الجهاد ، ويعدهم بالثواب من الله فى الآخرة ،  
ويعينهم بالخلع السنية والعطايا والهبات .  
(٣)

وجرت العادة أن يسبق معارك صلاح الدين حركة استكشاف يقوم بها  
طائفة من جيشه عرفت باسم اليزك يمرن أفرادها على تقصى أخبار العدو ومعرفة

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٠٩ - ١١٠ ، أبو شامة ، الروضتين ،  
ج ٢ ، ص ١٤٤ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ - ٢٩٦ ،  
نظير حسان سعداوى ، التاريخ الحربى المصرى ، ص ٢٢٦ ، سعداوى  
جيش مصر ، ص ٤١ .

(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢٥ ، نظير حسان سعداوى ، جيش  
مصر ، ص ٤١ ، والكوسات عرفها القلقشندى فى صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٩  
بانها عبارة عن صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير ، يدق باحدىها على  
الآخر بإيقاع مخصوص ، أنظر أيضا تاريخ ابن الفرات ، م ٤ ، ج ٢ ، ص ٥٥ .  
حاشية .

(٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ ، ابن تغرى بردى ، النجوم  
الزاهرة ، ج ٦ ، ص ١٠ .



خطاه الحربية ، وقد يعمد اليه بمهمة مناوشة العدو بالنشاب ، واستد راجه  
(١)  
الى معسكر المسلمين .

أما اذا أراد صلاح الدين الشروع في القتال ، فانه كان يأمر بدق الكوسات  
اذا نأبىء القتال يد لنا على ذلك قول العماد الاصفهاني « كانت الملامة  
بيننا وبين أصحابنا في عكا عند زحف العدو ، دق الكوس ، حتى اذا سمعناه  
جددنا في الزحف الى العدو بالنفائس والنفوس » (٢) .

كما كان صلاح الدين اذا أراد اصدار أوامر جديدة لجيشه أثناء سير  
المعركة أو كل شخص في جيشه عرف باسم الطواشي مهمته نقل هذه الأوامر  
الى جميع وحدات العسكر يشاركه في هذا العمل موظف آخر عرف باسم الجاويش  
(٣)  
فضلا عن قيامه باصباح والمتاداه في الجيش لحثهم على الجهاد .

كما أهتم صلاح الدين بوجه خاص بالناحية القضائية في عسكره ، وكان  
ذلك على ما يبدووا تحسبا للفصل فيما قد يحدث بين العسكر من اختلاف  
ومشاكل تشغلهم عن الجهاد ، وقد تولى وظيفة قضاء العسكر هذه على عهد  
صلاح الدين ، المؤرخ بهاء الدين بن شداد الذي لازمه في حله وترحاله .  
(٤)

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٥٠ - ١٥٢ ، العماد ، الفتح ،  
ص ٢٩٣ ، أنظر أيضا نظير سحداوى ، جيش مصر ، ص ٤٤ - ٤٥ .

(٢) العماد ، الفتح ، ص ٤٨٨ .

(٣) أنظر نظير حسان سحداوى ، جيش مصر ، ص ٤٥ ، والجاويش : كان معناه  
في مصطلح العصر الايوبي جندى مهمته النداء واستنفار الجند . ( أنظر  
ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٦٢ حاشية ، ابن واصل ، مفرج الكروب ،  
ج ٢ ، ص ٢٩٥ حاشية .

(٤) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٧ حاشية ، نظير حسان سحداوى ،  
جيش مصر ، ص ٤٤ .

أما وضع الخطط العسكرية ، فقد وضع صلاح الدين لأقاربا والأشراف عليها مجلس مشورة ينمقد كلما دعت الضرورة لانعقاد . واستشار صلاح الدين ذلك المجلس في عماياته الحربية وعمل بمشورته . ويتكون هذا المجلس من كل من صلاح الدين رئيسا ، عضوية أخيه العادل أبي بكر وأولاده وأولاد أعمامه ، والرفاق القدامى والأتباع الجدد ، ووزيره القاضي الفاضل ، وسكرتيره الخاص الصمد الأصفهاني ، وقاضي الجيش بهاء الدين بن شداد (١) .

وأعطى صلاح الدين أعضاء هذا المجلس حرية إبداء الرأي في صراحة تامة ، وإن كان من المقطوع به أن وجود صلاح الدين كرئيس لهذا المجلس كان يملك السيادة عليه . ولم يحدث مطلقا أن علا صوت أحد الأعضاء الآخرين وانفرد بالمناقشة دونهم ، بغية التأثير على صلاح الدين . ومع ذلك فإنه يبدو لنا أن المشورة لم تقتصر على أولئك الانصار بل كانت له مشورة خاصة تقتصر على نفر من أصحابه ، وعامة تشمل الجيش بكامله . فمن المعروف أن صلاح الدين اهتم كثيرا بمشورة أخيه العادل وسماح رأيه بالذات (٢) ، حتى أن البعض يرجع نقله من هلالى حلب الى أن صلاح الدين رغب في أن يكون أخوه العادل على مقربة منه يأخذ رأيه في أمور السياسة والحرب للاستشارة بمشورته . وبلغ به الأمر أن حرص على الكتابة اليه دائما وهو بمصر ، وكان يؤخر الأمور حتى يرد عليه . وكذلك الحال مع غيره ممن (٣) (٤)

(١) أنار نظير حسان سعادوى ، التاريخ الجبرى المصرى ، ص ١٧٧ .  
جيش مصر ، ص ٣٢ .

(٢) Lane-Poole, Saladin, P. 260.

نظير حسان سعادوى ، جيش مصر ، ص ٣٢ .

(٣) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٥٢ .

(٤) نظير حسان سعادوى ، التاريخ الحربى ، ص ١٥١ .

يعرف شداد رأيه في ذلك أمثال القاضي الفاضل ، والفقيه الهكاري ، والقاضي عيسى  
 بهاء الدين بن شداد وغيرهم ممن كان صلاح الدين ينفرد بهم ويخصهم بمشورته .  
 (١)

كما كان صلاح الدين يستشير أكثر من واحد من أصحابه في أمر واحد ،  
 يدلنا على ذلك ما ذكره ابن شداد ، من أن صلاح الدين شاوره في أمر خراب  
 عسقلان بعد أن كان قد أخذ مشورة ابنه الملك الأفضل عليا في ذلك .  
 (٢)

أما بالنسبة للمشورة العامة ، فيدلنا على ذلك ما ذكره ابن شادنشا  
 الأيوبي في كتابه مضمار الحقائق من أن صلاح الدين بحث كتابا إلى نائبه  
 في مصر يصف الاستعداد للجهاد قال فيه « وقد عزمنا - مع خروج شابط -  
 على السير إلى حلب ، لأن هناك العساكر يقرب اجتماعها ، والفنائم يتحقق  
 اتساعها ، والمشاورات الصائبة يتداني استماعها . . . . »  
 (٣)

وعلى كل فان الذي يهنا هو أن صلاح قد سار في وضع الخطط العسكرية  
 لجيشه على أساس نظام المشورة الذي كان يقوم على تبادل الآراء واختيار  
 أفضلها ، سواء أكان ذلك في الفترة التي قضاها في توحيد الجبهة الإسلامية  
 أو بعد أن بدأ مشروع الجهاد الإسلامي لتصفية الوجود الصليبي . بل إنه  
 طبق مبدأ المشورة هذا حتى وهو لا يزال تابعا لسيدته نور الدين محمود .

---

(١) أنظر ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٢٥٥ ؛ ابن كثير ، البداية  
 والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣١٩ ؛ السبكي ، طبقات الشافعية ، ج ٧ ،  
 ص ١٦٢ .

(٢) ابن تفرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٤٦ .

(٣) ابن شادنشا الأيوبي ، مضمار الحقائق ، ص ١٦٤ .

يد لنا على ذلك ما فعله في المحرم من سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م ، حين جمع  
الأمراء وشاورهم في رغبة الخليفة العباسي ونور الدين محمود ، في القبض على آخر  
الخلفاء الفاطميين والفناء الخطبة له وإقامتها للخليفة العباسي المستنصر<sup>(١)</sup> . وفي  
السنة نفسها دعا صلاح الدين المجلس إلى الانعقاد ، بعد أن بلغه عزم  
نور الدين محمود على قصده في مصر وإخراجه منها بسبب تأزم الموقف بينهما  
حيث جمع لذلك أهله وأقاربه ، واستشارهم في ذلك ، فقال بعضهم بمقاتلة  
نور الدين أن أقدم على ذلك وعزموا على إعلان ذلك لولا تدخل نجم الدين  
أيوب والد صلاح الدين الذي حسم الموقف بحكمة وروية ، كما سبق أن ذكرنا<sup>(٢)</sup> .

وحينما استعصت مدينة صور التي اعتصم بها الصليبيون على صلاح الدين ،  
عقد مجلس مشورة في سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م - ناقش المجتمعون فيه مسألة  
حصار مدينة صور وفي ذلك يذكر الحماة أن صلاح الدين وأصحابه قرروا فيه أن  
صور " بلد حصين في البحر ثلاثة أرباعه " ومن أحكام المزم تكميل الآلات وتركيب  
الابراج والدبابات واستحضار كل ما يراود للحصار<sup>(٣)</sup> . أما ابن الأثير في كتابه  
الكامل ، وأبو شامة في كتابه الروضتين ، فقد ذكرا أن المجتمعين في ذلك  
المجلس انقسموا قسمين ، قسم يرى رفع الحصار لكثرة القتلى وقلة الأموال وحلول  
الشتاء ، على أمل العودة إليها في الربيع ، وقسم رأى الاستمرار في حصارها<sup>(٤)</sup>  
ومضايقتها حتى تسقط . وانتهى الأمر بتغلب الفريق الأول على ما سنرى في الفصل

(١) أنظر ما سبق ، ص

(٢) أنظر ما سبق ، ص

(٣) الحماة ، الفتح ، ص ١٥٧ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٥٦ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ،

ص ١١٩ - ١٢٠ .

## الخامس •

وفى حصار الصليبيين لمكا انعقد مجلس المشورة أكثر من مرة لوضع  
الخطط الحربية ، منها ذلك الاجتماع الذى عقد فى شعبان من سنة ٥٨٥ هـ /  
سبتمبر ١١٨٩ م ، والذى افتتحه صلاح الدين بقوله « اعلّموا أن هذا عدو الله  
وعدونا ، قد أجلب بخيله ورجله ، واناخ بكل الكمل ، وقد برز بالكفر كله الى  
الاسلام كله ، وجمع حشده ، وحشد جمعه ، واستنفذ وسعه ، وأن لم يعالج  
الآن فريقه أغسل دأؤه وتمذر غدا لقاؤه . . . » (١)

والواقع أن صلاح الدين شاور أصحابه فى هذه المواطن كلها ، ومواطن  
أخرى كثيرة يطول حصرها هنا • وقبل رأيهم عن رضا حيناً ، وعن كره حيناً آخره  
اينارا لرغائهم ، وحرصاً منه على احترام رأى الأغلبية • وكانت عادة صلاح الدين  
إذا عقد مشورة أو اتخذ قراراً سياسياً أو إصلاحياً أن يكلف القاضى بهاء الدين  
ابن شداد بتبليغه الى الجهات المعنية لتقوم بدورها بتنفيذه ، وفى هذا  
المعنى يقول ابن شداد « فكتبت الرقاع ، وسيرت الى الامراء » (٢)

والى جانب نظام المشورة اتبع صلاح الدين أساليب أخرى ، كان لها  
الأثر الكبير فى احكام خطاه العسكرية ، منها استغلال المعلومات التى كانت

(١) أنظر الحماد ، الفتح ، ص ٣٢٢ - ٣٢٣ •

(٢) نظير حسان سعداوى ، جيش مصر ، ص ٣٩ •

(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢١٢ ، نظير حسان سعداوى  
جيش مصر ، ص ٣٨ •

تصله من معسكرات المدو اما بواسطة الطلاب أو اليك - كما سبق أن ذكرنا -  
وأما بواسطة الجواسيس أو الميون ، التي كان صلاح الدين حريصا على بثها في  
معسكرات الأعداء لكشف خططهم ، ومعرفة مواطن الضعف في صفوفهم . يد لنا  
على ذلك ، ما ذكره العماد الاصفهاني على لسان الامير علم الدين سليمان  
ابن جندب من أنه أنهض جماعة من أصحابه ، ليقتلوا آثار ملك الالمان ، ويكشفوا  
أخباره ، فساروا الى معسكره ، وخالطوا جيشه ، واستطلعوا أخباره وخططه ،  
ثم عادوا بعد أن أسركل منهم ثلاثة أو أربعة أشخاص من جيشه بأعوانهم في  
الاسواق . هذا فضلا عما كان يصله من معلومات عن معسكرات الصليبيين عن  
طريق أولئك المستأمنين الواصلين اليه من صفوف الفرنج .  
( ١ )  
( ٢ )

كما قام صلاح الدين ببعض الاحيان باستطلاع أخبار عدوه بنفسه - من  
ذلك ما ذكر من أن صلاح الدين خرج في سنة ٥٧٢ هـ / ١١٨٦ م الى مرج  
فاقوس من أعمال مصر الشرقية لارهاب المدو ، متظاهرا بالصيد والقنص ، وهو  
في حقيقة الأمر يريد تطلع أخبار الصليبيين بنفسه ، لمعرفة خططهم وانتهاز  
الفرص للانقضاض عليهم .  
( ٣ )

كما يبدو أن صلاح الدين كان قد سار على طريقة سيده ، نور الدين  
محمود في استخدام الحمام الهواذي وذلك كوسيلة للاتصال بجيوشه التي تتعرض  
للحصار والتضييق عليها من جانب الأعداء لمعرفة أحوالهم ، ومن ثم تنسيق

( ١ ) العماد ، الفتح ، ص ٣٩٦ .

( ٢ ) أنظر ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٣٨ .

( ٣ ) المصنف ، عقد الجمل ، ج ١٢ ، ورقة ١٢٠٨ .

الخطط العسكرية معهم ، من ذلك أنه في سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م تمكن بهذا  
(١)  
من استطلاع أخبار أهل عكا وما هم عليه من أمر الحصار .

أما عن التنظيم في القتال فقد اتبع صلاح الدين في معاركه أساليب كثيرة  
ومتنوعة ، ففي المعارك المكشوفة التي كان يشتبك فيها مع عدوه وجها لوجه فقد  
كان يقسم جيشه - كما سبق أن رأينا - إلى تعبئة قتالية تتكون من المقدمة ،  
والقلب ، والميسرة والساقه ، ويجعل ميمنته مقابل ميسرة العدو وميسرته مقابل  
ميمنه ، وعند بدء المعركة يكتنف بمناولة العدو بأحد الجناحين ، على حين  
يظل الجناح الآخر على أهبة الاستعداد يتقدم للقتال متى أصاب الأول الوهن  
أو أعياه الضعف ، أما القلب فوظيفته أن يمد جناحيه بالاطلاب ، إذا ما أصابها  
(٢)  
الضعف أيضا .

ولا يقتصر موقف السلطان في المعركة على القلب ، بل كان يداوف على  
الاطلاب جميعا يحثهم على الجهاد ، ويحجبهم في الاستشهاد ، وإذا ما  
اشتد القتال ، طاف بين الصفوف من الميمنة إلى الميسرة ، يدعو الاطلاب إلى  
التقدم والتمركز في مواقع يعينها لهم وعليه كذلك أن يداوف حول العدو مرة أو مرتين  
إذا كان قريبا منه لاستكشاف أخباره ، ومعرفة نقاط الضعف في صفوفه ، حتى أن

(١) الحماد ، الفتح ، ص ٣٦٠ - ٣٦٢ ، والحماد الهوادي هو الحماد  
الزاجلي ، أو حماد الرسائل ، وأطلق هذا الاسم على الحماد لحمله صفات  
الرسائل ، وقيل أن اسم ورقاء بالعربية أطلق في الأصل على هذا النوع  
من الحماد لحمله ورق الرسائل ، وهو مشهور بسرعة الطيران ، أنظر نظير  
حسن سعادوى ، نظام البريد في الدولة الإسلامية ، ص ١٣٤ ، ١٤١  
- ١٤٢ .

(٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ - ٢٩٧ ، نظير حسان  
سعادوى ، جيش مصر ، ص ٤٢ .

ابن شداد يذكر أن صلاح الدين كان لكثرة تجوله بين صفوف الجيش ، يضع  
على رأسه منديلًا بغيتاء حرا رة الشمس ، وكان لا يحب أن تنصب له خيمة  
(١)  
حتى لا يرى العدو منه ضعفا .

ومن أساليب القتال التي اتبناها صلاح الدين كذلك الحرب الخاطفة  
ومباغطة العدو ، وثبوت هذه الخطة واضحة بعد معركة حطين حين اتجه صلاح  
الدين مباشرة إلى المدن الساحلية ، فهاجم معظمتها مثل عكا وصفوريه وقيساريه  
وغزة ونابلس وغيرها ، حتى إذا استحصت عليه صور فضل تركها والعودة  
إلى الاستيلاء على بيت المقدس . وما أن استولى عليه حتى عاد مرة أخرى  
إلى الساحل فاستولى على حصن كوكب والكرك ، والشويك واللاذقية وغيرها -  
(٢)

ولم تقتصر أساليب صلاح الدين القتالية على ذلك ، بل استخدم  
أساليب أخرى متعددة منها أسلوب الكر والفر ، ففي سنة ٥٧٤هـ / ١١٨٧م أغار  
على حصن بيت الأحزان ، ثم انتقل إلى بانياس وخيم بقل القاضي ، وبلغت  
خيامه حدود العدو ، وأخذ يجرد المساكروقبائل العرب إلى صيدا وبيروت  
حتى يحصدوا غلات الصليبيين ، ومن ثم يعودوا إليه بالاجمال حتى خفف رزع  
(٣)  
العدو .

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٩ ، نظير حسان سعداوي ،

جيش مصر ، ص ٤٢ .

(٢) أنظر ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٥٥ ، ٥٦ ، ١٤٥ ، ٢٠٥ .

(٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٧٣ - ٧٤ .



كما كان للتصويه والخذاع ، دور كبير في تحقيق الانتصار في معارك  
 صلاح الدين ، من ذلك ما ذكره ابن الاثير في حوادث سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢ م  
 من أن صلاح الدين سار من بيروت في تلك السنة قاصداً مدن اقليم الجزيرة ،  
 بعد أن وصلته رسل مظفر الدين ، تحذره على المجيء ، فجد في السير  
 مظهراً أنه يريد حصار حلب ، وهو في حقيقة الأمر يقصد اقليم الجزيرة . (١)  
 ما ذكره العماد في كيفية فتح صفد سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨ م ، حيث ذكر أن  
 صلاح الدين قد اصطنع لذلك حيلة كثيرة . (٢)

كما عمل صلاح الدين على بث سرياه للاغارة على معسكرات الصليبيين  
 وممتلكاتهم واضعافها بالنهب والسلب والتخريب . من ذلك ما حدث سنة  
 ٥٧٩هـ / ١١٨٣ م عند ما علم المسلمون بنزول الصليبيين في عين جالوت ،  
 حيث بثوا سراياهم في تلك المنطقة للاغارة على المدون ونهب معسكره . (٣)  
 حدث سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤ م حينما أغار صلاح الدين على جينين ، حيث بث  
 وهو في طريق عودته منها السرايا يمينا وشمالا للاغارة على ممتلكات الصليبيين  
 وتخريبها . (٤)

ويبدو أن نشاطات جواسيس صلاح الدين وعيونه في استطلاع أخبار  
 الصليبيين وتحركاتهم ساعدته على قيامه بنصب الكمائن لهم وتكبيد هم الخسائر

- 
- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٨٣ .  
 (٢) العماد ، الفتح ، ص ٢٦٨ .  
 (٣) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٧٣ .  
 (٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٠٧ .

من ذلك ما ذكر من أن صلاح الدين بلغه خروج جمع من الصليبيين ، للاحتشاش  
والاحتلاب ، فأمكن لهم جماعة من العرب ، واختص العرب لخفتهم على خليلهم ،  
وأمنه عليهم ، فهاجموا عليهم وكبدوهم خسائر جسيمة في الأرواح ، وأسروا جمعا  
كثيرا وذلك في شعبان سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م . ومن ذلك ما حدث في تلك  
المعركة التي عرفت في المصادر بمعركة الكمين سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م .<sup>(١)</sup>  
<sup>(٢)</sup>

وكان لحرب العصابات دور كبير في انزال العرب في معسكرات الصليبيين  
وانهالك قواهم ففي سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م كبس جماعة من المسلمين أثناء حصار  
عكا سوق الخمارات ، وسبوا منه عددا من النساء الفواجر . كما كان رجال  
المسلمين يتسللون الى معسكرات الصليبيين لخطف الرجال ، فتمهم من كان  
يهجم على الرجل في خيمته ويرعبه بسكين أو بغيرها ، فيأخذه أسيرا بالقهر ،  
وان أبي قتله .<sup>(٣)</sup>

كما نلاحظ أن صلاح الدين قد استعمل أسلوب التهيب في كثير من  
معاركه ، من ذلك ما ذكره أبو شامة في حوادث سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م من أن  
صلاح الدين عندما حاصر حلب في هذه السنة « أنفذ رسل التهيب اليهم »  
الامر الذي جعل عماد الدين زنكي الثاني ينزل على الصلح .

كما استعان صلاح الدين في جهاده ضد الصليبيين بأولئك المستأمنين

- 
- (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٠٨ .  
(٢) انظر ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٥٠ - ١٥١ ، الحماد ،  
الفتح ، ص ٤٤٨ - ٤٤٩ .  
(٣) الحماد ، الفتح ، ص ٣٤٥ - ٣٤٦ .  
(٤) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٤٣ .

الوافدين على معسكره من صفوف عدوه ، ففى سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م اتفق مع جماعة منهم على ركوب البحر ونهب مراكب الصليبيين ، على أن يكون المكسب مناصفة بينه وبينهم ، فظفروا بعدد منها ، وأسروا بحارتها ، واخضعوهم بسين يديه فأعطاهم جميع ما غنموا ثم أسلم شطرهم نتيجة لهذه المكرمة منه .<sup>(١)</sup>

ويمكن القول بأن صلاح الدين ، قد اتبع نظاما خاصا فى جهاده ضد الصليبيين ، دل على خبرته ودرايته بفنون القتال ، ويقوم بهذا النظام على اختيار الوقت والمكان المناسب للاشتباك مع عدوه . فقد كان صلاح الدين يراعى عند غزوه على الجهاد درجة حرارة الجو ، فضلا عن المكان الذى ستدور فيه المعركة ، واستدراج العدو الى المكان المناسب الذى يريده هو ، ومن ثم توفر المواد اللازمة لجيشه وخيله كالماء والعشب بالإضافة الى مراعاة اتجاه اشعة الشمس ، حيث كان يحرص على أن لا تكون اشعتها فى وجه جيشه تميقة عن الهجوم . ولعل خير دليل على ذلك ما حدث فى كل من معركة صفور — وحطين ، وفتح بيت المقدس .<sup>(٢)</sup>

أما فيما يتعلق بحصار المدن والقلاع فإن صلاح الدين قد استخدم لذلك أسلحته الثقيلة كالمنجنقات والدبابات وغيرها ، فإذا ما وقف على الحصن المراد حصاره ، تقدم بادي الأمر الى أصحابه يطلب تسليمه له بالطرق السلمية ، فإن أبى ذلك شرع فى حصاره بتكتيك بارع ، يبدأ باختيار ذلك السور أو الحصن لتقدير استعداداته ، ومعرفة نقاط الضعف فيه ، كما حدث عند حصاره لـ حصن

(١) العماد ، الفتح ، ص ٤٦٠ — ٤٦١ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص

٣٤٧ — ٣٤٨ ، ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، م ٤ ، ج ١ ، ص ٢٤٤ .

(٢) أنظر ما يلى : ص

(١) بيت الأحزان سنة ٥٧٥/١١٧٩ م وحصن طبرية سنة ٥٨٣/١١٨٧ م وكذلك  
(٢)  
(٣) ما فعله عند شروعه في فتح بيت المقدس في السنة نفسها •

وإذا فرغ صلاح الدين من تحديد ذلك ، بدأ في نصب آلات الحصار ،  
ثم أصدر أوامره إلى المنجنيقات بالشروع في الرمي ، في حين يقوم مشاة  
الجيش بالتقدم على شكل زحوف مستمرة لقتال الحامية وفي نفس الوقت كان الماروقو  
بمواضع النقب في الاسوار ، يقومون بنقب المواقع الحساسة التي تؤدي إلى  
إلى تعليق السور ثم انهدامه ، وأما إلى عمل ثقب على شكل سلالم يصعد عليها  
الجيش ، وأما على شكل ثقب داخل الاسوار تشعل فيها النيران بعد حشوها •  
(٤)  
(٥)  
(٦) فإذا تمكنوا بأحدى هذه الطرق من فتح ثغرة في السور ، تدافع الجيش إلى  
الداخل •

كما اتبع صلاح الدين في حصار المدن والقلاع ، أسلوب الاشتباك مع  
حامية الحصن مباشرة ، اذ تبدأ المنجنيقات بمضرب الاسوار ضربا شديدا ومتابعا  
وما أن تحدث بعض الفتحات حتى يقوم عدد من جنده بهجوم سريع على تلك  
الثغرات والاشتباك مع حامية المدو ، فإذا قضوا على المدافعين ، فتحتوا  
الطريق أمام الجيش لاقتحام الحصن والاستيلاء عليه ، من ذلك ما حدث عند

- 
- (١) ابن خلدون ، المعبر ، ج ٥ ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤ •  
(٢) العماد ، الفتح ، ص ٧٦ •  
(٣) أنظر ما يلي : ص  
(٤) ابن واصل ، طرح الكرب ، ج ٢ ، ص ٢٦٨ •  
(٥) العماد ، الفتح ، ص ٢٥٦ •  
(٦) العماد ، الفتح ، ص ٥٩١ ، البنداري ، سنا البرق الشامي ، ج ١ ، ص  
٣٣٥ - ٣٣٦ •

(١)(١)

حصار صلاح الدين لحصن د ريلسا سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨م

والملاحظ أيضا أن صلاح الدين قد طبق في حصاره للمدن والقلاع نظاما عسكريا متقدما ، نفى الوقت الذي كان مشاته من النقابين وغيرهم يتقدمون في اتجاه الاسوار ومن ثم نقبها ، كان الرماة يطلقون على العدو سهامهم ، حتى لا يستطيع الظهور من أعلى السور وتعريضهم للأذى ، من ذلك ما حدث أثناء حصار المسلمين حصن كوكب سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨م (٢)

وكان صلاح الدين يؤكد في حصار المدن والقلاع على منع وصول المؤن اليها ، فيفرض حصارا اقتصاديا/فضلا عن الحصار العسكري ، كما حدث لقلعة حصن سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٤م وحصن الكرك والشوبك سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨م حيث تذكر المصادر أن صلاح الدين جعل على الكرك والشوبك عسكريا لحصاره بقيادة أخيه الملك الحادل ، واستمر ذلك الحصار مدة طويلة حتى فنيت أزواد الصليبيين وذخائرهم ، وأكلوا دوابهم ، ولما ضاق بهم الحال راسلوا الملك الحادل في التسليم وطلبوا منه الأمان فأجابهم الى ذلك (٤)

كما استخدم صلاح الدين الى جانب ذلك أسلوبا آخر جديدا ، يقوم على التناوب عند طول مدة الحصار فكان يقسم عسكريه الى أقسام ويجعل لكل

- 
- (١) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .
  - (٢) ابوع واصل ، العدد ونفسه ، ص ٢٧٤ .
  - (٣) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٠ .
  - (٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢١ - ٢٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٤٣ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٢٩ .

قسم وقتا معلوما من النهار يقاتل فيه ، حتى يتصل القتال على عدوه ، دون أن يستريح على حين كان جيشه ينعم براحة كافية ، من ذلك ما حدث عند حصاره لصور سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ، حيث قسم القتال على المسكر وجعل لكل جمع منهم وقتا معلوما يقاتلون فيه بحيث يظل القتال مستمرا على أهل البلد .  
وعندما حاصر صلاح الدين حصن برزبه سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨م قسم المسكر ثلاثة أقسام ، بحيث يزحف كل قسم على حده فاذا تقب من به من المسكر عاد وا  
(١)  
ليزحف القسم الثانى ، وكذلك الحال بالنسبة للقسم الثالث .  
(٢)

وفى الوقت الذى كان صلاح الدين ، يعمل جاعدا لتوحيد الجبهة الاسلامية ، ليستطيع الشروع فى الجهاد الاسلامى لتصفية العدون الصليبيين ، لم يغيب عن باله القيام بتحصين بعض المناطق الهامة التى كان يخشى تعرضها لهجوم صليبي مفاجئ . فلم ينس صلاح الدين مطلقا مطامع الصليبيين فى مصر بل ظل متخوفا طوال الفترة التى قضاها فى توحيد الجبهة الاسلامية من أن يقوم الصليبيون بحملة كبرى لغزو مصر ، من طراز حملات عمورى الأول ملك بيت المقدس .  
(٣)

والواقع أن تفكير صلاح الدين فى تحصين مصر يرجع الى أيام وزارته أى

- 
- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٥٣ ، العماد ، الفتح ، ص ١٧٣ .  
(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ١٥ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٣٠ - ١٣١ ، ابن الحديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٠٥ .  
ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٣٠ .  
(٣) سميد عاشور ، الايوبيون والمماليك ، ص ٤٨ .

قبل سقوط الخلافة الفاطمية يد لنا على ذلك ، ما ذكر من أنه توجه في سنة  
٥٦٦هـ / ١١٧١م الى الاسكندرية لتفقد أحوالها ترتيب قواعد ها ، ومن ثم  
أصدر أوامره بعمارة أسوارها وأبراجها<sup>(١)</sup> . كما قام أيضا في نفس السنة بالشروع  
في عمارة سور القاهرة الذي كان قد تهدم حتى أصبح لا يرد داخلا ولا خارجا  
على حد قول ابن أبي طي<sup>(٢)</sup> .

وأهم تلك التحصينات التي قام بها صلاح الدين في مصر تشييده للسور  
الايوبي بالقاهرة وتأسيس قلعة الجبل التي وصفت بأنها أفخم القلاع التي شيدت  
في المصور الوسطى على طرف جبل المقطم<sup>(٣)</sup> . وذكر أن السبب في تشييدها  
أن صلاح الدين عندما تملك مصر رأى أن الفسطاط والقاهرة لكل منهما سور  
خاص لا ينفصها ، فرأى أنه أن أفرد لكل واحدة سورا خاصا احتاجت الى جند  
خاص يحميها ، لذلك عزم على أن يقيم عليها سورا واحدا كما أمر ببناء قلعة  
في الوسط على طرف جبل المقطم عرفت بقلعة الجبل<sup>(٤)</sup> .

على أن جهود صلاح الدين في تحصين مصر ، لم تقف عند حد الاسكندرية  
والفسطاط والقاهرة بل امتدت الى ثغور وموانئ مصرية أخرى من ذلك ما حدث

(١) ابوشامه ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٨٦ ، ابن واصل ، مفرج  
الكروب ، ج ١ ، ص ١٩٩ ، ابن قاضي شهبه ، الكواكب الدرية ، ص  
١٩٥ ، المقرئ ، الخطط ، ج ١ ، ص ٣٥٩ ، ابن الفرات ، ج ٤ ،  
ج ١ ، ص ١٢٧ .

(٢) ابوشامه ، كتاب الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٨٨ .  
(٣) أنظر عبد الرحمن زكي ، قلعة صلاح الدين وما حولها من الآثار ، ص ٣١-٣٣ .  
(٤) ابوشامه ، كتاب الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٨٧ .

سنة ٥٧٧هـ / ١١٨٢م. عندما انتدب صلاح الدين من قبله من قام بعمارة قلعة تنيس<sup>(١)</sup> التي كثيرا ما تعرضت لاعتداءات صليبية ، حيث قدر لاعادة عمارة سورها القديم على أساساته الباقية مبلغ ثلاثمائة ألف دينار ، فضلا عن تجديد آلات الدفاع بها<sup>(٢)</sup> . كما قام في السنة نفسها أيضا بترميم سور مدينة مياط ، وسد ثلثة حدوت فيه ، ومن ثم اتقان السلسلة التي كانت قد أقيمت فيها بين البرجين ، حتى ذكر أن ما أنفق على ذلك بلغ ألف ألف دينار بالإضافة الى ما قام به بعد ذلك من تحصينات لهذه المدينة في سنة ٥٨٨هـ / ١١٩٢م حيث قام بحفر خندق لها ، وعمل جسر عند سلسلة البرج<sup>(٣)</sup> .

ويبدو أن صلاح الدين أدرك وهو في طريقه الى عربان الكرك والشموك عن طريق ايلة أن الضرورة الحربية تقضي عليه تطهير شبه جزيرة سيناء كلها من العربان الضارين في الوديان ومعابر الطرق بين مصر والشام ، ولو أن يشيد قلعة في قلب شبه الجزيرة عرفت باسم قلعة الجندی . بالإضافة الى قيامه بعد ذلك ببناء برج بالسويس يتسع لعشرين فارسا ، رتب فيه الفرسان<sup>(٤)</sup> .

وعليه يمكن القول بأن صلاح الدين قد عنى عناية فائقة بتحصين مصره حتى يأمن عليها من اعتداءات الصليبيين ، حتى بلغ به الأمر ، أثناء وجوده

---

(١) تنيس : مدينة في وسط بحيرة تعرف ببخيرة تنيس ، كانت عامرة الى أن ضربها السلطان الكامل الايوبي سنة ٦٢٤هـ أنظر ياقوت ، معجم البلدان .

(٢) المقرئى ، الخطط ، ج ١ ، ص ١٨١ .  
 (٣) المقرئى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٢١٥ .  
 (٤) اختار صلاح الدين لهذه القلعة اكمة مرتفعة مخروطية الشكل ، تقع على نحو ميل الى الشمال الشرقى من عين سدر الجزيرة الى الجنوب الشرقى من السويس الحالية ( أنظر نظير حسان سعداوى ، التاريخ الحربى المصرى ، ص ٣٤ .

(٥) المقرئى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٧٢ .



ببلاد الشام في الفترة التي قضاها في توحيد الجبهة الاسلامية أن تردد عليها  
أكثر من مرة للاطمئنان على تحصيناتها بنفسه من ذلك ما حدث سنة ١١٧٢هـ /  
(١) ١١٧٦م ثم سنة ١١٨١هـ / (٢) ١١٧٦م

وإذا كان صلاح الدين قد اهتم ذلك الاهتمام العظيم ببناء القلاع  
والابراج وتحصين المدن والثغور في مصر ، فمن الواضح أن يكون اهتمامه بذلك  
في بلاد الشام عظيما أيضا ، فقد أكثر من بناء الحصون في المواقع الحربية  
الهامة ، وحوس على تحصين القلاع لتكون مراكز لعملياته ضد الصليبيين (٣) ويمكننا  
أن ندلل على ذلك بما قام به صلاح الدين عند استيلائه على مدينة عكا سنة  
١١٨٧هـ / ١١٨٧م حيث أمر بتجديد أسوارها وتعلية أبراجها وعمارة قصورها  
ودورها واستدعى بهاء الدين قراقوش من مصر ليقوم بتنفيذ تلك المهمة . وكذلك  
(٤)  
ما قام به في سنة ١١٩٢هـ / ١١٩٢م من تحصينات لبيت المقدس ، حيث قسم  
العمل في أسوارها بين أولاده وأمرائه ، فضلا عما قام به الفقهاء والفقراء في  
تلك السنة من جهود ، اقتداء به ، حيث قام بالعمل فيه بنفسه ، في وقت  
كان يزكّه يقوم بجهود جبارة لمنع الصليبيين من الوصول اليهم (٥)

- 
- (١) أنظر ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٢٧ ، العيني ،  
عقد الجمان ، ج ١٢ ، ورقة ٢٠٧ ب ، السبكي ، طبقات الشافعية ،  
ج ٧ ، ص ٣٦٤ - ٣٦٥ ، ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ،  
ج ٤ ، ص ٢٤١ ، اليافعي ، مرآة الجنان ، ج ٣ ، ص ٣٩٧ .  
(٢) أنظر ابن واصل ، مفزع الكروب ، ج ٢ ، ص ٩٥ ، العيني ، عقد الحما  
ج ١٢ ، ورقة ١٢٢٢ أ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٠٨ .  
(٣) سعيد عاشور ، الايوبيون والمماليك ، ص ٥٢ .  
(٤) ابن أبيك الدواداري ، الدرر المطلب ، ص ٩٨ - ٩٩ ، أبو شامة ،  
الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٢٥ .  
(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٤٧ وعن اليك أنظر ما سبق

## دور الأسطول في جهاد صلاح الدين :

اعتنى الخلفاء الفاطميون عناية كبيرة بالأسطول ، وخاصة منذ عهد الخليفة الصمد لدين الله الذي أنشأ المراكب البحرية ، وسار على نهجه من جاء بعده من الخلفاء ، الذين واصلوا إنشاء المراكب في كل من القسطنطينية والإسكندرية ودنياب ، ومن ثم تسييرها إلى الموانئ الشامية مثل صور وعكا وعسقلان وغيرها ، فضلا عن اهتمامهم بالعاملين على الأسطول ، حيث حرصوا على صرف رواتب مجزية لهم إضافة إلى ما نالوه من الاقطاعات . كما جرت العادة في عهدهم على أن ما غنمه الأسطول يكون لفزاته لا يشاركهم فيه أحد ، باستثناء الأسرى (١) والسلاح فإنها تكون من نصيب الخلافة . لذلك فلا غرابة إذا قيل أن مصر الفاطمية والدولة البيزنطية اشتبهتا قبل الحروب الصليبية بأنهما أقوى دولتين في البحر المتوسط . (٢)

ولم تلبث الخلافة الفاطمية أن دب الضعف في جسمها بسبب ضعف سياستها الداخلية ، وامتد ذلك الضعف إلى قواتها البحرية ، ومن ثم عجز أسطولها عن حماية المدن الساحلية الشامية من الاعتداءات الصليبية . ولم

(١) المقرئى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١٩٣ .

(٢) البازالمرينى ، الشرق الأدنى في المصورالوسطى ، ص ١٢٠ ، Ehrenkreutz, The Place of Saladin in the Naval History of the Mediterranean Sea, Journal of the American Oriental Society, (1955), P. 101.

يكذنبته القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى الا وقد فقد الأسطول  
الفاطمى أهميته (١)

ولما قامت الدولة الايوبية على أنقاض الدولة الفاطمية كانت البحرية الإسلامية قد ضعفت تماما بعد أن استولى الصليبيون على عسقلان وعكا وصور وغيرها من القواعد البحرية فى الشام ، وهذا هو الذى جراحهم على الاغارة على المدن الساحلية المصرية كالاسكندرية ودماط وتنبس ورشيد وغيرها ، فضلا عما ذكره المقرئى من أن شاورا عندما نزل عموري الأول على مصر أمر باحراق مدينة القسطنطينية ، وشمل ذلك الحريق مراكب الاسطول التى دمرت عن آخرها .

لذلك كان على صلاح الدين - الذى أدرك من خلال مشاركته فى حملات عمه أسد الدين شيركوه على مصر أهمية الدفاع البحرى وما تقوم به الأساطيل من دور فى الأعمال الحربية فى المناطق الساحلية - أن يهتم منذ بدايته بحكمه باعادة بناء تلك الأساطيل وتطويرها للوقوف فى وجه العدوان الصليبي .  
وشرع صلاح الدين منذ توليه مقاليد الامور فى مصر فى النظر فى شئون البحرية

Ehrenkreutz. The Place of Saladin P. 101. (١)

أرشيبالد لويس ، القوى التجارية والبحرية فى حوض البحر المتوسط ، ص ٣٨٢ ، مختار العبادى ، عهد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر ، ص ٢٧٢ ، تاريخ مصر ، ص ٢٧٢ .  
(٢) المقرئى ، الخطوط ، ج ٢ ، ص ١٩٤ .  
(٣) المقرئى ، الخطوط ، ج ٢ ، ص ١٧٢ .  
(٤) الباز المرنى ، الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ص ١٧٢ .

والأسطول • والذي يجدر ذكره هنا أنه كان للخليفة العباسي دوركبير فسي  
تشجيع صلاح الدين على الاهتمام بالأسطول في مصر • فقد تضمن التقليد الذي  
بحثه الخليفة العباسي الى صلاح الدين بحضره • بعد قطع خطبة الفاطميين  
واقامتها للعباسيين • الحث على الاهتمام بالأسطول فقد قال في التقليد •  
وقد علمت أن العدو هو جارك الأدنى • والذي ييلفك وتلفه عينا وأذننا •  
ولا عذر لك في ترك جهاد • بنفسك ومالك • اذا قامت لغيرك الاعذار • فلا بد  
له من أسطول يكثر عدده ويقوى مدده • فانه العمدة الذي تستعين بها على كشف  
الظلماء • والاستكثار من سبايا العبيد والاماء • وجيشه أخو الجيوش  
(١)  
السليمانى • فذاك يسرى على متن الريح • وهذا يجرى على متن الماء • •  
هذا بالإضافة الى أن صلاح الدين ربما كان يخشى مجيء حملة غربية من ناحية  
الصليبيين وأحلافهم البيزنطيين والصقليين بحجة إعادة البدولة الفاطمية •  
(٢)

ويمكن تقسيم ما حدث من تطور في البحرية زمن صلاح الدين الى مراحل

ثلاث • الأولى تبدأ بمجيء صلاح الدين الى السلطة في مصر سنة ٥٦٥ هـ /  
الى سنة ٥٦٩ هـ / ١١٦٩ - ١١٧٣ • وقد تميزت البحرية المصرية في هذه  
الفترة بالضعف الشديد نتيجة التدهور الذي حل بالدولة الفاطمية في أواخر  
أيامها • ذلك التدهور الذي أدى الى سيطرة الصليبيين على السواحل الشامية  
واعتداءاتهم المتكررة على السواحل المصرية • والمرحلة الثانية وتمتد من سنة

(١) السيوطي • حسن المحاضرة • ج ٢ • ص ١٤ •

(٢) نظير حسان سعداوى • التاريخ الحربى المصرى • ص ٢٤ •

٥٧٥هـ الى ٥٨٣هـ / ١١٧٩م - ١١٨٧م ، وقد بلغت فيها البحرية الأيوبية  
أوج عظمتها ومجدها ، واستطاع الاسطول المصرى خلال هذه المرحلة ،  
تحقيق انتصارات عظيمة ضد السفن الصليبية . أما المرحلة الثالثة ، فتشمل  
السنوات الواقعة بين سنة ٥٨٣هـ وسنة ٥٨٧هـ / ١١٨٧ - ١١٩١م . ويلاحظ  
أن هذه هي الفترة التي استطاع فيها الصليبيون ببلاد الشام استئثار الغرب  
الذى أمدهم بالحمة الصليبية الثالثة ، والتي تجلّى أثرها فى إضعاف البحرية  
الاسلامية مرة أخرى (١).

وعلى وجه الاجمال فانه من المعروف أن صلاح الدين عندما تولى حكم  
مصر ، لم يكن بها الا قوة بحرية صغيرة . إذ لم يقتصر الصليبيون على الاستيلاء  
على السواحل الشامية ، بل استولوا أيضا على القواعد الامامية فى قبرص وكرت  
التي كانت تلعب دورا كبيرا فى حماية السواحل الاسلامية ، وكذلك بالنسبة  
لجزيرة صقلية التي أصبحت نتيجة لذلك الضعف الذى حل بالدولة الفاطمية ،  
فريسة للغزاة النورمان . أما بالنسبة للبحر الأحمر ، فقد ضعفت السيطرة  
الاسلامية عليه عندما أنشأ الصليبيون ميناء ايلة على ساحله حيث أصبح الصليبيون  
ينازعون مصر السيطرة على الطرق التجارية فيه (٢).

وازاء هذا الوضع ، اهتم صلاح الدين بأمر الأسطول وتبين له أن  
دواعي الحرب ضد الصليبيين تتطلب قوات بحرية ، فأنشأ دورا لصناعة الأسطول

(١)

أنظر أيضا : الباز المعري ، الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ص ١٧٠ .

(٢)

الباز المعري ، الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ص ١٧٠ - ١٧١ .

(١) في كل من الفسطاط والاسكندرية ود مياط \* وقد استعان صلاح الدين في بناء اسطوله بالخشب المحلى في مصر الذي هو من نوع السنط وكان من احتكار الدولة ، بالإضافة الى أخشاب الصنوبر والأرز التي تنبت في جبال لبنان فضلا عن معدن الحديد الذي كان يستخرج من جبل بالقرب من بيروت (٢) كما قام صلاح الدين الى جانب ذلك بمقعد معاهدات تجارية لهذا الغرض مع الجمهوريات الإيطالية ، حصل بمقتضاها على حاجته من الخشب والحديد والشمع وكان يوجد بالاسكندرية ديوان اسمه المتجر السلطاني ، مهمته شراء مختلف البضائع المستوردة من الخارج اللازمة للجيش والاسطول ، كالأخشاب والحديد والأقمشة الصوفية ، وكان هذا المتجر السلطاني يقوم بشراء هذه المواد بأموال الخمس المفروضة على التجار (٤) \*

ورأى صلاح الدين أن يحث الناس على الخدمة في مجال البحرية والاسطول فقام برفع أجور رجال الاسطول ، وقرر أن يكون دينار الاسطول  $\frac{3}{4}$  الدينار العام بعد أن كان  $\frac{5}{8}$  ذلك الدينار ، أي بزيادة عشرين في المائة (٥) ٤ \* تقريرا

- 
- (١) ابن ممتي قوانين الدواوين ، ص ٣٤٠ .
  - (٢) أنظر ابن شداد ، العلاقات الخطيرة ، ص ١٠١ ، مختار العبادي ، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ، ص ٢٧٣ .
  - (٣) السيد الباز الصريني ، الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ص ١٧٥ .
  - (٤) أنظر ابن ممتي ، قوانين الدواوين ، ص ٣٢٧ ، حسنين ربيع ، النظم المالية في مصر ، ص ٥١ ، مختار العبادي ، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ، ص ٢٧٣ .
  - (٥) المقرئزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٤٥ ، حسنين ربيع ، النظم المالية في مصر ، ص ٧٢ ، مختار العبادي ، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ، ص ٢٧٦ ، أنظر أيضا نظير حسان سعداوي ، التاريخ الحربي المصري ، ص ٢٦ - ٢٧ .

كما يبدو أنه كان قد استعان بأساطيل مغربية في تطوير قواته البحرية  
يدلنا على ذلك ما ذكره أبو شامة في حوادث سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م من خطاب  
بعث به صلاح الدين إلى أمير المغرب يطلب منه المدد قال فيه " فان كانت  
الأساطيل بالجانب الغربي ميسرة ، والعدة فيها متوفرة ، والرجال في اللقاء  
(١)  
فراحة وللمسير غير كارهة ، فالبدار البدار " .

والى جانب ذلك اعتم صلاح الدين ، بتقوية أجهزة الدفاع والحراسة  
الساحلية كالرباطات والمخاريس ، والمناور والمناظر الممتدة على طول سواحل  
مصر والشام ، وحشد فيها الاجناد للمرابطة فيها وحراستها . كما كان صلاح  
الدين أيضا يعتمد الى وضع المراقيل في السواحل ليوعر على العدو مسلكه اذا  
قدم وذكر أن صلاح الدين استعمل في ميناء دمياط سلسلة جديدة لعاقبة  
(٣)  
الداخل اليها في حالة الطوارئ .  
(٤)

وكما اعتم صلاح الدين بتحسين المدن - كما سبق أن ذكرنا - حرص  
على التردد على مصر لتفقد ثنورها وموانئها ، والاشراف على تعمير الاسطول  
بنفسه . فقد حدث سنة ٥٧٢هـ / ١١٧٦م أن قام صلاح الدين ، ومعه ولده  
الافضل على والعزیز عثمان بزيارة لمصر ، وجعل طريقه على دمياط ، فتفقد

- 
- (١) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٧١ .  
(٢) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٧ ، ص ٢٠٤ ، مختار العبادي وعبد  
العزیز سالم ، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ، ص ٢٧٤ .  
(٣) أنوار المقرئ ، الخطط ، ص ١ ، ج ١ ، ص ١٥٩ .

العمل في أسوارها ، ثم اتجه الى الاسكندرية ، وأمر باتمام تحصيناتها وتعمير  
 الاسطول فيها .<sup>(١)</sup> ويضيف المؤرخ ابن أبى طى أن صلاح الدين رأى أن لا يخلو  
 نفسه من ثواب يقوم له مقام القصد الى بلاد الكفار والجهاد في المشركين ، فرأى  
 الاسطول وقد أخذت سفنه ، وتغيرت آلاته ، فأمر بتعميره ، بعد أن جمع  
 له الصناعات والاشباب . ولما تم عمل المراكب أمر بحمل الآلات ، فنقل من السلاح  
 والمدد ما يحتاج الاسطول اليه وشحنه بالرجال وولى فيه أحد اصحابه ، وأفرد  
 له اقطاعا مخصصا ود يوانا مفردا عرف بد يوان الاسطول ، وكتب الى سائر البلاد  
 المصرية بقبول قبول صاحب الاسطول ، وألا يمنع من أخذ الرجال ، وما يحتاج  
 اليه وأمر صاحب الاسطول بأن لا ييأرجح البحر ، وان يغزو جزائره .<sup>(٢)</sup>

ويبدو أن صلاح الدين كان قد قسم العمل في أسطوله الى قسمين  
 قسم أوكل اليه مهمة الدفاع عن السواحل المصرية ، كانت سفنه تتألف من خمسين  
 سفينة<sup>(٣)</sup> أما القسم الثاني وعدد سفنه ثلاثون سفينة ، فقد كانت مهمته مهاجمة  
 الصليبيين ، ومساندة جيوشه المجاهدة وتطلب الأمر أن تقوم دور الصناعة<sup>(٤)</sup>  
 بأعداد سفن خاصة بالبحر المتوسط وأعداد سفن خاصة بالبحر الأحمر لأن المهام

(١) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٨٩ ، العيني ، عقد  
 الجمايق ، ج ١٢ ، ورقة ٢٠٧ ب .

(٢) العيني ، عقد الجمايق ، ج ١٢ ، ورقة ٢٠٧ ب ، المقرئى ، السلوك ،  
 ج ١ ، ص ٦٣ .

(٣) المقرئى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٧٢ .  
 Ehrenkreutz, The Place of Saladin, P. 106.

(٤) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٣٢ ، الباز المعري ، الشرق  
 الأدنى في العصور الوسطى ، ص ١٧٧ .



التي أوكلت الى الاسطول الايوى تتطلب منه العمل فى البحرين المتوسط  
والاحمر ، الذين اختلفا فى الظروف الطبيعية ، فطبيعة البحر الأحمر تختلف  
عن طبيعة البحر المتوسط بما يحتويه البحر الاحمر من صخور وشعب مرجانية ،  
وما به من نباتات بحرية ، وما يهب عليه من رياح وأعاصير . ويمكن الاستدلال  
على ذلك بلما شاهد الرحالة ابن جبير من صعوبة الابحار فى البحر الأحمر لما  
يطرأ على السفن أثناء سيرها من خلل (١)

وكما اختص ديوان الجيش بالمصرف على شئون القوات الحربية والبرية  
وما يتبعها من الحصون والقلاع والمدن العسكرية ، فقد أفرد صلاح الدين  
للبحرية ديوانا خاصا عرف باسم ديوان الاسطول ، مهمته الانفاق على شئون  
القوات البحرية من سفن حربية وبحاره وأسلحة ومؤن ، بالإضافة الى دور الصناعة  
التي قامت بانشاء الاساطيل ، ومن ثم القيام بأعمال الصيانة اللازمة لذلك . ويبدو  
أن شئون الاسطول كان يقوم بالاشراف عليها فى العهد الفاطمى ديوان اسمه  
« ديوان جيش المصريين » ولما قامت الدولة الايوبية ، غير صلاح الدين اسمه  
الى ديوان الاسطول وذلك فى سنة ٥٧٢هـ / ١١٧٦م وولى عليه قائدا من قبله  
عرف بصاحب الاسطول ، وكتب الى سائر البلاد يؤكد طاعته ، وتلبية طلباته ،  
حيث قال « القول قول صاحب الاسطول ٠٠٠٠٠ وأن لا يضع من أخذ رجاله  
(٢)  
وما يحتاج اليه » .

(١) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٤٩ .

(٢) ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٩ ؛ حشني ربيع النظم  
المالية فى مصر ، ص ٧١ .

وفي سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م سلم صلاح الدين أمر الاسطول بحصر لأخيه  
الملك الحادل الذي عين بدوره صفى الدين بن شكر نائبا له فى ديوان الاسطول .<sup>(١)</sup>

كما خصص صلاح الدين لذلك الديوان أموالا ضخمة : هى — متحصلات اقليم  
الفيوم ، والحبس الجيوشى ، وخراج السنط ، وحصيلة النظرون ، التى بلغت  
وقتها ثمانية آلاف دينار ، الى جانب متحصل ديوان الزكاة ، وقدره أكثر من  
خمسین ألف دينار ، وأجرة المراكب الديوانية ، وحصيلة قريتي اشنين وطنبس ،  
من كورة البهسنا فى محافظة المنيا الحالية .<sup>(٢)</sup>

وهكذا استطاع صلاح الدين توحيد الجبهة الاسلامية ، تمهيدا  
لبدء مروع الجهاد الاسلامى لتصفية الوجود الصليبي من بلاد الشام . وقد  
تمكن صلاح الدين أيضا من تكوين جيش برى وأسطول بحرى مزود بكل متطلبات  
القتال من سلاح وعظام ومؤن ، بفضل تلك السياسة الحكيمة التى اتبعها  
لتنظيم جيشه ، والتى قامت على بث روح الجهاد الاسلامى فى نفوسهم ، وتطبيق  
نظام الاقطاع الحربى فى دولته ذلك النظام الذى تمكن بواسطته من ضمان الحصول  
على جيش منظم مزود بكل مستلزمات القتال . ولم يعد أمام صلاح الدين —  
أية مشكلات تعيقه عن التفرغ لجهاد الصليبيين واسترداد بيت المقدس .

(١) المقرئى ، السلوك ، ج ١ ، ص ١٠٧ — ١٠٨ . حسنين ربيع ، النظام

المالية ، ص ٧١ .

(٢) المقرئى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٧٣ ؛ حسنين ربيع ، النظام المالية ،

ص ٧١ .

## الفصل الثالث

معركة حطين مقدمة لإسترداد بيت المقدس

- مقدمات معركة حطين .
- استعدادات صلاح الدين العسكرية قبيل معركة حطين .
- وقعة صفوريك .
- معركة حطين ونشأتها .

### الفصل الثالث

#### معركة حطين مقدمة لاسترداد بيت المقدس

~~~~~

#### — مقدمة معركة حطين :

تمكن صلاح الدين من تكوين جبهة اسلامية موحدة اتسمت باتساع رقعتها ، لكن سيطرة الصليبيين على بعض هذه الساحل الشامي ، فضلا عن حصن الكرك والشوبك ، كان يمثل عقبة كاداء في امكانية الاتصال بين محوري دولته التي ضمت مصر ومعظم بلاد الشام ، وجزءا من أرض العراق . يضاف الى ذلك ، أن هذه المدن والموانئ الساحلية تمتعت بمكانة استراتيجية هامة لأن سيطرة الصليبيين عليها جعلتهم على اتصال دائم بوطنهم الأم الغرب الأوربي .

لذلك اهتم صلاح الدين منذ بداية حكمه ، بالاعارة على هذه المناطق ، بل أن اهتمامه بذلك يرجع أيضا الى أيام وزارته في الدولة الفاطمية ، بدليل أنه قام في سنة ٥٦٦هـ / ١١٧٠م على غزة وعسقلان والرملة ، ثم مضى الى ايلانه <sup>بالاعارة</sup> وحاصرها برا وبحرا حتى فتحها ، وشحنها بالرجال والعدد لحماية الحجاج الذين كانوا يتعرضون لاعتداءات الصليبية بها . هذا بالإضافة الى أنه كان يهدف

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٦٥ ؛ البنداري ، سنا البرق الشامي ، ج ١ ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ؛ ابن قاضي شهبه ، الكواكب الدرية ، ص ١٩٤ - ١٩٥ ، القرينى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٣٥٩ ؛ ابن تفرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٨٦ ، السبكى ، طبقات الشافعية ، ج ٧ ، ص ٣٥٦ ، وأيله مدينة على ساحل البحر الأحمر ما يلي الشام ( أنظر ياقوت معجم البلدان ) .

من غزو هذه المدن الساحلية الى فتح الطريق الساحلى بين مصر وفلسطين  
لتأمين مدخل مصر الشمالى فضلا عن اجتذاب جزء من قوات الصليبيين نحو  
تلك الجبهة ، لتخفيف الضغط عن الحاميات الاسلامية المرباطة بشمال الشام .  
(١)

وذكر ابن شداد وغيره أنه حدث فى سنة ٥٧٢هـ / ١١٧٦م أن عاد  
صلاح الدين من الشام الى مصر ، لتفقد أحوالها ، وتمكين قواعد لها بعد  
أن استخلف بد مشق أخاه شمس الدولة تورانشاه الذى كان قد وصل اليه من  
اليمن . واستغل صلاح الدين وجوده بمصر ، وأخذ يتأهب لغزو بعض مدن  
الساحل الشامى ، فخرج من مصر فى سنة ٥٧٣هـ / ١١٧٧م وغزا عسقلان فسبى  
وغنم ، ثم اتجه لغزو الرملة . وعلى مقربة من الرملة لقيه الصليبيون يتقدمهم  
البرنس أرناط ، ذاك الأمير الصليبي اللعين الذى عرف بخداعه ونقضه للمعهود ،  
والذى كان قد وقع فى أسر المسلمين زمن نور الدين محمود ، ثم أطلق سراحه  
بيعا بحلب . ودارت الدائرة على جيش صلاح الدين ، وعاد صلاح الدين الى  
القاهرة . وحلف ألا تنزب له نوبة حتى يكسر الصليبيين ، كما قام بقطع أخبار  
(٢)  
( اقطاعات ) جماعة من الأكراد ، أرجع اليهم سبب الهزيمة .

ومن المحتمل أن يكون صلاح الدين قد وصلته أخبار بحدوث ضعف  
فى صفوف الصليبيين فى تلك المنطقة ، ورأى الفرصة سانحة لضربهم . يد لنا

---

(١) نائير حسان سنداوى ، التاريخ الحربى المصرى ، ص ١٠٩ .  
(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٢ - ٥٣ ، المقريزى ، السلوك  
ج ١ ص ٦٤ - ٦٥ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ص ٤٢ ، ق ٥٢  
ص ٣٤٢ - ٣٤٣ ، ابوشامه ، الروضتين ، ج ١ ص ٤٢ ، ق ٦٩٩ -  
٧٠٣ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٥٩ ، ابن خلدون ، العبر  
ج ٥ ص ٢٩٢ .

على ذلك ما ذكرته بعض المصادر من أن صلاح الدين عندما أغار على عسقلان في تلك السنة لم يحدث من الفرنج رد فعل بل ظلوا على حد تعبير أبي شامة وابن واصل خامدين الأمر الذي شجع جيشه على الانبساط ومهاجمة معسكرات الصليبيين ، ومن ثم اقدامه على مهاجمة الرملة .<sup>(١)</sup>

ويبدو أن الاكراذ لم يكونوا وحدهم سبب الهزيمة ، بل أن هناك أسبابا أخرى كان لها الأثر في ذلك ، منها اضطراب صفوف المعسكر الصلاحي ، وذلك نتيجة لمحاولة تغيير مراكزه ، حيث يذكر ابن شداد ، أن البعض رأى « أن تعبّر الميمنة الى جهة الميسرة والميسرة الى جهة القلب ، ليكونوا في حالة اللقواء ، وراء ظهورهم تل معروف بأرض الرملة » . واستغل الصليبيون اشتغال المسلمين بتغيير مواقعهم ، فباغتوهم بهجوم شديد .<sup>(٢)</sup> كما لا يستبعد أن يكون جهل عسكر صلاح الدين بطبيعة أرض المعركة من أسباب ما حدث والدليل على ذلك ما ذكره المقرئ من أن اعتراض نهر الصافية ، وازدحام المسلمين عليه كان سببا من أسباب تلك الهزيمة .<sup>(٣)</sup> وأضاف ابن شداد ، أن جيش صلاح الدين قد ضل الطريق عقب الهزيمة وتبدد في الصحراء ووقع جماعة من المعسكر في أسر الصليبيين .<sup>(٤)</sup>

- 
- (١) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٤٦ ، ص ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ابن واصل ، فتح الكروب ، ج ٢ ، ص ٥٩ .
- (٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٣ .
- (٣) المقرئ ، السلوك ، ج ١ ، ص ٦٤ .
- (٤) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٣ .

وبالغ بعض الباحثين الاوربيين الحاقدين فى أهمية تلك الوقعة واعتبروا ما حدث انتصارا باهرا أنقذ مملكة بيت المقدس فى ذلك الوقت . وأنه لو تهيأ للملك الصليبي أن يطارد صلاح الدين داخل مصر ، أو أن يتقدم بهجوم خاطف على دمشق لاستطاع — حسب زعمهم — أن يحطم قوة صلاح الدين . ولكن جيش الصليبيين فى ذلك الوقت كان يعاني من نقص شديد فى الرجال ، وكان ذلك سببا حال بينهم وبين مطاردة صلاح الدين الى داخل مصر<sup>(١)</sup> .

والحقيقة أن صلاح الدين تعلم من تلك المعركة ألا يكون متهورا للحوادث ، كما تعلم أن جهاد الصليبيين واتمام مشروع الوحدة الاسلامية فى وقت واحد ليس بالأمر الهين ، وأن مهاجمة الصليبيين قبل أن تكتمل سيادته على بلاد نور الدين محمود فيها خطر كبير<sup>(٢)</sup> .

وفى الوقت الذى كان صلاح الدين يعمل فيه جاعدا لتكوين جبهة اسلامية متحدة ، لم يرغب عنه ما يقوم به الصليبيون من استعداد لمجابهة أخطار صلاح الدين ، اذ يبدو أنهم أصبحوا متيقنين من أن صلاح الدين بمجرد انتهائه من تحقيق مشروع الوحدة الاسلامية ، سوف ينقلب عليهم فى الجانب الآخر ، يد لنا على ذلك ما أقاموه من انشاءات وتحصينات حربية استعدادا لمواجهة اخطاره . وفى سنة ٥٧٤هـ / ١١٧٨م استغل الصليبيون انشغال صلاح الدين بحصار بعلبك التى أراد أخذها من ابن المقدم وتسليمها

(١) ستيفن لونسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٧٣ — ٦٧٤ .

(٢) نذير حسان سعداوى ، التاريخ العربى المصرى ، ص ١١٣ .

لأخيه الملك تورانشاه ، وشيدوا حصنا منيعا بالقرب من بانياس ، عند مخاضة بيت يعقوب عليه السلام ، بمكان عرف بمخاضة الأحزان . وتمتع هذا الحصن بأهمية كبرى نظرا لوقوعه على الطريق بين طبرية وصفد من ناحية ، ودمشق من ناحية أخرى . وتخوف أمراء صلاح الدين من بنائه لما يؤدي اليه من تحكم في ثغور الاسلام ، وقطع طرق قوافلهم . ولكن صلاح الدين لم يستجب بادئ الأمر الى طلبهم بمنع الصليبيين من اتمام بناء ذلك الحصن ، بل رد عليهم قائلا : « اذا أتوه نزلنا عليه وهدمناه الى الاساس » .<sup>(٢)</sup>

ويبدو أن صلاح الدين قد أرجأ الاقدام على هدمه قبل اكتمال بنائه ، بسبب انشغاله في ذلك الوقت بحصار بعلبك ، واكتفى في بادئ الأمر بعرض المال على الصليبيين مقابل هدمه حيث تذكر المصادر أن صلاح الدين عرض على الصليبيين مقابل هدمه ستين ألف دينار ، ثم رفع ذلك المبلغ الى مائة ألف دينار ، الا أنهم ألحوا على طلب كامل النفقات التي بذلوها في تشييده .<sup>(٣)</sup>  
<sup>(٤)</sup>

(١) ابو شامه ، الروضتين ، ج ٢ ص ٦ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٧٢ ، المقرئ ، السلوك ، ج ١ ص ٦٦ ، سميد عاشور ، عاشور الحركة الصليبية ، ج ٢ ص ٧٥٩ ، ومخاضة الاحزان موضع عند بيت يعقوب عرف بهذا الاسم أو باسم بيت الاحزان ، لاعتقاد الناس أن يعقوب ، اعتاد الانفراد فيه والبكاء على ابنه يوسف عليهما السلام . (أنظر سميد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ص ٧٥٩ ، نظير سعداوى ، التاريخ الحربي ، ص ١١٥) .

(٢) ابو شامه ، الروضتين ، ج ٢ ص ٦ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٧٢ .

(٣) سميد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ص ٧٥٩ .

(٤) ابو شامه ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ص ٨ ، المقرئ ، السلوك ، ج ١ ص ٦٩ ، ابن كثير ، ابداءية والنهاية ، ج ١٢ ص ٣٠٠ ، ابن شاهنشاه الايوبي ، ضمائر الحقائق ، ص ٢٤ - ٢٥ .



وقد كان لتمكن الصليبيين من تشييد حصن بيت الاحزان ، ومن ثم اتخاذ مرصدا لحرب المسلمين ، وقطع طريقهم آثار سيئة ، يضاف الى ذلك تنظيم الاغارات على البلاد الاسلامية ، حيث يذكر ابو شامة في حوادث سنة ٥٧٤هـ / ١١٧٨م أنه اقتضى رأى الصليبيين أن يرجعوا المسلمين في كل ناحية ، خوفا من اجتماعهم على جبهة واحدة ، فغدر ابرنيس انطاكية بوهيمند الثالث وأغار على شيزر ، كما غدر أيضا القمص ريموند بطرابلس بجماعة من التركمان بعد تأمينهم ، الأمر الذي جعل صلاح الدين يعتمد الى ترتيب ابن أخيه تقي الدين عمر في ثغر حماه ومعه شمس الدين بن المقدم ، وسيف الدين علي بن المشطوب ، كما رتب ابن عمه ناصر الدين في ثغر حمص في مقابلة ريموند الثالث الصنجيلى<sup>(١)</sup> . كما حدث أيضا في أواخر السنة نفسها ( ٥٧٤هـ ) أن أجمع الصليبيون ، يتقدمهم ملكهم بلدوين الرابع على السير الى دمشق ، فأغاروا على أعمالها ، ونهبوا وأسروا وقتلوا وسبوا فلما علم صلاح الدين بمسيرهم ذلك بعث ابن أخيه عز الدين فرخ شاه في جمع من الحكر للقائهم ، والتحمت قواته بقوات الصليبيين ، ودارت بين الطرفين معركة انتهت بانتصار المسلمين . كل ذلك كان له أثره البالغ على نفس صلاح الدين الأمر الذي جعله يدرك أنه لا بد من وضع حد لذلك النشاط الصليبي الموجه ضده .

فلم يلبث صلاح الدين عقب ذلك النصر أن شرع في حصار حصن بيت الاحزان ، ولكنه اكتفى بمهاجمة حامية الحصن ، ثم انصرف عنه بعد قليل .

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٥٣ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٨ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٥٢ - ٤٥٣ .

(١)

ويبدو أن هدفه من تلك الاغارة هو اختبار الحصن ، وكشف مواطن الضعف فيه .  
 ذلك أن صلاح الدين عاد بعد اجتماع المسكر له قاصدا مهاجمة الحصن ،  
 وعسكر عند تل القاضي غرس بانياس . وهناك أخذ يعد عدته للهجوم على  
 الصليبيين ، فبعث الى أخيه المادل في مصر يطلب منه المدد ، في حين  
 كانت سراياه تقوم بغارات متقطعة على معسكرات العدو .  
 (٢)

(٣)

وبينما كان صلاح الدين معسكرا بتل القاضي علمت سراياه ، التي  
 كانت تواصل نشاطها للاغارة على معسكرات الصليبيين - والتي يبدو أن صلاح  
 الدين كان يقصد من ارسالها استثارة العدو والاشتباك معه في معركة فاصلة -  
 أن بلدوين الرابع ، قد جمع قواته وخرج لمنازلة صلاح الدين . فبعث زعماء  
 تلك السرايا الى صلاح الدين يخبرونه بذلك التحرك الصليبي ، فسار صلاح  
 الدين على رأس جيشه قاصدا ملاقاته الصليبيين . ودارت بين المسلمين بقيادة  
 صلاح الدين ، والصليبيين بقيادة بلدوين الرابع ، معركة بالقرب من تل القاضي  
 في سهل مرج العيون ، انتهت بانتصار المسلمين وانكسار الصليبيين ، وأسرى  
 عدد كبير من أعيانهم . كما أن الملك بلدوين نفسه لم ينج من ذلك الا بصعوبة .  
 (٤)

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٤٥٥ ، المقريزي ، السلوك ، ج ١ ص ٦٦

(٢) ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ص ٨ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٤٥٦ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ،

ج ٢ ص ١٠ .

(٤) ابن واصل ، التاريخ الصالحى ، ورقة ٢٠٠ ، الاصفهاني ، البستان الجامع ،

ورقة ١٢١ ، دول الاسلام ، ورقة ١٠٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص

٤٥٥ - ٤٥٦ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٧٥ - ٧٧ ، ابو

شامة ، الروضتين ، ج ٢ ص ١٠ ، ابن الراهب ، تاريخ ابن الراهب ، ص

٩١ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ص ٧٦١ .

والواقع أن انتصار المسلمين في هذه المعركة يعد انتصارا حاسما وذلك لما حققوه فيها من مكاسب مادية ومعنوية ، متثلة في أضعاف قوة الصليبيين ومعنوياتهم ، بأسر ذلك العدد الكبير من قادتهم أمثال باليان دي ابلين (Bali de Iblin) صاحب الرملة ونابلس ، ومقدم الاسبتارية والداوية (١) وأوك ( Hugh ) صاحب جبيل وغيرهم . حتى انه يمكن القول بأن صلاح الدين كان في وسعه أن يتبع انتصاره في معركة مرج العيون بمهاجمة طبرية وبيت المقدس ، كما فعل فيما بعد عقب انتصاره في حطين ، لولا نجاة ملك بيت المقدس من الأسر في هذه المعركة ، إذ أن بقاءه طليقا في المملوكية الصليبية أدى الى اجتماع عناصر المقاومة الصليبية حوله . يضاف الى ذلك وصول مجموعة قوية من الفرسان الفرنسيين وعلى رأسهم هنري الثاني دي شامبني الى المشرق الاسلامي ، الامر الذي بحث في الصليبيين عزيمة جديدة وث فيهم (٢) روح المقاومة .

ولم يغب عن بال صلاح الدين عقب انتصاره في معركة مرج العيون حصن

(١) أنظر ابن الاثير الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٥٥ - ٤٥٦ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ٨ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٧٥ - ٧٦ ، والاسبتارية من فرق الفرسان الرحمان والكلمة تحريف الماهر للفظ الانجليزي ( Hospitallers ) وأسس هذه الطائفة جيرارد ( Gerard ) في سنة ١٠٩٩ م بعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس وتشبه هذه الطائفة طائفة فرسان المعبد ( Templars ) التي عرفها العرب باسم ( الداوية ) والتي تأسست سنة ١١٣٩ م لحماية طريق الحاج المسيحي بين يافا والقدس ، ثم تحولت هذه الجماعة أيضا الى هيئة حربية دينية . وقد لعب فرسان هاتين الطائفتين دورا خطيرا في الحروب الصليبية ( أنظر ابن شداد ، النواوير السلطانية ، ص ٧٧ ، حاشية رقم ٥ ) .

(٢) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٦١ - ٧٦٢ .

مخاضة الاحزان الذى كان يمثل خطرا جسيما على المسلمين • لهذا عاد الى  
 بانياس • وأخذ يتجهز للمسير الى ذلك الحصن وتخريبه • فسار اليه فى ربيع  
 الأول من سنة ٥٧٥هـ / أغسطس ١١٧٩م • وأحاط به من كل الجوانب •  
 ونصب عليه المنجنيقات • ثم بدأ الهجوم على الحصن بطريقتين فى آن واحد •  
 وهما القتال زحفا وكان ذلك بحشورة الامير جاولى الاسدى مقدم الاسديّة •  
 ونقب الاسوار • (١) وهى طريقة جيدة لاقتحام الاسوار والحصون استعملها الجيش  
 الصلاحى فى جهادهم ضد الصليبيين للمرة الأولى — على ما يبدو — عند  
 حصاره لهذا الحصن • وزع صلاح الدين جوانب البرج على الامراء • وشجع  
 النقبابون فى نقبه • ثم أشعلوا فيها النيران فسقط الحصن • وأسر المسلمون كل من  
 كان بداخله • ثم خربوا الحصن حتى سووا به الارض • بعد أن غنموا كل ما بداخله  
 من الاسلحة والمؤن • وأطلقوا من كان به من أسرى المسلمين • (٢)

شجع انتصار صلاح الدين عند مرج العيون • وتد ميرته حصن بيت  
 الاحزان على قيامه بسلسلة من الهجمات على مدن الساحل الشامى • وانزال  
 الخسائر الجسيمة بالصليبيين • حيث سار عقب تد ميرته حصن بيت الاحزان الى  
 أعمال طبرية وصور وبيروت فأغار عليها وأرجف قلوب الصليبيين بها ثم عاد الى  
 دمشق • (٣)

- 
- (١) ابن واصل • مفرج الكروب • ج ٢ • ص ٨٠ — ٨١ •  
 (٢) نظير حسان سعداوى • التاريخ الحربى المصرى • ص ١١٩ •  
 (٣) ابن الاثير • الكامل • ج ١١ • ص ٤٥٦ — ٤٥٧ • ابو شامة • كتاب  
 الروضتين • ج ٢ • ص ١١ • سبط ابن الجوزى • مرآة الزمان • ج ٨ •  
 ق ١ • ص ٣٥٤ • ابن واصل • مفرج الكروب • ج ٢ • ص ٨٠ — ٨١ •  
 المقرئى • السلوك • ج ١ • ص ٦٩ •  
 (٤) ابو شامة • الروضتين • ج ٢ • ص ١١ • ابن واصل • مفرج الكروب • ج ٢ •  
 ص ٨٣ •

(١)  
 وخرج الاسطول الصلاحى فى السنة نفسها من الموانىء المصرية ليهاجم عكا ذاتها .  
 وفى السنوات التالية قام صلاح الدين بسلسلة من الاغارات على مدن وموانئ  
 الساحل الشامى ، وفى سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م على سبيل المثال قام عقب توقيمه  
 الصلح مع قليج ارسلان ملك الروم بغزو بيروت . <sup>(٢)</sup> فوقف من الاستيلاء عليها ، فصل  
 أمارتى طرابلس وانطاكية الصليبيتين عن مملكة بيت المقدس كما قام فى السنة  
 نفسها بالاغارة على طبرية ويسان وعكا . <sup>(٣)</sup> وفى سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م أغر على  
 بيسان وصفورية وعين جالوت وغيرها . <sup>(٤)</sup> كما قام فى سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤م بالاغارة  
 على نابلس فأنزل بها خسائر فادحة . <sup>(٥)</sup>

والواقع أن صلاح الدين قد ألحق بالصليبيين خسائر جسيمة فى الأرواح  
 والمعاد ، من جراء تلك الاغارات التى نظمها على مدن الساحل الشامى . الأمر  
 الذى دفع الصليبيين — على ما يبدو — الى التفكير فى تخفيف الضغط على  
 تلك المناطق بتحويل نظر صلاح الدين عنها . وذلك بالاغارة على منطقة الساحل  
 البحر الأحمر ، هذا فضلا عن استغلال وجوده فى تلك المنطقة وتهديد  
 المقدسات الاسلامية لطعن الاسلام فى أقدس بقاعه .

- 
- (١) ابو شامه ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٤ .  
 (٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٥٦ ، ابو شامه ، كتاب الروضتين ،  
 ج ٢ ، ص ٢٩ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١١٥ ، العيني ،  
 عقد الجمايع ، ج ١٢ ، ورقة ٢٢٣ ، سعاد ماهر ، البحرية فى مصر  
 الاسلامية ، ص ١١٤ .  
 (٣) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٦٩ ، العيني ، عقد  
 الحماية ، ج ١٢ ، ورقة ٢٢٣ ، النويرى ، نهاية الارب ، ج ٢٦ ، ورقة ١٢١ .  
 (٤) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٦١ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ،  
 ص ١٤٨ — ١٥١ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٧٢ — ٧٣ ، سبط  
 ابن الجوزى ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٧٧ ، المقرئى ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٨١ .  
 (٥) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١١٦ ، ابن الاثير ، الكامل ، ص ٥٠٦ ،  
 ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٧٩ .

وكان صلاح الدين حريصا على تأمين الاتصال بين شطري دولته في مصر والشام ، الا أن تحقيق ذلك كان معضلا بسبب سيطرة الصليبيين على مسدان وموانئ الساحل الشامى ، ومنطقة وادى عربة بما فيها من حصون أشهرها حصنى الكرك والشوبك .

ويبدو أن صلاح الدين كان يدرك صعوبة فتح الطريق بين مصر والشام عن طريق المنطقة الساحلية ، بسبب تمكن الصليبيين من السيطرة عليها . يضاف الى ذلك ضعف الاسطول الاسلامى عقب حريق القسطنطينية - كما سبق أن رأينا - لذلك فانه لا يستبعد أن يكون صلاح الدين قد رأى أن من الأحسن فتح الطريق بين شطري دولته عبر وادى عربة لا طمئنانه الى جيوشه البرية ، فضلا عما كان يشكله الصليبيون لسيارتهم على حصنى الكرك والشوبك من مخاطر على المسلمين بقطع طرق قوافلهم التجارية واعتراض سبيل المؤدين لفريضة الحج ، الى حد أن القاضى الفاضل ، قد اعتبر وجودهم فى حصن الكرك كان يعد " عذرا لتارك فريضة الحج " (١) لذلك لا يبدو غريبا أن يقوم كل من نور الدين محمود وصلاح الدين ، منذ بداية دخول صلاح الدين مصر ، بمحاولات عدة للاستيلاء على حصنى الكرك والشوبك ، للقضاء على تلك المخاطر وفتح الطريق بين مصر والشام (٢) .

ومما زاد الطين بله فى هذه المنطقة أن البرنس ارناط ، الذى انتهز

---

(١) أنظر ابن نباته ، مختارات من كلام القاضى الفاضل ، ورقة ٥ - ٦ ، وعرف ياقوت وادى عربة بأنه موضع فى أرض فلسطين ( أنظر ياقوت معجم البلدان ) .

( عقب الطلاق سراحه من الاسر بعد وفاة نور الدين محمود ) فرصة وفاة صاحب  
 حصن الكرك فعقد على زوجته وتزوجها ، وملك الحصن بعده . وذلك لما اشتهر  
 به هذا الأمير الصليبي من الفدر والخيانة ، وعدم احترام اليهود والمواثيق ،  
 ولم يكن من نوع الفرسان الذين يحرصون على شرفهم ، ويتمسكون ببسنادي\*  
 الفروسية ، وانما كان لا يصلح الا للسلب والنهب ، ومن الاغارات على الابرياء  
 والسالمين . وما يؤيد ذلك ما وصفه به المؤرخ ابو شامة حيث وصف ارتباط هذا  
 بأنه ، أغدر القرنجة ، وأخشبها وأفحصها عن الردى والرداءة وأبحشها وأنقضها  
 للمواثيق المحكمة والايمان المبرمة ، وانكشها وأخشبها . . . (١)

ويمكن التعرف على لبنان ، تملك حصن الكرك ، الذي كان يتمتع باستراتيجية هامة ،  
 أخذ يترف أعمالا جائرة ، ضد المسلمين ، قصد بها طعن الاسلام والمسلمين ،  
 وعرقلة الوحدة الاسلامية . ويبدو أن الأمير الذي تعرض له ارتباط الصليبي  
 زمن السلطان نور الدين محمد ، ثم بيعه في حلب كان من أسباب حقه على  
 الاسلام والمسلمين . ففي سنة ٥٧٧هـ / ١١٨١م انتهك ارتباط تلك الهدنة التي  
 كانت معقودة بين المسلمين والصليبيين ، وحاول مهاجمة مكة والمدينة ، ، حيث  
 جمع جيشه وعزم على المسير الى تيماء . ثم حدثته نفسه بالمسير الى مدينة الرسول  
 (٢)

- 
- (١) ابن شداد ، الاغلاق الخطيرة ، ص ٧٠ .  
 (٢) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٨٥ .  
 (٣) ابو شامة ، الروشتين ، ج ٢ ، ص ٧٥ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية  
 ج ٢ ، ص ٧٨٥ .  
 (٤) تيماء بليدة في أطراف الشام بين الام وداري القرى ( أنظر ياقوت معجم  
 البلدان ) .

صلى الله عليه وسلم ، ليستولى على تلك النواحي الشريفة ، ولكن عز الدين  
 قرخشاہ الذى كان صلاح الدين ، قد استتابه بدمشق ، عند انتقاله الى مصر  
 لتفقد أحوالها ، كما سبق أن رأينا — ما ان بلغه ذلك حتى جهز المساکر  
 دمشق ، وسار على رأسها ، وأغار على حصن الكرك وكبده خسائر جسيمة .  
 الذى اضطرا رباط معه الى الامتناع عن مقصده ذلك ، والعودة للدفاع  
 عن ممتلكاته فوجد عز الدين تراجع الى أطراف بلاد الاسلام وعسكر هناك لمواجهة .  
 فلما طال مقام كل منهما فى مقابل الآخر ، أدرك البرنس ارتباط ، اصرار المسلمين  
 على المقاتلة حتى يتفرق عسكره ، ففرقهم فلما رأى عز الدين ذلك عاد بعسكره الى  
 ( ١ )  
 دمشق .

والواقع أن نوايا ارتباط واحفاده على الاسلام والمسلمين لم تكن السبب  
 الوحيد الذى دفع الصليبيين الى الاغارة على ساحل الحجاز وتهديد مقدسات  
 الاسلام . بل كانت للصليبيين أهداف أخرى مرحبها القاضى الفاضل فى احدى  
 رسائله ، ذكر فيها أن الصليبيين أرادوا من حملتهم على البحر الاحمر تحقيق  
 هدفين خطيرين أحدهما الاستيلاء على قلعة أيلة التى هى على فوهة بحر  
 الحجاز ومداخله ، والثانى الخوض فى هذا البحر الاحمر الذى تحيط به بلادهم  
 بسواحلهم ، صدين بذلك منع طريق الحاج وقطع طريق تجار اليمن وأكارم عدن ،

---

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٧٠ ، ابن واصل ج ٢ ، ص ١٠١ —  
 ١٠٢ ، المقرئى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٧٢ ، ابن المشنہ ، روضة  
 المناظر ، ورقة ٧٢ ب ، السبکی ، طبقات الافمى ، ج ٧ ، ص  
 ٣٦٨ ، ابن شاهنشاه الأيوبي ، مضار الحقائق ، ص ٦٣ .



فضلا فنأرجو سيادتهم على تلك السواحل تدكهم والعيان بالله من استباحة المحارم  
(١)  
بالانتقام من المسلمين بالاستيلاء على مقدساتهم الدينية . فشرع ارناط في سنة  
١١٨٣/٥٥٧٨م فشرع في سنة ١١٨٣/٥٥٧٨م في بناء عدد من السفن ،  
تم نقلها مفلكتة على ظهور الجمال الى ساحل البحر الأحمر ، حيث جرى هناك  
تركيبها وشحنها بالرجال ومعدات الحرب . ثم سارت هذه القوات ، بعد أن  
قسمها ارناط الى فرقتين ، فرقة ابقاها على جزيرة القلعة ( أيلة ) وفرقة سارت  
في البحر باتجاه عذاب على الساحل العربي للبحر الأحمر وقطعت أثناء سيرها  
طرق القوافل التجارية ، وباغتت الناس في بلادهم على حين غفلة ، حيث شرع  
رجالها في ارتكاب أبشع جرائم القتل والنهب والاسر . الامر الذي أثار الرعب في  
قلوب الناس هناك ، حيث لم يعهدوا قبل ذلك الوقت سفنا صليبية تجارية كانت  
أو حرية تسير في ذلك البحر . ثم توجه الصليبيون بعد ذلك الى أرض الحجاز ،  
وساروا في اتجاه المدينة المنورة ، وأشرف أهلها فنهزم على خطر عظيم ، اذ يذكر  
المقريزي أنه لم يبق بينهم وبينها سوى مسيرة يوم واحد . والواقع أن الصليبيين  
(٢)  
استهدفوا بحملهم ذلك ، قطع طريق الحاج ، وضرب العالم الاسلامي في قلبه  
وطعن المسلمين في قبلتهم ، ثم الاستيلاء على عدن في جنوب البحر الأحمر لأخذ

- 
- (١) ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٥٢ ص ٣٧ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ،  
ج ٢ ص ١٣٠ . حسنين ربيع ، البحر الاحمر في العصر الايوبي في كتاب  
البحر الاحمر في التاريخ والسياسة الدولية ، ص ١٠٩ - ١١٠ .  
(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٤٩٠ ، النويري ، ج ٢٦ ، ورقة ١٢١ ،  
ابن خلدون ، المبر ، ج ٥٥ ص ٢٩٩ .  
(٣) المقريزي ، المعجم ، ج ٤ ص ٧٩ .

تجارة اليمن — كما سبق أن رأينا — وبذلك يتمكنون بفضل السيطرة على أيلة نسي  
الشمال وعدن في الجنوب هـ من أغلاق البحر الأحمر في وجه أعدائهم • واحتكار  
(١)  
تجارة الشرق والمحيط الهندي •

ولكن المسلمين لم يستكثروا عن تهديد أرناط لمقدساتهم هـ بل أسرع  
الملك النادل الذي كان واليا على مصر هـ الى اعداد اسطول قوى في البحر  
الاحمر بأمر صلاح الدين هـ أسند أمرته الى الحاجب حسام الدين لؤلؤ هـ الذي  
رأى أن يبدأ أولا بقطع اتصال الجيش الصليبي بقاعدة تموينه في أيلة هـ فحاصرها  
ودمر ما بها من المراكب الصليبية هـ وأسر من فيها • ثم أسرع بعد ذلك بتعقب  
السفن الصليبية عند عذاب ونكب بها هـ ثم عبر البحر الى شاطئ الحجـاز  
(٢)  
” فبلغ رابغ وساحل الحوراء ” • فأدرك الصليبيين بساحل الحوراء هـ وأوقع بهم  
هناك هـ فلما رأوا الخطب وشاءوا الهلاك هـ تفوقوا في البر هـ واعتصموا ببعض  
الشعاب هـ فنزل لؤلؤ من مراكبه اليهم • وهنا يبدو أنه أدرك حاجة جيشه الى  
خيل لمطاردة الصليبيين في الجبال هـ فاستعان بخيول القبائل العربية القاطنة  
هناك • وطارد الصليبيين بين الجبال هـ حتى حصرهم في شعب لا ماء فيه هـ  
(٣)

- 
- (١) سعيد عاشور هـ الحركة الصليبية هـ ج ٢ هـ ص ٢٨٧ هـ نظير حسان سعادوي  
التاريخ الحربي هـ ص ١٤٤ هـ حسنين ربيع هـ البحر الأحمر في مصر  
الايوبي هـ ص ١٠٩ — ١١٠ •  
(٢) زلنخ : واد على عشرة أميال من الجحفة فيما بين الابواء والجحفة وساحل  
الحوراء هـ موضع على الساحل الشرقى للبحر الأحمر ( أنظر ياقوت معجم  
البلدان ) •  
(٣) ابن الاثير الكامل هـ ج ١١ هـ ص ٤٩١ هـ ابو شامة هـ كتاب الروضتين هـ ج ٢  
ص ٣٧ •

وهنا تذكر بعض المصادر أن لؤلؤ قتل معظمهم وأخذ الباقين أسرى<sup>(١)</sup> .

وكان موسم الحج قد قرب ، فأرسل حسام الدين لؤلؤ أسيرين —  
الصليبيين إلى منى ، حيث نحرهما هناك كما تتحر البدن التي تساق إلى الكعبة ،  
في حين عاد هو ومعه بقية الأسرى إلى مصر .<sup>(٢)</sup> وشاهد الرحالة ابن جبيرة أعدادا  
كبيرة من هؤلاء الأسرى بمصر . وقد أمر صلاح الدين بقتلهم جميعا جزاء لهم  
وردوا لمن تسول له نفسه الاعتداء على الحرمين الشريفين . وقد تم قتلهم فعلا  
بعد استمراضهم في شوارع القاهرة والاسكندرية<sup>(٣)</sup> .

وهكذا باءت محاولة الصليبيين في البحر الأحمر للاعتداء على الحرمين  
الشرفيين واحتكار تجارة المحيط الهندي بالفشل الذريع . وإذا كانت هناك نتيجة  
لتلك المحاولة ، فإنها كانت لفت نظرا لصلاح الدين إلى الخطر الذي كان يهدد  
دولته من ناحية الكرك ووافاء عربة ، وهي المنطقة التي تقع بين شقي دولته  
في الشام ومصر ، فضلا عن الحجاز<sup>(٤)</sup> .

أما أرناؤد نفسه ، فقد استطاع — على ما يبدو — الإفلات من الأسر ،  
وعاد إلى حصن الكرك الذي كان وجوده به يمثل خطرا جسيما على دولة صلاح

- (١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٩١ ، والنويري ، نهاية الأرب ،  
ج ٢٦ ، ورقة ١٢١ .  
(٢) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٣٥ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ،  
ج ٢ ، ص ١٢٨ ، المقرئ ، السلوك ، ج ١ ، ص ٧٩ ، حسنين ربيع ،  
البحر الأحمر في العصر الأيوبي ، ص ١١٠ — ١١١ .  
(٣) ابن جبيرة الرحلة ، ص ٣٤ — ٣٥ .  
(٤) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٨٩ .

الدين ، بتعمده قطع طرق القوافل الذاهبة والآية بين مصر والشام ، والتي ذكر ابن شداد ، أن صلاح الدين كان يخرج بنفسه لحمايتها حتى تجتاز تلك المنطقة . الأمر الذي أدى إلى استمرار اهتمام صلاح الدين بحصن الكرك .<sup>(١)</sup>

ففي سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م خرج صلاح الدين من دمشق قاصدا حصار حصن الكرك ، بعد أن أرسل رسله إلى أخيه الملك العادل بحصر ، يطلب منه الاجتياح به على الكرك لمساعدته في أحكام حصاره . وسار حتى أتى الكرك ، ووافاه الملك العادل عليه ، ففرض صلاح الدين عليه حصارا شديدا ، وضرب أسواره بالضجيجات . فلما سمع الصليبيون بذلك أصابهم هلع شديد ، فساروا راجلهم وفارسهم نحو الكرك يتقدمهم ملك بيت المقدس عموري الرابع للدفاع عن الكرك . الأمر الذي دعا صلاح الدين إلى التفكير في العودة إلى دمشق بعد أن كبّد الصليبيين خسائر كبيرة ، ورأى أن حصار حصن الكرك سيكلفه وقتا طويلا وجهدا كبيرا .<sup>(٢)</sup>

وعهد صلاح الدين بعد ذلك إلى تنظيم إغارات متقطعة على ذلك الحصن لاضافته ، فخرج من دمشق في سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤م لمحاصرة حصن الكرك ، وأرسل إلى ملوك الاطراف يطلب المساعدة ، فجاءه من مصر ابن أخيه

- 
- (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٧٥ .  
 (٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٦٣ ، سبط ابن الجوزي ، مرة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٧٧ ، ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ٢ ، ص ١٥١ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٧ ، ص ١٢٠ ، ابن العديم ، زبدة الجلب ، ج ٣ ، ص ٧٤ ، ابن الشحنة ، روضة المناظر ، ورقة ٧٢ ، ابن شا منشاء الايوبي ، مضار الحقائق ، ص ١٥٣ - ١٥٤ ، ابن تفرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٢٩ - ٣٠ .

الملك المظفر تقي الدين عمر ، الذي حل محل الملك العادل بها ، وبجيشه  
القاضي الناضل ، على رأس جيش مصر للمشاركة في ذلك الحصار ، كما جاءه  
من المشرق أخوه الملك العادل بمسالك حلب ، ونور الدين بن قرا أرسلان  
صاحب حصن كيفا وآمد . فلما تكاملت استعدادات صلاح الدين سار حتى أتى  
حصن الكرك ، وفرض عليه حصارا شديدا ، ونصب عليه " تسعة منجنيقات صفا حتى  
تمكن بواسطتها من هدم السور المقابل لها ، حتى لم يعد يمنع من الوصول  
إلى الحصن إلا الخندق الذي أخذ يعمل على طمه لتحقيق غرضه . فلما رأى  
الصليبيون هناك ما دهمهم ، خافوا أن يملكه صلاح الدين ويعثوا بالبشون  
النجدة من ملوكهم وفرسانهم ، بعد أن أدركوا عجزهم وضعفهم عن حفظ الحصن .  
فلما سمع صلاح الدين بمجيء الصليبيين ، رأى أنه لا يتمكن منهم في ذلك الوقت  
ولا يبلغ غرضه " فعزم على العودة إلى دمشق ، وفي طريق عودته ، استغل  
تجمع الصليبيين على الكرك وأغار على نابلس وجنين وسبسطية .

وعلى وجه الإجمال فإن هذه الهجمات المتتالية التي شنّها صلاح الدين  
على حصن الكرك ، لم تلبث أن آتت ثمارها عندما أدرك ارتباط نفسه أنه لم يعد  
قادرا على تحمل تلك الضربات التي كان يتلقاها من صلاح الدين ، حيث بادر

(١) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٥٧ ، المقرئ ، السلوك ،

ج ١ ، ص ٨٤ .

(٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٥٧ - ١٥٨ .

(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٦٦ - ٦٧ ، سبط ابن الجوزي

مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١ ، ج ٣٨٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ،

ج ٢ ، ص ١٥٧ - ١٥٨ ، ابن الحديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص

٧٨ - ٧٩ .

الى طلب الصلح فهادنه صلاح الدين ، وأخذت القوافل الاسلامية تسترد  
(١)  
بين مصر والشام في أمان تام .

والواقع أن هذه الهدنة التي كانت معقودة بين المسلمين والصليبيين ،  
والتي اضطرارنا الى الدخول فيها مجددا قد حققت فائدة كبيرة لارتباط نفسه  
وذلك بما كان يفرضه على تلك القوافل التي تمر بتلك المنطقة من ضرائب ومكوس .  
(٢)  
الا أن هذا الامير الصليبي الذي عرف بخدرة وخيانتة لم يلبث أن نقض تلك  
الهدنة مرة أخرى ، وأنقض فجأة على قافلة اسلامية متجهة من مصر الى الشام في  
سنة ٥٨٢هـ / ١١٨٦م ففد ربها . وذكر له من بها من المسلمين الهدنة التي  
بين المسلمين والصليبيين ، فلم يعر ذلك انتباها بل تمادى في غيه وقال لهم  
(٣)  
" قولوا امحمدكم يخلصكم " وأسر من بها من المسلمين ، وأستولى على أموالهم  
(٤)  
ودوابهم وسلاحهم ، وأودعهم سجون الكرك .

أما صلاح الدين فانه لما بلغه ما فعله ارتباط ، أراد أن يعالج الوضع  
برؤية وحكمه ، فبحث الى ارتباط يوضحه على ما فعل ، ويقول له " اين اليهود  
والمواثيق " . ويبدو أنه قصد بذلك التصرف الحكيم ، التوصل الى اطلاق سراح

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٢٧ - ٥٢٨ ، ابن واصل ، مفرج  
الكروب ، ج ٢ ، ص ١٨٥ ، ابن خلدون ، المعبر ، ج ٥ ، ص ٣٠٥  
(٢) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٩٧ .  
(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٣٣ - ٣٤ .  
Lane-Poole, op. cit., p. 99

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٢٨ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ،  
ص ٧٥ ، سبط ابن الجوزي ، مآثر الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٨٩ ،  
ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٨٥ .

تلك القافلة الاسلامية التي غدر بها ارناط ، والتي وصفها ابن الأثير بأنها  
(١)

” قافلة عظيمة غزيرة الاموال وكثيرة الرجال ، ومعها جماعة سالحة من الاجناد ” .

الا أن ارناط لم يصح لذلك وتمادي في غيه ، وأبى أن يطلق سراح الاسرى والأموال

وأصر على خرق الهدنة ، وشن الغارات على المسلمين . الامر الذي أكثر من غيرة

صلاح الدين فنذر دمه ، وأعطى الله عهداً أن ظفربه أن يستبيح دمه . وهنا  
(٢)

يذكر أن ارناط ندم على رفضه ذلك ، عندما سمع أن صلاح الدين ، أقسم على

(٣)

انه سوف يقتل من نقض الهدنة بيده .

استعدادات صلاح الدين العسكرية قبيل معركة حطين :

وهذا التصرف الشائن من ارناط الصليبي ، انقضت تلك الهدنة

المقودة بين صلاح الدين وملك مملكة بيت المقدس ، وكان هذا الأمر يمثل

خطراً جسيماً على مملكة بيت المقدس ، التي كانت تمر بظروف سيئة . ولعل

محاولة جاي لوزجنان ( Guy de Lusignan ) الذي ولى مملكة

بيت المقدس في سنة (١١٨٦م) الزام ارناط - الذي لم يستجب لرجائه - بالكف

(١) ابن الأثير الكامل ، ج ١١ ص ٥٢٨ ، ويبدو من هذا النص الذي

أورده ابن الأثير والذي ذكر فيه أنه كان مع القافلة ” جماعة سالحة من

الاجناد ” أن صلاح الدين لم يكن يثق فيما تم بينه وبين ارناط من مهادنة

بل كان يبحث مع كل قافلة تعبر منطقة الكرك جماعة مختارة من الاجناد

تحسباً لذلك ( أنظر سعيد عاشور ) ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ص ٧٩٨ .

(٢) ابن الأثير الكامل ، ج ١١ ص ٥٢٨ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين

ص ٧٥ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ص ١ ، ص ٣٨٩ ،

ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ٢ ص ١٨٥ ، ابن ايكة الدواداري ،

الدر المطلوب ، ص ٥١ ، أبو الفدا ، المختصر ، ص ٧١ .

(١)  
عن انتهاك الهدنة واصلاح ما افسده خيرون ليل على ذلك .

أما صلاح الدين ، فقد أدرك نتيجة اصرار ارنات على ممارسة سياسة  
الغدر والخيانة ، وعجز ملك مملكة بيت المقدس عن إيقافه عند حده ، و حتمية اعلان  
الجهاد الاسلامى ضد الوجود الصليبي في بلاد الشام بأكملها فأرسل الى سائر  
الاطراف يدالب المساكين ويستنفر الناس للجهاد ، فكتب الى الموصل وديار  
الجزيرة وأربل وغيرها من بلاد المشرق ، وإلى مصر و سلط بلاد الشام يدعوهم  
الى الجهاد ويحثهم عليه . وخرج هو بنفسه من دمشق على رأس عسكره الخاص ،  
فسار حتى نزل رأس الماء بصرج عكا ، وهناك لحقت به العساكر الشامية ، ثم  
أمر ولده الأفضل عليا بالبقاء هناك ومعه بعض العسكر لتجتمع عنده الامدادات  
والمؤمنين والنجدات . وسار هو الى بصرى ، حيث أقام يرتقب وصول الحاج خوسا  
عليهم من غدر البرنس ارنات . فلما أطمأن على وصول الحاج سليما ، سار الى  
الكرك ، وهاجمها وقطع ما حولها من الشجر وأفسد زرعها وكرومها ، ثم سار  
الى الشوبك وفعل به مثل ذلك .  
(٢)

ويبدو أن صلاح الدين قصد بهذه الفارة السريعة على حصن الكرك  
والشوبك اشغال الصليبيين هناك عن اعادة راضي طريق الجيش المصرى الذى كان

- 
- (١) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ص ١٨٥ ، الباز المرينى ، الشرق  
الأدنى ، فى العصور الوسطى ، القسم الأول ، الايوبىون ص ٨٠ ، ارنست  
باركر ، الحروب الصليبية ، ص ١٨٠ .  
(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٥٢٩ - ٥٣٠ ، سبط الجوزى ، مرآة  
الزمان ، ج ٨ ق ١ ص ٣٩٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ص  
١٨٦ ، النويرى ، نهاية الارب ، ج ٢٦ ، ورقة ١٢١ - ١٢٢ .  
(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٥٣٠ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ،  
ج ٢ ص ١٨٦ .



فى ذلك الوقت يأخذ طريقه الى بلاد الشام ، والذي استطاع بالفعل اجتياز تلك المنطقة ليقف جنبا الى جنب مع الجيوش الاسلامية التى قدمت من المشرق (١) الاسلامي ، ومختلف بلاد الشام تلبية لدعوة الجهاد الاسلامي التى وجهها صلاح الدين فى ذلك الوقت . هذا فضلا عن أن هجوم صلاح الدين على حصن الكرك والشوبك يؤدى الى تأمين وصول الامدادات والمؤن اللازمة من مصر لقتال الصليبيين ، خاصة اذا علمنا أن مدن وموانئ الساحل الشامى كانت لا تزال حتى ذلك الوقت تخضع بكاملها للسيطرة الصليبية — الأمر الذى يحد من نشاط الاسطول الاسلامي ، ولا يدع له مجالا للقيام بنقل تلك المعدات والمؤن من الموانئ المصرية عبر البحر المتوسط الى بلاد الشام .

وفى الوقت الذى كان فيه صلاح الدين يعمل جاهدا لتكوين قوة عسكرية مزودة بالمؤن والعتاد ، استعداذا لخوض معركة فاصلة ضد الصليبيين ، كان يتجنب الاشتباك مع الصليبيين فى أكثر من جهة واحدة ، ولا يمكن عدوه من تعبئة قواه وتوحيد صفوفه ردا على تعبئة القوات الاسلامية . فأرسل فى سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م الى أهل حلب يأمرهم بمصالحة بوهمند الثالث أمير انطاكية ليتفرع لجهاد الصليبيين من جانب واحد . (٢)

كما عهد صلاح الدين الذى عرف بمهارته العسكرية أيضا الى استفال

- 
- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٠ ، الحماد ، الفتح ، ص ٦٠ .  
 (٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٧٥ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٨٠ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٠١ .

تلك الظروف العصيبة التي كانت تمر بها ملكة بيت المقدس عقب تتويج جاي  
لوزجنان الذي تنازلت له زوجته عن الحكم وأصبح ملكا لبيت المقدس ، بعد أن  
خلعت التاج عن رأسها ووضعت على رأسه قائلة « زوجي أقدر وهو أحق بالملك  
وأجدر » . وفشل القوي ريموند الضجيلي أمير طرابلس في الفوز بذلك المنصب ،  
عندما رفض فرسان الداوية استقلاله بالحكم ، وطالبوه بالعمل بالوصية التي كانت  
تقضى له بحق الوصاية فقط . الأمر الذي جعله يلقي بنفسه بين أحضان صلاح  
الدين طالبا منه مساعدته ضد ملك بيت المقدس والداوية . وأجاب صلاح الدين  
نداءه وأمدّه بالمعونة اللازمة وبذلك استطاع أن يضم إليه حليفا جديدا — من  
الصليبيين ، مكونا بذلك ثغرة كبيرة في صفوف الصليبيين .  
(٢)

وبالفعل فقد أوشك الصدام المسلح أن يحدث بين الملك جاي وبين  
ريموند ، حيث عسكر ريموند في طبرية ، وأقام هناك في زى المتناول المتأخر  
بعد أن ضم حوله عددا كبيرا من الصليبيين « وحث العزم السلطاني على  
قصدهم ليرد اليها الملك » . كما قام ملك بيت المقدس أيضا بحشد جيش عظيم  
لمهاجمة طبرية ، لولا تدخل بعض الأمراء لتمهيداً للموقف ، ومطالبة الطرفين  
بالاتحاد لمواجهة ذلك الاستعداد الهائل الذي أعده صلاح الدين لهم .  
الأمر الذي اضطر الملك لوزجنان إلى الصير بنفسه إلى القيصر يوليوس الجيلى

(١) الحماد ، الفتح ، ص ٦٧ — ٦٨ .

(٢) الحماد ، الفتح ، ص ٦٧ — ٦٨ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص  
٥٢٦ — ٥٢٧ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٤ — ٧٥ ،  
ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٨٤ — ١٨٥ .

(١) • وعلى الرغم من ذلك فإنه يمكن القول بأن صلاح الدين — لا استرضائه ومصالحته • قد جنى من جراء تدخله في شئون الصليبيين بمساعدة أحد هما على الآخر ، ثمارا كثيرة أهمها ذلك الاختلاف الكبير في وجهات النظر بين ريموند الصنجيلي وبعض الأمراء الصليبيين وفي مقدمتهم ارناط صاحب حصن الكرك • ولعل هذا الأمر هو السبب الذي جعل المؤرخ ابن الأثير يصف هذا التحالف بين صلاح وريموند الصنجيلي رغم قصر مدته بأنه « من أعظم الأسباب الموجبة لفتح بلادهم » (٢) واستنقاذ البيت المقدس منهم »

كما يمكن القول بأنه لا يستبعد أن يكون صلاح الدين ، باتباعه سياسة اللين والحكمة قبل ذلك مع ارناط صاحب حصن الكرك ، ومطالبته إياه باطلاق سراح الأسرى ، ورد أموالهم دون اللجوء الى استخدام القوة — كان له الأثر الأكبر في ادخال الخلاف وعدم الثقة بين ملك بيت المقدس وارناط الذي لم يستجب لرجائه باحترام الهدنة المعقودة مع صلاح الدين • ولا بد أن يكون الملك الصليبي قد أصبح يتشكك في نوايا ارناط وطمعه في الانفراد بحكم تلك المنطقة ، وان كلا منهما بات حذرا من الآخر •

وفي ربيع الأول سنة ٥٨١هـ / يونيو ١١٨٥م أرسل الامبراطور البيزنطي

(١) العماد ، الفتح ، ص ٦٨ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٦ ؛ أنظر أيضا • Lane-Poole, op. Cit., p. 200

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٢٧ •

(٣) أنظر ما سبق • ١٨٧ — ١٨٨ •

أندرونيكوس ( Andronicus ) سفارة الى صلاح الدين يستعيد ما كان بينهما من صداقة قديمة ، ويقترح عقد تحالف معه . واقترح على صلاح الدين أن يتم فتح فلسطين ، وأن تقسم بينهما على أن ينال البيزنطيون بيت المقدس ، والمدن الساحلية ما عدا عسقلان ، وإذا تم الاستيلاء على آسيا الصغرى والقضاء على دولة سلاجقة الروم ، فلا بد أن تعود الى الدولة البيزنطية حتى انطاكية وأرمينية . وفي مقابل ذلك ، وعد الامبراطور البيزنطي صلاح الدين المساعدة في نزاعه ضد الصليبيين في الشام . ورد صلاح الدين على هذه السفارة غير معروف ، ومن المحتمل أن هذه الاقتراحات حازت القبول الى حد ما . وقبل وصول رد صلاح الدين الى القسطنطينية ، عزل أندرونيكوس في ١٢ سبتمبر ١١٨٥ م فشله في سياسته الخارجية ، فضلا عن مشكلات أخرى واجهت الدولة البيزنطية . وأستقبل الامبراطور البيزنطي الجديد اسحق الثاني رد صلاح الدين وذلك الرد يحتمل أنه احتوى على رفض صلاح الدين لدعوى بيزنطة في السيادة ويحتمل أيضا أن صلاح الدين وضع اقتراحات أخرى .<sup>(١)</sup>

ولا شك أن التحالف مع صلاح الدين كان هو ركن الزاوية في سياسة بيزنطة الخارجية فيما بين سنتي ١١٨٥م - ١١٩٢م غير أن الآثار السيئة لمشروع تحالف الدولة البيزنطية مع المسلمين ، أساء الى سمع بيزنطة ، فقد أنزعج الصليبيون في بلاد الشام من هذا التحالف ، وأخذ امبراطور المانيا فردريك بروسا يبحث البابا على الدعوة الى حملة صليبية ضد البيزنطيين . ويحتمل<sup>(٢)</sup>

1) Brand: The Byzantines. And Saladin., speculum, Vol., 37(1962), p.p. 168-269.

2) Brand. op. cit, p.p. 178-180.

أن أشاعة ذلك التحالف بين المسلمين والبيزنطيين كان هو السبب الذي دفع الصليبيين في بلاد الشام إلى اعتقال الكيسوس انجيلوس أخى الامبراطور البيزنطى اسحق انجيلوس الذى مربمكا في طريقه الى القسطنطينية عائدا من بلاط صلاح الدين ، حيث قبض عليه كونت طرابلس وسجنه ، الأمر الذى أثار غضب الامبراطور البيزنطى ، وجعله يبعث الى صلاح الدين يحرضه على مهاجمة الصليبيين . وكان تفضيل ريتشارد قلب الاسد ، وفيليب أغسطس ، والحملات الصليبية التالية اتخاذ البحر الى بلاد الشام ، يرجع بالدرجة الأولى الى صلات الامبراطور البيزنطى بالمسلمين ، وهى صداقة بين صلاح الدين — (٢) والبيزنطيين لم يهتم بها صلاح الدين الاهتمام الكاف .

#### وقعة صفورية :

وفي الوقت الذى كان صلاح الدين فيه معسكرا بالقرب من حصن الكرك والشوبك لحماية الحاج من اعتداءات الصليبيين ، عمد الى ارسال قوة استطلاعية انتخب أفرادها انتخابا ، وأسند قيادتها الى مظفر الدين كوكبورى صاحب حران ، ويدر الدين ولد رستم بن ياروق أمير عسكر حلب ، وصارم الدين قايماز النجى أمير عسكر دمشق ، لتقوم بالانارة على ممتلكات العدو ، لاضحاف معسكراته وكشف مخططاته ، فسارت هذه السرية المدججة بالسلاح

1) Ehrenkreutz, Saladin, P.P. 198-200.

2) Brand, op. Cit. P.P. 180 .

والعطف ، باتجاه صفوريه . وقد حرص قوادها على أن يكون سيرها على قدر كبير من السرية والخفاء ، فكان سيرهم اليها في الجزء الأخير من الليل ، على أن يكون هجومهم عليها في الصباح الباكر . وبالفعل فقد نفذت تلك الخطة بدقة تامة " وصبحوا صفورية وساء صباح المنذرين " .  
(١)

أما الصليبيون الذين كانوا ينعمون بنوم هادئ في ذلك الوقت ، فانهم قد استيقظوا على أصوات السيوف والرماح ، وأسرعوا الى لم شعشعهم وتجميع قواهم لموا جهة ذلك الهجوم الاسلحي المفاجئ ، والتقى الجمعان ، ودارت بينهما معركة رهبة ، انتهت بانتصار اسلحي مظفر ، وسقط معظم الصليبيين بين قتلى وأسرى ، وكان من جملة القتلى ، مقدم الاستتار ، وعدد كبير من من أبرز فرسانهم ونجا مقدم الداوية بصعوبة بالغة . ومما زاد الطين بلة أنه عند ما تجرأت قوة صليبية أخرى على الاسراع الى صفوريه لنجدة أخوانهم كانت المعركة قد انتهت ، فأسر المسلمون تلك النجدة عن آخرها . وعاد المسلمون من هذه المعركة سالمين غانمين . وكان انتصارهم في هذه المعركة " باكورة البركات ومقدمة ما بعدها من ميامين الحركات " .  
(٢)  
(٣)  
(٤)

- 
- (١) العماد ، الفتح ، ص ٦٢ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٥ .  
(٢) العماد ، الفتح ، ص ٦١ - ٦٢ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٥ - ٧٦ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٨٧ ، التاريخ الصالح ، ورقة ٢٠٣ أ - ب ، ابن الرائب ، تاريخ ابن الراهب ، ص ١١١ .  
(٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٨٧ .  
(٤) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٦ ، حسين ربيع ، جهاد صلاح الدين الايوبي ضد الصليبيين ، رسالة المجد ، العدد الرابع ( ربيع الأول ١٤٠١ هـ / يناير ١٩٨١ م ) ، ص ١٨٧ .

وهكذا كبد المسلمون الصليبيين خسائر فادحة في الأرواح والمعتاد •  
 وألقت هذه المعركة الرعب في قلوب الصليبيين ، وجعلتهم يدركون خطورة  
 ذلك التجمع الاسلامي الرهيب الذي أعده صلاح الدين لجهادهم •

ونستنتج من هذا الانتصار الذي حققته هذه السرية الاسلامية على تلك  
 القوات الصليبية في صفوريه ، أن المسلمين عندما آمنوا بالجهاد وأحيوا  
 سيرتهم الاسلامية الاولى ، وآمنوا بضرورة القضاء على الصليبيين ، لم تهملهم قوة  
 صليبية كبيرة ، لأن الايمان بالله وحب الاستشهاد في سبيله الذي ملأ قلوب  
 الرجال المسلمين هو الذي دفعهم الى تحقيق هذا النصر •

#### معركة حطين ونتائجها :

استبشر صلاح الدين الذي كان آنذاك يعسكر بالقرب من حصن الكرك  
 بوثقب وصول الحاج — بذلك النصر الذي حققته تلك السرية الاسلامية في معركة  
 صفوريه • فترك الكرك والشوبك ، وسار مسرعا على رأس جيشه في اتجاه العدو ،  
 وعسكر في عشترا • واجتمعت حوله المساكرا الاسلامية باعداد هائلة حتى  
 « غي بها القضاء » على بعد قول ابن واصل • وفي عشترا قام بعرض عسكره ،  
 فكان في اثني عشر ألف مقاتل • ثم رتب جيشه طبقا لنظام المعركة المعتاد ،

- (١) عشترا : — موضع بحوران من أعمال دمشق ( أنظر ، ياقوت معجم البلدان ) •  
 (٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٨٧ •  
 (٣) ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٨٦ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ،  
 ج ٢ ، ص ١٨٧ •

فجعل ابن أخيه تقى الدين عمر فى الميمنة ، ومظفر الدين كوكبورى فى الميسرة  
(١) - وكان هو فى القلب ، وبقية الجيش فرقة على الجناحين ، استمدادا للحرب .

وردا على ذلك التجمع الاسلامى العظيم ، فان الصليبيين لما سمعوا  
باجتماع كلمة الاسلام عليهم ومسير ذلك الجيش الاسلامى اليهم ، علموا أنه قد  
جاءهم ما لا عهد لهم بمثله ، وان كيانهم زائل لا محالة ، فاجتمعوا واصطلحوا ،  
وحشدوا وجمعوا ، وانتحوا " فصالح القوص الملك جاي ، بعد أن دخل عليه  
ورعى بنفسه عليه . (٢) ومن ثم أصدر الملك جاي الأمر بالتمبئة العامة ، وممستى  
ذلك أنه لا بد أن يتقدم لحمل السلاح كل الرجال القادرين ، ولا يلبأ الملك  
الى ذلك الا عند الضرورة القصوى . (٣) وحشد الصليبيون حشودا كبيرة ، ورتبوا

صليب الصليبوت ، لتجتمع الناس حوله ، وقد اكتملت عدة ذلك الجيش بعد أن  
تم توزيع الأموال التى بمشها ملك انجلترا هنرى الى الملك جاي ، والتى أمر  
بانفاقها على الرجال . أما بالنسبة لتقدير عدد الجيش الصليبين الذى ظل  
ممسكرا فى صفوريه بعد هزيمته من تلك السرية الاسلامية ، فان المؤرخين  
المعاصرين ذكروا أن عدده بلغ " زهاء خمسين ألفا أو يزيدون " . (٤) ولكن يبدو  
أن فى ذلك مبالغة كبيرة ، ويرجح ما ذهب اليه أحد الباحثين من أنه ليس من

---

(١) ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٢ ، ابن خلكان ، وفیات  
الاعيان ، ج ٧ ، ص ١٧٤ .

(٢) ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٦ .

(٣) الباز المعري ، الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ص ٨٤ .

(٤) العماد ، الفتح ، ص ٧٤ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٦ ،  
أنظر أيضا ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٢٠ .



(١)

السهل فقد ير عدد الجيش اللاتيني ، وأن من المرجح أنه يبلغ عشرين ألفاً .

ومهما يكن من أمر فإن صلاح الدين لما علم باجتماع الصليبيين في صفورية عقب هزيمتهم من السرية الاسلامية في هذا المكان ، استشار قواده فيما يفعل ، فأشار أكثرهم بترك اللقاء ، واتباع الطريقة السابقة من اذارات متكررة ، وتكبيد العدو خسائر حتى تضعف مقاومته ، ومن ثم انزال الضربة القاضية بالصليبيين . وأشار الفريق الآخر بالتوغل في بلاد الصليبيين ، والاشتباك معهم في معركة فاصلة .<sup>(٢)</sup> وهنا تبدو لنا هتكة صلاح الدين العسكرية ، إذ اختار الخطة الثانية القائمة على الاشتباك مع العدو في معركة فاصلة ، إذ يظهر أن صلاح الدين أدرك أن مصطام القوات التي تجمعت عنده في ذلك الوقت جاءت من أماكن بعيدة

من مصر ودمشق وحلب والجزيرة والموصل ود ياربكر وغيرهما ، وأن هذه المسارك القائمة على نظام الاقطاع الحربي كما سبق أن رأينا - لها التزامات في اقطاعاتها ، الأمر الذي قد يدفعها بعض الاحيان الى طلب الاستئذان منه والعودة لقضاء حوائجها . هذا بالإضافة الى أن صلاح الدين ربما قصد باتباع تلك الخطة ، استغلال ذلك الانشقاق الذي حدث في صفوف الصليبيين ، نتيجة وفاة الملك بلدوين الخامس ، وتتويج الملك جاي لوزجنان ، والذي عده أحد الباحثين ، سببا حرم من أجله مملكة بيت المقدس من معونة أقوى امارتين صليبيتين بالشام

(١) الباز العريني ، الشرق الادنى في العصور الوسطى ، ص ٨٤ .  
 (٢) ابن الاثير ، ج ١١ ، ص ٣٢ - ٣٣ ، ابن خلدون ، العبر ، ج ٥ ، ص ٣٠٦ .  
 (٣) أنظر ما يلي الفصل الخامس ص

(١)

هنا اماره طرابلس ، و اماره انطاكية .

وهكذا أصبح الموقف بين صلاح الدين والصليبيين على أشده ، وسات  
الطرفان كل منهما ينتظر هجوما سابقا من الآخر . وهنا يبدو أن صلاح الدين  
الذى كان يتوق الى الاشتباك مع الصليبيين فى معركة فاصلة ، كان يدرك أن  
تمركزهم فى صفورية ، يعطيهم مكانة عظيمة فى القتال ، وذلك أن صفورية تمتص  
من أحسن المواقع الملائمة لاقامة المعسكرات ، وذلك لما يتوافر بها من المراعى  
(٢)

والمياه ، وغيرهما من الموارد الطبيعية اللازمة لذلك . لهذا عمد الى استدراج  
الصليبيين الى المكان المناسب الذى يستطيع فيه انزال الهزيمة بهم . هذا  
بالاضافة الى أنه على الرغم من ذلك كان يريد أن يجبرهم على السير اليه  
(٣)

حتى يصلوا متعبين ، ويكون هو مدخرا جهده وجهد رجاله . لذلك أخذ  
صلاح الدين يعد عده للقيام بعمل يستطيع اجتذاب الصليبيين من معسكرهم  
فى صفورية والتزول الى المكان الذى يختاره . فأخذ كل يوم يرسل جماعة من  
رجالهم ، لمباغطة الصليبيين والنكاية بهم ، محاولا بذلك استدراجهم اليه ، غير  
أن تلك الغارات المتكررة ، لم تؤثر على الصليبيين ، فلم يتركوا عن مركزهم  
فى صفورية فرأى صلاح الدين الهجوم على طبرية ذاتها ، لأن الصليبيين متى

(١) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٩٩ .

(٢) Lane-Poole, op. Cit. p. 206 ستيفن ونسيان ، تاريخ  
الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٣٦ .

(٣) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٠٤ .

(١)

رأوا هجومه ذلك باد روا بالوصول اليه ، وبذلك يكون قد تحقق له ما قصد .

وهنا يمكننا أن نتساءل لماذا خص صلاح الدين طبرية دون غيرها —

بهذا الهجوم — ؟ ويبدو أن صلاح الدين أدرك أن وجود زوجة ريموند وأولاد .

(٢)

في منطقة طبرية كقيل بأثارة ريموند أمير طرابلس المشهور بشدة الفسيرة .

هذا بالإضافة إلى أن صلاح الدين ، كان يعلم أن نزوله في ذلك الموضع

يستطيع أن يوصل الطريق المؤدى إلى طبرية ، وسيطر في الوقت ذاته على

(٣)

الدروب التي تجتاز الحافة الشرقية إلى طبرية وتنتهي إلى الماء . في حين يبقى

الصلبيون عند خروجهم من صفورية ، وتقدمهم إليه في منطقة وعرة لا تتوفر فيها

(٤)

المياه .

وفي يوم الخميس ٢٣ ربيع الآخرة سنة ٥٨٣هـ / ٢ يولييه ١١٨٧م ، أصدر

صلاح الدين أوامره إلى الجانب الرئيسي من جيشه بالتقدم إلى طبرية ومهاجمتها

فنزول عليها ونقب بعض أسوارها وأخذها عنوة ، ولجأ من بها من الصليبيين

(٥)

إلى القلعة وامتنعوا بها . وما كادت أخبار ذلك الهجوم تصل إلى أساطع

(١) أبو شامة ، كتاب البروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٦ .

(٢) الباز المعري ، الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ص ٨٧ ، باركر ،

الحروب الصليبية ، ص ١٨٢ .

(٣) الباز المعري ، الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ص ٨٧ .

(٤)

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٣ ، ابن شداد ، النوادر السلطانية ،

ص ٧٦ ، أبو شامة ، كتاب البروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٦ ، الصمد ، الفتح ،

ص ١٩٣ ، سبط ابن الجوزي ، برآة الأئمة ، ج ٨ ، ص ١٠١ ، ج ١ ، ص ٣٩٣ ، ابن

الديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٩٣ ، ابن تفرى بردى ، النجوم الزاهرة ،

ج ٦ ، ص ٣١ - ٣٢ .

الصليبيين ، حتى جن جنونهم ، ودعا الملك جاي الى مجلس حرب ، فأشار بعضهم بالتقدم الى المسلمين وقتالهم وضعهم من التوغل في طبرية ، في حين أشار ريموند صاحب طرابلس على الملك بالبقاء في موضعه بصفوريه ، قائلا له :  
 " ان طبرية لي ولزوجتي ، وقد فعل صلاح الدين بالمدينة ما فعل ، ويقبى القلعة ، وفيها زوجتي ، وقد رضيت بأن يأخذ القلعة وزوجتي ، وهما لنا بهما فيعود ، فوالله لقد رأيت عسكر الاسلام قدما وحديثا ، ما رأيت مثل ذلك العسكر الذي مع صلاح الدين كثرة وقوة ، وإذا أخذ طبرية ، لا يمكنه المقام بها ، فمضى فارقه ، وعاد عنها أخذناها . وان أقام بها لا يقعد على المقام بها الا بجميع عساكره ، ولا يقدر على الصبر طول الزمان . عن إوطانهم وأهلهم (١)  
 فيضطر الى تركها وتفتك من أسرمنا " . وهنا يبدو أن سياسة صلاح الدين في ايقاع الخلاف في صفوف الصليبيين قد آتت أكلها ، حيث لقي رأى ريموند هذا معارضة شديدة من كل من ارتبط صاحب الكرك ، وجيرار مقدم الداوية ، الذين اتهموا بالخيانة والانحياز الى المسلمين . حيث رد عليه ارتباط قائلاً

(١) ابن الاثير، الكامل، ج ١١، ص ٥٣٣، ويلاحظ أن العماد وابن واصل ، قد ذكرا رأيا مخالفا لذلك ، حيث ذكرا أن ريموند عندما علم باستيلاء صلاح الدين على طبرية جن جنونه ، وطالب الصليبيين بالمسير الى طبرية ، وانقاذها من المسلمين ، وأنه بسقوطها تسقط البلاد كلها ( أنظر العماد ، الفتح ، ص ٧٦ ، وابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٨٩ ، أنظر أيضا سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٠٥ ، حاشية (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٣ .

( ١ )

” قد أطلت في التخوف من المسلمين ، ولا شك أنك تريد هم وتميل اليهم ” .  
 واستطاع أرناط وجيرار التأثير على الملك جاي الذي أصدر أوامرا إلى الجنود  
 بالمسير إلى طبرية . وبدأ الجيش الصليبي زحفه من صفوريه يتقدمه ريموند ففى  
 ظروف سيئة للغاية ، فروح الصليبيين المعنوية منخفضة ، وجزء كبير منهم لم يكن  
 من أنصار التقدم نحو طبرية ، فساروا مكرهين . <sup>(٢)</sup> هذا بالإضافة إلى ما تعرض له  
 ذلك الجيش الصليبي في طريقه من متاعب وخسائر بسبب الكائن التي نصبها  
 صلاح الدين لهم أثناء سيرهم ، فضلا عن حرارة الجو ، ووعورة الطريق وانعدام  
 الماء . وازاء هذه الظروف القاسية حل بالجيش الصليبي أثناء سيره من صفورية  
 إلى طبرية ، انفصال كبير ، حيث لم تستطع مؤخرته مجاراة سير بقية الجيش  
 والاتصال بالملك في الوسط . الأمر الذي اضطر الملك جاي إلى إقامة معسكره  
 قبل الوصول إلى طبرية . على الرغم من تلك المحاولة التي قام بها ريموند أمير  
 طرابلس الذي كان في المقدمة ، لحث الصليبيين على التقدم للوصول إلى المياه .  
 مما أدى إلى تدمير ريموند من ذلك التصرف ، وادراكه بأن الهزيمة حاصلة لا محالة .  
 ( ٣ )

وفي الوقت الذي بلغ فيه الجيش الصليبي حالة كبيرة من الانهك والتعب  
 والانهيار ، كان جيش صلاح الدين يعسكر بالقرب من طبرية ملوئا بالثقة .  
 وأخذ صلاح الدين الذي غمرته الفرحة بسبب نجاحه في استدراج الصليبيين  
 إليه من معسكرهم الآمن في صفوريه يقول ” جاءنا ما نريد ، ونحن أولوا بأس

( ١ ) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٣ .

( ٢ ) سميد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٠٦ .

( ٣ )

( ١ )

شديد \* فرتب رجاله في تلك الليلة \* وافرقت عليهم الاسلحة \* وترك على طبرية  
فرقة من جيشه \* وسار هو على رأس جيشه لملاقاة الصليبيين على سطح جبل  
طبرية المشرف على سهل حطين \* وهي منطقة على هيئة هضبة ترتفع عن سطح  
البحر أكثر من ثلاثمائة متر \* ولها قمتان مما جعل العرب يطلقون عليه اسم  
قرون حطين \* وبوصول الصليبيين الى تلك الهضبة كانوا قد بلغوا حالة سيئة  
من الانهباك والتعب \* واشتد بهم العطش بعد أن حال جيش صلاح الدين

( ٢ )

بينهم وبين الوصول الى الماء .

التقى الجمعان على سهل جبل طبرية الخرس منها \* وحال الليل

( ٣ )

دون تصاد مهما ذلك اليوم . وفي صباح الجمعة ٢٤ ربيع الآخرة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م

تحرك الجيشان وتصادما بأرض تسمى اللوبيا \* وأستمر القتال الى أن حجز

( ٤ )

الظلام بينهما \* وبات كل فريق في سلاحه \* والواقع أن جيش صلاح الدين قضى

تلك الليلتين ينعم بكافة الوسائل التي تمينه على القتال \* فقد كان يعسكر

في منطقة سهلة غنية بالمراعي والمياه . أما الجيش الصليبي \* فقد ازداد بلا

شك خلال تلك المدة شقاء وانهاكا \* بسبب اقامة معسكره على منطقة وعرة جدا

( ١ ) ابو شامة \* كتاب الروضتين \* ج ٢ \* ص ٧٦ .

( ٢ ) العماد \* الفتح \* ص ٧٨ \* ابن الاثير \* الكامل \* ج ١١ \* ص ٥٣٤ .

ابو شامة \* كتاب الروضتين \* ج ٢ \* ص ٧٦ \* سعيد عاشور .

الحركة الصليبية \* ج ٢ \* ص ٨٠٦ - ٨٠٧ .

( ٣ ) ابن شداد \* النوادر السلطانية \* ص ٧٦ \* ابو شامة \* كتاب الروضتين \* ج ٢ \* ص ١٨٩ .

( ٤ ) ابو شامة \* كتاب الروضتين \* ج ٢ \* ص ٨١ \* ابن واصل \* مفرج الكروب \* ج ٢ \* ص ١٨٩ .

ج ٢ \* ص ١٨٩ \* واللوبيا : - أرض بالقرب من طبرية \* ( أنظر العماد \* الفتح \* ص ٨٨ حاشية ) .

عذيمة المياه وفي جو شديد الحرارة • ويبدو أن صلاح الدين • قد استغل توقف القتال تلك الليلة • ليكمل استعداداته لمهاجمة العدو الذي لجأ إلى سفح جبل حطين • ليصممهم من المهلاك • ومن ثم البت في جو معتدل يخفف عنهم شدة الحرارة والعطش • وعلى الرغم من أوامر الملك جاي التي كانت تقضي بأن يندفعوا إلى أسفل التل ليؤدوا واجبهم نحو الصليب والعرش • إلا أنهم اعتدوا بشدة العطش • وأنهم لا يستطيعون الحرب • فاستغل صلاح الدين ذلك • ورتب جيشه ورسم له الخطط • وأحاط بهم « احاطة الدائرة بقطرها » (١) كما يقول ابن الأثير • (٢)

وفي الصباح الباكر من يوم السبت ٢٥ ربيع الآخر ٥٨٣هـ / يولييه ١١٨٧م تقدم الجيش الإسلامي الذي أكمل استعداداته للمعركة الفاصلة • وفي المقابل تحرك الجيش الصليبي واضعاً في ذهنه الوصول إلى طبرية لملء يرد الماء • إلا أن صلاح الدين ببراعته الحربية أدرك مقصدهم • ووقف بحسبته في وجوههم • وأخذ صلاح الدين يداوئهم بين الصفوف يحرض الرجال على الجهاد • ويأمرهم بما ينفعهم ويؤذيهم عما يضرهم • وهم له طائعون • وبدأ الهجوم الإسلامي على الصليبيين • فاستطاعت المسلمون في القتال وشدوا هجماتهم على الأعداء مدركين « أن من ورائهم الأردن • ومن بين أيديهم بلاد القوم • وأنهم لا ينجيهم إلا الله تعالى » • (٤)

(١) Lane-Poole, op. cit. p. 211.

(٢) ابن الأثير • الكامل • ج ١١ • ص ٥٣٥ •

(٣) المصدر السابق • نفس الجزء • والصفحة •

(٤) ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ٧٦ •

وأمام ذلك الهجوم الاسلامي الرهيب ، أدرك الصليبيون أن نهايتهم قد حانت ، وأنه لا ينجيهم من صلاح الدين سوى الفرار أو الاستسلام . ولم يستطع النجاة سوى ريموند أمير طرابلس الذي ، رأى عجز الصليبيين عن مقاومة الجيش الاسلامي ، فاتفق مع جماعة من أصحابه وحملوا على من يليهم من المسلمين ، ففتح المسلمون لهم طريقا يخرجون منه ، وبعد خروجهم التأم الصف مرة أخرى .<sup>(١)</sup> ويبدو أن خروج ريموند تم بموافقة صلاح الدين ، الذي أصدر أوامره إلى ابن أخيه تقي الدين عمر ، مقدم تلك الناحية التي حمل عليها ريموند ، وقصد صلاح الدين بذلك إدخال الضعف واليأس في نفوس الصليبيين عندما يعلمون بهروب ريموند وجموعه . كما لا يستبعد أن يكون ذلك الأمر قد تم باتفاق بين ريموند وصلاح الدين ، بدليل أن بعض الصليبيين عندما تعرضوا لذلك الهجوم الشامل من المسلمين ، القوا أسلحتهم ، وجاءوا إلى معسكر المسلمين مستسلمين .<sup>(٢)</sup>

ومما زاد الطين بلة ، أنه في الوقت الذي تخلى فيه ريموند عن أنباء ملته ، كان بعض المتطوعة المسلمين قد أشعلوا النيران في الأعشاب والأشواك اليابسة التي تكتس تلك المنطقة ، وكانت الريح تهب باتجاه الصليبيين ، فاجتمع عليهم العطش وحر الزمان ، وحر النار ، والدخان ، وحر القتال . الأمر الذي اضطر معه الصليبيون إلى التراجع إلى أعلى الجبل ، وأرادوا أن ينصبوا

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٥ ، الحماد ، الفتح ، ص ٧٩ .

(٢) أنظر ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٥ ، ابن شداد ، النوادر

السلطانية ، ص ٧٧ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٨ .

وابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٩١ .



خيائهم ، ويحموا نفوسهم به ، فاشتد عليهم القتال من سائر الجهات ،  
(١)  
ومنعوا عما أرادوا ولم يتمكنوا من نصب خيمة واحدة سوى خيمة الملك .

ويبدو أن صلاح الدين كان في تلك المعركة الحاسمة ، يعمد إلى القضاء  
على الصليبيين وإدخال الودن في نفوسهم بكل الوسائل ، ولم يكن همه مقصوراً  
على القتال المباشر فقط بل كان يعمد إلى أشياء يكون تأثيرها على العدو أكبر .  
والدليل على ذلك أنه بعد أن حصر الصليبيين في أعلى جبل حايين ، ركز  
اهتمامه على الاستيلاء على صليبهم الأعظم الذي يسمونه صليب الصليوت ، والذي  
(٢)  
يذكرون " أن فيه قطعة من الخشبة التي صلب عليها المسيح عليه السلام بزعمهم " .

لأنه كان يعلم أن الاستيلاء عليه يعد أعظم سلاح لتحدايمهم نفسياً ومعنوياً .  
وبالفعل فما أن تمكن من أخذه حتى حل بالصليبيين البوار وأيقنوا بالهلاك  
وتقدم المسلمون نحو قمة الجبل ، والصليبيون يتراجعون أمامهم ، ويتساقطون  
أسرى وقتلى ، حتى لم يبق مع الملك الصليبي الذي وصل إلى أعلى التل سوى  
(٣)  
فئة قليلة لا يتجاوز عددها مائة وخمسين فارساً من الفرسان المشهورين الشجعان .

وذكر ابن الأثير على لسان الملك الأفضل ابن صلاح الدين أن الصليبيين  
لما تراجعوا على رأس ملكهم إلى أعلى التل حملوا حملة قوية على من بازائهم من

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٥ - ٥٣٦ .

(٢) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة ، أنظر أيضاً أبو شامة ، كتاب الروضتين  
ج ٢ ، ص ٧٨ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٦ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ،

ج ٢ ، ص ٧٨ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٩١ .

المسلمين ، وكادوا يزيلونهم عن أماكنهم ، إلا أن المسلمين عادوا فردوا على تلك الحطة ، واستطاعوا إعادة الصليبيين مرة أخرى إلى أعلى الجبل . مما جعل الملك الأفضل يعبر عن فرحته بذلك النصر بقوله « هزمناهم » . وعاد الصليبيون مرة أخرى وحاولوا تحرير المسلمين الذين ردا عليهم بحطة أقسى أرجعهم مرة ثالثة إلى أعلى التل ، فعاد الملك الأفضل وعبر عن فرحته بذلك النصر مرة أخرى بقوله « هزمناهم » . وهنا تبدو لنا مهارة صلاح الدين الحربية وخبرته في ميادين القتال ، إذ كان يرى أن الهزيمة لن تتم على الصليبيين إلا بسقوط قيادتهم قتلا وأسرا ، فأجاب ابنه قائلا : « اسكت ما نهزمهم حتى تسقط تلك الخيمة » يقصد خيمة الملك . ثم أخذ في تشديد هجماته ، وما هي إلا لحظات حتى سقطت تلك الخيمة ففزع الملك ، فلويس جيسمن أوف بلانجش ، شكرا لله (١) .

تعالى وبكى من فرحه .

والواقع أن ما فقده الصليبيون في هذه المعركة من قتلى وأسرى يعتبر من أفدح الكوارث التي حلت بهم . وما ورد من إشارات إلى عدد القتلى يشوبه الخلط والاضطراب . والواقع أنه لم ينج إلا عدد قليل من المحاربين ، بالإضافة إلى من نجا من جند المؤخرة بقيادة باليان ابلين ، وريجنالد صاحب صيدا ، أو جند المقدمة بقيادة ريموند صاحب طرابلس . أما معظم أفراد الجيش الرئيسي (٢)

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٦ .  
 (٢) أنظر Lane-Poole . on Bit.P214 ، الباز المرينى ، الشرق الادنى في المصور الوسطى ، ص ٩٨ .

بقيادة الملك جاي لوزجنان فقد تساقطوا في أيدي المسلمين قتلى ، وأسرى ،  
 وكان على رأس الأسرى الملك جاي ، واراناط صاحب الكرك وأوك صاحب جبيل ،  
 وهنفرى بن الهنفرى صاحب تبينين ، وابن صاحبة طبرية ، وجيرار مقدم الداوية ،  
 ومعظم من نجا من الاستتار به ، وغيرهم من أكابر الصليبيين .  
 ( ١ )

ثم أمر صلاح الدين فحيرت له خيمة ، نزل فيها وصلى لله تعالى شكرا  
 على هذه النعمة التي درج الملوك من قبله على تقنى مثلها ، وماتوا بحسرتها .  
 ( ٢ )  
 ثم أحضر ملوك الصليبيين ، ومقدميهم واستقبلهم استقبالا حسنا ، وأجلس الملك  
 جاي إلى جانبه ، وأجلس البرنس ارناط صاحب الكرك إلى جانب الملك . وبادر  
 صلاح الدين بتقديم أناء به ماء ملج للملك جاي ، فشرب منه ، وأعطى ما تبقى  
 لاراناط فشرب . وعندئذ غضب صلاح الدين من ذلك ، وخاطب الملك مؤكدا  
 له بأن ارناط لم يشرب الماء بأذنه فينال أمانه . ثم التفت إليه وذكره بجرائمه  
 وخيائنه وقال له « كم تخلف وتهكث ؟ » فقال الترجمان عنه أنه يقول « قد جرت  
 عادة الملوك بذلك » فأوقفه السلطان صلاح الدين وقال له « هانذا استنصر  
 لمحمد » ثم عرض عليه الاسلام فأبى ، فاستل صلاح الدين سلاحه وضربه فحل  
 كتفه ، وتم عليه من حضر . وقال « كنت نذرت دفتين أن أقتله إن ظفرت به »  
 ( ٣ )  
 ( ٤ )

- 
- ( ١ ) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٧٧ ، الصناديق ، ص ١٩٦ - ١٩٧ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٨ ، ابن واصل ،  
 مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٩٢ .  
 ( ٢ ) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٩٤ .  
 ( ٣ ) ابن واصل ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٩٥ ، أنظر سبط ابن الجوزي ،  
 مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٣٩٣ - ٣٩٤ .  
 ( ٤ ) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٧٨ - ٧٩ ، ابن واصل ، مفرج  
 الكروب ، ج ٢ ، ص ١٩٥ .

( ١ )

احدهما لما أراد السير الى مكة والمدينة والثانية لما أخذ القفل غدا »

ولما رأى ملك بيت المقدس تجاى لوزجنان ذلك المنظر ، خاف ، وظن أن

صلاح الدين سوف يثنى به ، ولكن السلطان استحضره ، وطيب قلبه ، وقال له  
( ٢ )

« لم تجر عادة الملوكة أن يقتلوا الملوك ، أما هذا فإنه تجاوز حده فجري ما جرى » .

ثم أحضر صلاح الدين الداوية والاستبارية ، وعرض عليهم الاسلام فمن أسلم  
( ٣ )

استبقاه ومن أبى أمر بقتله ، والجدير بالذكر أنه ليس من المعروف تماما لماذا

أفرد صلاح الدين فرسان الداوية والاستبارية بالقتل دون غيرهم من الأسرى .

وربما كان سبب ذلك ما ذكره أبو شامة من أن صلاح الدين ، قال « أنا أظهر

الارض من هذين الجنسيتين النجسين ، فما جرت عادتهما بالمفاداة ، ولا يقلعنا  
( ٤ )

عن المفاداة ، ولا يخدمان في الاسر ، وهما أخبت أهل الكفر » ومن المعروف

أن فرسان هاتين الهيئتين ، قد تنكروا للبهائم التي كرسوا حياتهم

لخدمتها ، فخلعوا زيهم الدينى الاسود ، واتشحوا بالوشاح المسكى الابيض

والشارة الصليبية الحمراء ، وأصبحوا في زمرة المحاربين ، وأمتلك كل منهم

ثلاثة من الخيل ، وغلاما يتبعه ، وصار منهم قادة عظام يحملون الألقاب والرتب

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٧ .

( ٢ ) ابن شداد ، النور السلطانية ، ص ٧٩ . ابن واصل ، مفرج الكروب ،  
ج ٢ ، ص ١٩٥ . أنظر أيضا أبو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٩ .

سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٩٤ . ابن خلكان  
وفيات الاعيان ، ج ٧ ، ص ١٧٧ .

( ٣ ) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٩٤ . ابن واصل ،  
مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٩٦ .

( ٤ ) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٩ . ويذكر ابن الاثير في كتابه  
الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٨ أن ذلك لانهم « أشد شوكة من جميع الفرنج » .

العسكرية ، ويجيدون حبك سياسة الفدر بالمسلمين ، ونقض اليهود والمواثيق .  
 وكان هدف فرسان هاتين الطائفتين الأول والأسمى طعن الاسلام ، وانتهاك  
 حرمة بشتى الوسائل مهما كلفهم ذلك من ثمن .  
 (١)

أما بقية الأسرى ، فقد أمر صلاح الدين ، بأن يساقوا الى دمشق  
 حيث احتيط على الأمراء ، وبيع عامة الفرسان والبند الصليبيين في الاسواق بأثمان  
 زهيدة . ودخل القاضي ابن عسرون دمشق وصادى الصليبيون منكسرين بين يديه .  
 (٢)  
 وعاد السلطان الى طبرية .  
 (٣)

أما ريموند الثالث أمير طرابلس ، فإنه لما نجا من المعركة — كما سبق  
 أن ذكرنا — وصل الى صور ، ثم قصد طرابلس ، ولم يلبث الا أياما قليلة ، حيث  
 مات بها غيضا وحققا مما جرى على الصليبيين خاصة وعلى دين النصرانية عامة .  
 (٤)

والواقع أن هذا الانتصار الحاسم الذى حققه صلاح الدين في حطين ،  
 راجع الى ما بذله من جهود في الاعداد لها . حيث خاض تلك المعركة فى  
 جيش قوى ، ومهارة حربية منقطعة النظير ، فضلا عن اختياره لكان المعركة  
 وزمن وقوعها ، حيث عسكر بجيشه على طبرية حائلا بين العدو وبين الماء ،

(١) نذير حسان سعداوى ، التاريخ الحربى المصرى ، ص ١٨٦ ، جيش  
 مصر ، ص ٦٢ .

(٢) ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ص ٨٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢  
 ص ١٩٥ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ١٩٤ .

(٣) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٩٤ ، والقاضى عسرون  
 هو القاضى ابو سعد عبد الله بن ابي السرى محمد بن هبة الله بن على بن  
 ابي عسرون النقيب الشافعى الملقب شرف الدين ، تولى القضاء بسنجار  
 ونصيبين وطرق وغيرها من ديار بكر ثم وفد الى دمشق في سنة ٥٧٠ هـ فتولى  
 القضاء بها ، توفي سنة ٥٨٥ هـ ( أنظر ابن خلكان وفيات الاعيان ، ج ٣ ص  
 ٥٣ - ٥٥ ) .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٧ - ٥٣٨ .

كما أعلن جهاده في شهر يولييه الذي يعد أشد شهور السنة حرارة ، وأقلها ماء في الصحاريج والغدران ، حتى أصبح العطش من أقوى الأسلحة بين يديه .<sup>(١)</sup>

وهكذا غدت ممتلكات الصليبيين في بلاد الشام غداة موقعة حطين تحت رحمة صلاح الدين ، فشرح يفتح البلاد والمدن الواحدة تلو الأخرى . ولكي يصفى الوجود الصليبي من طبرية عاد إليها من حطين مباشرة ، وراسل زوجة ريموند الثالث ، فأجبت إلى التسليم فأمنها هي ومن معها ، وندب إليها من تسلم منها الحصن بما فيه ، وخوجت بمالها ورجالها ونسائها إلى طرابلس بلد زوجها .<sup>(٢)</sup>  
وولى صلاح الدين على طبرية قايماز النجص .

ويبدو أن الصليبيين عقب تلك المعركة ظنوا أن صلاح الدين سيتجه إلى مطلة إلى الاستيلاء على بيت المقدس ، فلجأ من المعركة إلى هناك . إلا أن صلاح الدين خيب ظنهم فبدلاً من أن يتجه إلى بيت المقدس ليستول عليه استيلاءً آمناً سهلاً إذ به يتجه صوب عكا أولاً . وهذا التصرف وبلاشك يعد مظهرًا من مظاهر عبقرية صلاح الدين الحربية وبعد نظره ، إذ اختار أن يبدأ أولاً بالاستيلاء على المدن الصليبية الساحلية ليحرم الصليبيين من قواعدهم البحرية التي تربطهم بالعالم الخارجي ، وبخاصة الغرب الأوربي فيمسون محصورين داخل بلاد الشام ،

(١) نظير حسان سعداوى ، التاريخ الحربى المصرى ، ص ١٨٥ .  
(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٧٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٨ ، العماد ، الفتح ، ص ٨٥ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٩ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٩٤ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٧ ، ص ١٧٧ .  
Lane-Poole, on. Cit . P. 218.

وحدد ذلك تتساقط في يده المعازل والمدن الصليبية في الداخل • هذا فضلا  
عن أن استيلاء صلاح الدين على ذلك الشريط الساحلي سيمكنه من تحقيق  
الاتصال البحري السريع بين شطرى دولته في مصر والشام •<sup>(١)</sup> بالإضافة إلى ما  
اشتهرت به مدن الساحل الشامى من خيرات بسبب نشاط التجارة بها • ولعل  
ما يؤيد ذلك ما ذكره ابن شداد وأبو شامة من أن صلاح الدين بدأ بمدينة عكا  
لأنها « كانت فطنة التجار » • فضلا عن أن ذلك سوف يؤثر على ما يبدو -  
على نفسيات الصليبيين داخل بيت المقدس • بالقطاع أملهم في وصول الامدادات  
اليهم • فيجعل مقاومتهم بسيطة •

اتجه صلاح الدين بعد ثلاثة أيام من اقامته في طبرية صوب المدن  
الساحلية • وبدأ بمدينة عكا فوصلها يوم الاربعاء نهاية شهر ربيع الآخر ٥٨٣هـ /  
يوليه ١١٨٧م • بالقرب منها وراء التل • ونصب عليها المنجنيقات •  
وضيق عليها • ولما طلع فجر يوم الخميس مستهل جمادى الاولى ركب في عسكره •  
ووقف بآزاء التل • مصمما على الزحف والقتال • وبينما هو يرتاد موضعا للهجوم •  
اذ خرج اليه كثير من أهلها يتضرعون ويدعون الأمان • فأمنهم على أنفسهم  
وأموالهم • وخيرهم بين الإقامة والرحيل • فأختاروا الرحيل • ودخل صلاح الدين

- 
- (١) سعيد عاشور • الحركة الصليبية • ج ٢ • ص ٨٣١ • الايوبيون والمماليك •  
ص ٦٥ - ٦٦ • نظير حسان سعداوى • التاريخ الحربى المصرى • ص  
١٨٧ •  
(٢) ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ٧٩ • أبو شامة • كتاب الروضتين •  
ج ٢ • ص ٨٦ •  
(٣) ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ٧٩ - ٨٠ •

بجيشه المدينة ، واستولى على ما فيها من الاموال والذخائر ، واطلق سراح  
من كان بها من أسرى المسلمين ، الذين يقال أن عدد هم بلغ أربعة آلاف نفس<sup>(١)</sup>  
ورتب في كنيسها العظمى منبرا ، وأقيمت فيه صلاة الجمعة ، وأقطع عكا لأبنه  
الافضل على ، وأعطى ما للدوايه من أقطاع وضياع للفقير ضياء الدين عيسى  
الهكاري<sup>(٢)</sup> .

وأثناء مقام صلاح الدين بعكا فرق عساكره لفتح العاقل والمدن الساحلية  
القرية من عكا ، فاستولوا على الناصرة وقيساريه وهيفا وصفوريه والثقيف وغيرها  
من البلاد المجاورة لعكا كما سير أيضا ابن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر ،  
فنزل على تبنتين ليقطع الميرة عنها وعن صور ، وابن أخته حسام الدين بن لاجين  
الى نابلس ، فأتى حسام سبسطيه - وفيها قبر زكريا عليه السلام ، فأخذها من  
أيدي الصليبيين ، ثم واصل سيره الى نابلس فدخلها وحاصر قلعتها واستدرج

---

(١) العماد ، الفتح ، ص ٨٩ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٨٦ ،  
سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٩٤ - ٣٩٥ ،  
ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٠١ ، ابن تفريردي ، النجوم  
الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٥ ، ابن المبرق ، تاريخ مختصر الدول ،  
Lane-Poole, op cit. P. 219.

(٢) المقرئ ، السلوك ، ج ١ ، ص ٩٤ ، وضياء الله عيسى الهكاري هو  
الفتية أبو محمد عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد بن أحمد بن يوسف  
ابن القاسم . ينتهي نسبه الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه . كان  
أحد الأمراء الصلاحية أفضل الدين شيركوه ثم بابن أخيه صلاح الدين  
وخدمهما خدمة جليلة ، توفي سنة ٥٨٥هـ ( أنظر ابن خلكان ، وفيات  
الاعيان ، ج ٣ ، ص ٤٩٧ ) .



(١)  
من بها بالأمان ، وتسلم القلعة . كما قام الملك العادل في الوقت نفسه بمهاجمة  
المدن الساحلية في الجنوب ، فاستولى على حصن مجدل يابا ، ثم اتجه الى يافا  
(٢)  
وفتحها بعد حصار شديد .

وجه صلاح الدين همه بعد ذلك الى الاستيلاء على المعامل والمدن  
الساحلية في الشمال ، فبدأ بتبنيين التي كانت على حصانة كبيرة ، بدليل أن  
تقي الدين ابن أخي صلاح الدين الذي كان قد سبقه اليها ، رأى أن حصرها  
لا يتم الا بوصول عمه صلاح الدين اليه ، فأرسل يعلمه الحال ، ويحثه على الوصول  
اليه . فسار صلاح الدين اليها في ثامن جمادى الأولى ونزل عليها في جمادى  
عشر سنة ٥٨٣هـ / يولييه ١١٨٧م ، وضايقتها بالزحف والخناق . فلما ضاق  
الامر على من بداخلها الصليبيين ، راسلوا صلاح الدين يطلبون منه الأمان ،  
واستمهلوه خمسة أيام لينزلوا بأموالهم ، فأمرهم بعد أن أخذ رهائن من  
مقدميهم ، كما تقرّبوا اليه باطلاق الاسارى من المسلمين . فلما أخلى الصليبيون  
البلد تسلمها صلاح الدين ، ووفى لهم وسيّرهم الى ما منهم .  
(٣)

ولما فرغ صلاح الدين من تبنيين سار الى صيدا ، واجتاز في طريقه  
بصرفند ، فاستسلمت بدون قتال وواصل سيره الى صيدا ، التي ما أن صلح بها  
(٤)

- 
- (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٧٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٤٠ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ ، ابن المديم ، زبدة  
الجب ، ج ٣ ، ص ٩٧ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ١٠٦  
(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٤٠ - ٥٤١ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين  
ج ٢ ، ص ٧٨ ، سبط ابن الجوزى ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٥٩٣ ، المقرئ ، السلوك ،  
ج ١ ، ص ٩٤ - ٩٥ ، ومجدل يابا ويحدل ليابه قرية قرب الرملة فيها حصن  
محكم ( انظر يا قوت معجم البلدان ) .  
(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٤٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٠٥ - ١٠٦ ، المقرئ ، السلوك ، ج ١ ، ص ٩٥ ، ابن تغرى بردى ،  
النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٥ ، ابن المديم ، زبدة الجب ، ج ٣ ، ص ٩٧ .  
(٤) صرفند قرية من قرى صور على ساحل البحر المتوسط ( انظر يا قوت معجم البلدان ) .

بمسيره اليها حتى هرب منها ، وتركها بدون مدافع ، وجاءت رسله بمفاتيحها  
الى صلاح الدين ، فتسلمها في الحادي والعشرين من جمادى الاولى  
٥٨٣هـ / اواخر يولييه ١١٨٧م . ثم سار صلاح الدين حتى أتى بيروت ، التي  
وصفها ابن الاثير بأنها من أحسن مدن الساحل وأنزهها وأطيبها ، ووجد  
أهلها قد صعدوا على أسوارها . فبدأ هجومه عليها يوم الخميس الثاني والعشرين  
من جمادى الاولى ، وضايقها بالزحف والقتال ، فقاومه من بها من الصليبيين  
مدة ، ثم طلبوا منه الآمان ، فأمنهم ، وتسلمها منهم يوم الخميس التاسع  
والعشرين من الشهر نفسه ٥٨٣هـ / أوائل أغسطس ١١٨٧م .<sup>(١)</sup>  
<sup>(٢)</sup>  
<sup>(٣)</sup>

ولا شك أن المسلك المعتدل الذي سلكه صلاح الدين تجاه الصليبيين ،  
والقائم على اعطائهم الأمان متى طلبوه ، ساعده على الاستيلاء على كثير من  
المدن والموانئ الصليبيين الساحلية والداخلية . كما أدى ذلك الى  
احتفاظ تلك الموانئ الساحلية بعناصرها النشطة في الميدان التجارى ، مثل  
البندقة والجنوبه والبيازنة وغيرهم ، مما أدى الى استمرار رواج الحياة الاقتصادية  
في بلاد الشام . يضاف الى ذلك أنه لا يستبعد أيضا أن يكون صلاح الدين  
<sup>(٤)</sup>

(١) العماد ، الفتح ، ص ١٠٢ - ١٠٣ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٤ ،  
ص ١٠٦ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٩٧ ، ابن تقي  
بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٥ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٤٢ .

(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٨٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ،  
ص ٥٤٢ - ٥٤٣ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٠٦ ، العماد  
الفتح ، ص ١٠٤ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٩٧ ، ابن  
تقي بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٥ .

Lane-Poole, on. Cit , P. 219

(٤) أنظر سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨١٤ - ٨١٥ .

بما عرف عنه من مهارة في ميادين القتال . إلا أنه في الوقت الذي يعمل فيه  
 جاهدًا للسيطرة على هذه المدن والموانئ الساحلية ، قد وضع في اعتباره ،  
 تجنب انهماك جيشه وادخار قواه لاسترجاع بيت المقدس من أيدي الصليبيين .  
 ولعل مما يؤيد ذلك ما فعله صلاح الدين ، عندما اتجه بعد ذلك نحو  
 جبيل ، وتقدم إليه صاحبها الذي كان من جملة الأسرى في معركة حطين ،  
 يعرض عليه استمداه لتسليم جبيل مقابل إطلاق سراحه . فرأى صلاح الدين  
 أن ذلك سيريح من عناء القتال ، فاستحسنه من دمشق مقيداً ، فأمر حامية  
 جبيل بالتسليم ، فوافق من بداخلها من الصليبيين على ذلك ، واستولى صلاح  
 الدين عليها بدون قتال .  
 (١)

ولما فرغ صلاح الدين الاستيلاء على بيروت وجبيل وغيرها ، اتجه نحو  
 مدينة صور ، وفرض عليها حصاراً شديداً ، إلا أنه رأى أن أمرها غذا صعباً لما  
 تتمتع به من حصانة ، ففصل الاتجاه نحو مدن الجنوب ، واختار أن يبدأ بمدينة  
 عسقلان ، ذلك المركز الهام الذي طالما اتخذته الصليبيون قاعدة لتهديد مصر من  
 ناحية ، وقطع طرق المواصلات بينها وبين الشام من ناحية أخرى . فسار بمسكوه  
 نحو عسقلان ، واجتمع بأخيه العادل ، الذي خرج من مصر على رأس عسكرها .  
 (٢)

- 
- (١) ابن الأثير، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٤٣ ، العماد ، الفتح ، ص ١٠٨ ،  
 أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٩٠ .  
 (٢) ابن الأثير، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٤٥ ، ابن شداد ، النوادر السلطانية  
 ص ٨٠ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ ، ابن أيمن ،  
 الدواداري ، الدر المطلب ، ص ٥٤ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ،  
 ج ٢ ، ص ١١٧ .

ونازلها يوم الاحد الموافق السادس عشر من جمادى الآخرة سنة ٥٨٣هـ / أو آخر  
(١)

أغسطس ١١٨٧م • وتسلم في طريقه اليها مواضع كثيرة كالرملة وبيننا وغيرها •

وهنا يبدو أن صلاح الدين أراد أن يدخر قوته لاسترداد بيت المقدس • فضلا

عما ذكر من أنه أدرك أن عسقلان ربما اتعبته بسبب قوة حصانتها واصرارها بمقبتها  
(٣)

الصليبية على المقاومة • فلما حضر الملك جاي لوزجنان وجبرار مقدم الداوية من

دمشق • وقال لهما « ان سلمتا البلاد التي فلكما الأمان » فأرسلا الى من

بعسقلان من الصليبيين بأمرائهم بتسليم البلد • الا أنهم لم يستجيبوا لأمرهما  
(٤)

وردوا عليهم ردا قبيحا • فلما رأى صلاح الدين ذلك شرع في نصب المنجنقات

عليها • وبدأ قتالها والتضييق عليها • والملك جاي يكرر عليهم المراسلات

يطلب منهم التسليم • ويعد لهم أنه اذا أطلق أضرم البلاد نارا على المسلمين •

الا أنهم استمروا في مقاومة صلاح الدين • حتى نفذت مقاومتهم • فراسلوا

صلاح الدين • وطلبوا منه الأمان • فأمنهم وسلموا المدينة في نهاية جمادى  
(٥)

الآخرة ٥٨٣هـ / أوائل سبتمبر ١١٨٧م •

(١) ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ٨٠ • ابن الاثير • الكامل • ج ١١ •

ص ٥٤٥ • ابن واصل • مفرج الكروب • ج ٢ • ص ٢٠٩ • ابو شامة •  
كتاب الروضتين • ج ٢ • ص ٩١ •

(٢) ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ٨٠ • وبيننا بلدة قرب الرملة ( أنظر  
ياقوت معجم البلدان ) •

(٣) سعيد عاشور • الحركة الصليبية • ج ٢ • ص ٨١٧ - ٨١٨ •

(٤) ابن الاثير • الكامل • ج ١١ • ص ٥٤٥ • ابن واصل • مفرج الكروب •  
ج ٢ • ص ٢٠٩ •

(٥) ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ٨٠ • ابن الاثير • الكامل • ج ١١ •  
ص ٥٤٥ - ٥٤٦ • العماد • الفتح • ص ١١٢ - ١١٣ • ابو شامة •

كتاب الروضتين • ج ٢ • ص ٩١ • مفرج الكروب • ج ٢ • ص ٢٠٩ - ٢١٠ •  
ابن خلكان وفيات الاعيان • ج ٧ • ص ١٧٨ •

أما بالنسبة للملك جاي لوزجنان ، الذى خذله من بمسقلان —  
 الصليبيين ، بعدم تسليمها للمسلمين مقابل اطلاق سراحه ، فيذكر أنه  
 قد أرسل الى نابلس . وفى الوقت نفسه ، وافق صلاح الدين على ارسال رسالة  
 الى زوجته سبيل التى كانت تقيم فى بيت المقدس ، لدعوتها للحضور الى نابلس  
 للاقامة مع زوجها . وقد رحبت بتلك الدعوة ، وأسرت الى نابلس لتقيم الى  
 جانب زوجها الاسير جاي لوزجنان . أما جيران مقدم الداروية ، فيبدو أن صلاح  
 الدين قد أطلق سراحه نظير اداة له من معونة لا سيما حثه حامية غزه على  
 التسليم .  
 (٢)

وخلاصة القول أن صلاح الدين بانتصاره الحاسم على الصليبيين فى معركة  
 حطين وسيطرته التامة على مدن وموانئ الساحل الشامى ، ذلك الانتصار  
 الذى ذهب ضحيته معظم قادة الصليبيين وزهرة فرسانهم ، فضلا عما تكبدوه  
 خلال ذلك من خسائر مادية جسيمة ، لم يبق أمامه داخل مملكة بيت المقدس ،  
 سوى بيت المقدس نفسه ، الذى بات من بداخله من الصليبيين فى عزلة تامة عن  
 الغرب الأوروبى والامارات الصليبية الاخرى ببلاد الشام . وأصبح الطريق ممهدا  
 وسهلا أمام صلاح الدين لاسترداد بيت المقدس من الصليبيين .

(١) أنظر سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨١٩ ،  
 Lane-Poole, op. Cit P. 223.

(٢) ابو شامه ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٨٧ — ٨٨ ، سعيد عاشور  
 الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨١٨ .

## الفصل الرابع

- حصار واسترداد بيت المقدس .
- أحوال مملكة بيت المقدس بعد معركة حطين .
- استعدادات الصليبيين داخل بيت المقدس .
- خطة صلاح الدين العسكرية واستلام بيت المقدس .
- تسامح صلاح الدين في معاملته للأسرى الصليبيين .
- إرسال البشائر والوفود إلى أنحاء العالم الإسلامي .
- إصلاحات صلاح الدين في بيت المقدس .

## الفصل الرابع

### حصار واسترداد بيت المقدس

#### أحوال مملكة بيت المقدس بعد حطين :

اتجه صلاح الدين فور انتصاره في معركة حطين الى مدن الساحل الشامي ،  
فبدأ بالاستيلاء على عكا وما حولها من المعامل والقلاع التي كانت تمثل حلقة  
الاتصال بين الشرق والغرب بالنسبة للصليبيين في ذلك الحين . ثم اتجه بعد  
ذلك شمالا وجنوبا فأستولى على أهم المدن والمعامل الصليبية هناك ، مثل  
بيروت وصيدا وجبيل وعسقلان وغيرها . (١) وبذلك يمكن القول بأن صلاح الدين  
باستيلائه على الشريط الساحلي الممتد من بيروت شمالا الى غزة جنوبا قد  
حكم على مملكة بيت المقدس بالعزلة التامة ، فلم يعد بإمكان من بداخلها من  
الصليبيين الحصول على أية معونة من وطنهم الأم أي الغرب الأوربي . أما بالنسبة  
للمرتن طرابلس وانطاكية فلم يعد في مقدورهما - عقب استيلاء صلاح الدين  
على بيروت وصيدا وجبيل وغيرها - مد يد المساعدة الى مملكة بيت المقدس ،  
التي أحاطت بها القوات الاسلامية من كل جانب ، وبات استردادها مسألة  
وقت يختاره السلطان المنتصر صلاح الدين . (٢)

(١) أنظر ما سبق ، ص

Ehrenkreutz, Saladin, P. 204.

(٢)

وكان من نتائج معركة حطين ، قتل وأسر معظم القادة الصليبيين في بلاد الشام ، وزهرة فرسانهم • ولا شك أن تلك الهزيمة المعنوية التي حلت بالصليبيين في معركة حطين بنقذ قاداتهم ، فضلا عن ذلك النقص الملموس في فرسانهم ، كان لها الأثر البالغ على مستقبل مملكة بيت المقدس • فقد أمتت المملكة الصليبية في أشد الحاجة إلى زعماء أقوياء يعطون على إعادة تنظيم شتات جموعهم التي تجمعت داخل تلك المملكة • هذا بالإضافة إلى حاجة مملكة بيت المقدس في الدفاع عنها إلى الفرسان الذين كانوا يمثلون عماد الممارك في ذلك العصر •

يضاف إلى ذلك أن انتصار صلاح الدين في معركة حطين ، ثم استيلائه على مدن الساحل الشامي بعد ذلك ، قد كبد الصليبيين في بلاد الشام خسائر مادية جسيمة في العتاد والسلاح والفرسان ، خاصة إذا علمنا أن معظم عسكريهم عندما حلت بهم الهزيمة في حطين ، ونتيجة لشدة الحرارة والعطش ، نزلوا عن خيولهم والقوا أنفسهم على الأرض في يأس شديد وغنم المسلمون أسلحتهم وعتادهم • (١) وانعكس أثر ذلك على الدفاع عن مملكة بيت المقدس ، إذ لم يعد في مقدور تلك الجيوش الصليبية الحصول على شيء من السلاح والعتاد بأي حال من الأحوال بعد إغلاق الساحل الشامي في وجوههم • وذكر أبو شامة وابن خلكان أن الصليبيين الذين تجمعوا داخل مملكة بيت المقدس قاموا بعمل بعض التحصينات ، وأقاموا وسائل الدفاع عن بيت المقدس ، حيث



نصبوا المنجنيقات والستائر ، وحفروا فى الخندق حفرا عميقة لا عاقة المسلمين عن اجتيازه ، كما أقاموا الابراج العالية الاركان ، وفرقوا المساكر عليها .

( ١ )

والواقع أن تلك التحصينات التى أقامها الصليبيون حول بيت المقدس بعد هزيمتهم فى حطين ، لا تصل بأى حال من الأحوال الى المستوى الذى يمكنها من صد القوات الاسلامية فى ذلك الحين ، تلك القوات التى كانت تتمتع بقدر وافر من التنظيم والمؤن والاسلحة والعتاد ، فضلا عن تمتعها بروح معنوية عالية ، وقيادة حكيمة مكنتها من الاستيلاء على ذلك الشريط الساحلى الذى كان يسيطر عليه الصليبيون فى بلاد الشام فى مدة لا تزيد عن الشهرين . واستحاط على المملكة الصليبية فى بيت المقدس وصول أى امداد لها سواء من الغرب الأوروبى أو من الامارات الصليبية داخل بلاد الشام . أما صلاح الدين فقد ضمن خطوط تموين أمينة من كافة نواحي دولته ، خاصة بعد استيلائه على مدن الساحل الجنوبى للشام مثل عسقلان وغزة وغيرها ، وتمكن أيضا من ضمان وصول الامدادات اليه من مصر . واستأجج صلاح الدين حرمان مملكة بيت المقدس من الحصول على شىء من المساعدات عن طريق حصنى الكرك والشوبك اللذين كانا حتى ذلك الوقت فى أيدى الصليبيين .

( ٣ )

- ( ١ ) ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ص ٩٣ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٧ ص ١٨٤ .  
 ( ٢ ) أنظر Lane-Poole, op. Cit. P. 212 .  
 ( ٣ ) لم يتم استيلاء صلاح الدين على حصنى الكرك والهوبك ، الا بعد استرداد بيت المقدس وذلك فى رمضان من سنة ٥٨٤ هـ ( أنظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ص ٢٠ - ٢١ ، ابن واصل ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٢١٧ - ٢٢٨ ) .

والى جانب ذلك فان صلاح الدين باستيلائه على مدن الساحل الشامى ، وخاصة مدينة عكا ، التى كانت فى ذلك الحين تعد ميناء هاماً على البحر المتوسط ، قد فرض حصاراً اقتصادياً على الصليبيين داخل مملكة بيت المقدس . ولم يعد باستطاعتهم الحصول على الاقوات الكافية لهم عن طريق تلك المدن الساحلية من اخوانهم المسيحيين فى الغرب الأوربى أولئك الذين كانوا يدونهم بالاقوات والمواد الضرورية أما بقايا المراكز الصليبية فى بلاد الشام وهى انطاكية وطرابلس وصور ، فضلاً عن حصنى الكرك والشوبك ، فلم يعد بإمكانها امداد مملكة بيت المقدس بأية امدادات وأقوات <sup>أ</sup>عتاد ، بل يبدو أن هذه الامارات والقلاع الصليبية قد أخذت تعمل على زيادة تحصيناتها تحسباً لتعرضها لنفس المصير الذى تعرضت له بقية مدن وموانئ الساحل الشامى . كما لا يستبعد أن يكون حكام هذه الامارات والحصون الصليبية ، حرصوا على عدم اثاره صلاح الدين خوفاً من هجومه عليها .

ولم يقتصر ذلك التدهور الذى حل بمملكة بيت المقدس على الناحية الاقتصادية بل تعدى ذلك الى الناحية النفسية للصليبيين وأحوالهم الاجتماعية ، إذ لا شك أن تلك الكارثة التى حلت بالجيش الصليبي فى معركة حطين ، والتى ذهب ضحيتها معظم ذلك الجيش بين قتيل وأسير ، فكان — كما يقول المؤرخ ابن الأثير — " من يرى القتلى لا يظن أنهم أسروا واحداً ، ومن يرى الأسرى لا يظن أنهم قتلوا أحداً " <sup>(١)</sup> كان لها الأثر البالغ على الأسر الصليبية التى لجأت

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٧ ، أنظر أيضاً ، العماد ، الفتح ص ٨١ .

الى مملكة بيت المقدس بعد أن فقدت من كان يعولها ، الأمر الذي أوجد  
طائفة مشردة من النساء والاطفال داخل بيت المقدس ، تعاني حياة اجتماعية  
شاقة ، سببت كثيرا من المشاكل للصليبيين في ذلك الوقت .

#### استعدادات الصليبيين داخل بيت المقدس

ولجأت أعداد كبيرة من قلول الصليبيين بعد هزيمتهم في معركة حطين ،  
ومن ثم تدارى معظم مدن مملكة بيت المقدس في يد صلاح الدين الى بيوت  
المقدس . (١) ويبدو أن الصليبيين ظنوا أن لجوءهم الى بيت المقدس خير وسيلة  
لنجاتهم ، وذلك لما تتمتع به هذه المدينة من قدسية في قلوب المسلمين والمسيحيين  
على السواء ، فضلا عما عهدوه من تسامح صلاح الدين واحترامه للمقدسات . وهنا  
تذكر المصادر العربية أن عدد من تجمع من مقاتلي الصليبيين داخل بيت المقدس  
في ذلك الحين بلغ أكثر من ستين ألفا عدا النساء والصبيان . ورغم أن البعض  
قد اعتبر ذلك مبالغة تتعارض مع ما ذكرته المصادر الصليبية المعاصرة من نقص  
المحاربين في المدينة ، وأنه ربما كان السبب في تلك المبالغة هو الرغبة في  
إبراز قيمة العمل الذي قام به المسلمون بالاستيلاء على بيت المقدس . فأنه (٣)

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٤٦ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢١١ .

(٢) ابن واصل ، التاريخ الصالح ، ورقة ٢٠٤ أ ، ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٨١ ، العماد ، الفتح ، ص ١٢٤ ، أبو شامة ، الروضتين

ج ٢ ، ص ٩٢ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٦ .

(٣) أنظر ، سعيد طشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٢٠ .

تجدد الإشارة الى أن أعدادا كبيرة من جنود الصليبيين قد هربت بعد معركة  
 حطين ، كما أن صلاح الدين قد سلك مع الصليبيين ، أثناء استيلائه على  
 المدن والموانئ الساحلية ، سلكا كريما ، يقوم على إعطاء الصليبيين الأمان  
 متى طلبوه ، ومن ثم إعطاؤهم الحرية في اختيار المكان الذي يرغبون في  
 اللجوء إليه . وهذا ما حدث بالفعل في أكبر مدن الساحل ، مثل عكا وعسقلان  
 وبيروت وغيرها . وذكر ابن الأثير وابن واصل أن معظم الصليبيين الذين كانوا  
 يقطنون تلك المدن فضلوا الاتجاه إلى بيت المقدس التي كانت خير ملاذ لهم في  
 ذلك الوقت .<sup>(١)</sup>  
<sup>(٢)</sup>

ومهما يكن من أمر فإن هؤلاء الصليبيين الذين تجمعوا داخل بيوت  
 المقدس في ذلك الوقت ، كانوا يرون أن الموت أسير عليهم من أن يملك المسلمون  
 بيت المقدس ، فقاموا ببذل كل جهودهم لتحصينه ، وجمع الحشود توقفا لسيير  
 صلاح الدين إليه ، فحصنوه في تلك الأيام بكل ما لديهم من إمكانيات ، ونصبوا  
 المنجنيقات على السور لينموه ممن يريد النزول عليه والدنو منه ، ثم صعدوا  
 على سورهم بحدودهم وحديدهم مجمعين على حفظه ، والدفاع عنه ، فهم يعتقدون

---

(١) أنظر ما سبق ، ص

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٤٩ - ٥٥٠ ، ابن واصل ، مفرج  
 الكروب ، ج ٢ ، ص ٢١١ - ٢١٢ ، أنظر الباز المريني ، الشرق  
 الأدنى في العصور الوسطى ، ص ٩٤ .

(١) أن بذل النفس والأموال والأولاد بعض ما يجب عليهم في حفظه والذب عنه .

وكان صلاح الدين قد استقبل أمام عسقلان ، عقب استيلائه عليها ففى  
نهاية جمادى الآخرة سنة ٥٨٣هـ / سبتمبر ١١٨٧م ، وفدا من أهل بيـــــ  
المقدس ، فعرض عليهم تسليم بيت المقدس بالشروط التى استسلمت بقية المدن  
الصليبية ، أى مقابل تأمينهم على أرواحهم ونسائهم وأولادهم وأموالهم ، ويسمح  
لمن يشاء منهم بالخروج من المدينة سالما . ولا شك أن صلاح الدين بما عرف عنه  
من تدبئه وخلقه كان قلقا بشأن القيام بحصار تلك المدينة المقدسة ، واستخدام  
(٢)

الحنف ضد ها لما لها من حرمة عند المسلمين والمسيحيين على السواء . على  
الرغم من ذلك العرض الذى تميز بالشهامة العالية من صلاح الدين ، فإن  
وفد بيت المقدس رفض بلا تردد ذلك العرض وقالوا : « انه من أجل الله لــــن  
يسلموا المدينة حيث مات المخلص من أجلهم » ولذا وعدهم صلاح الدين  
(٣)  
بالاستيلاء على المدينة عنوه ، وأضاع الصليبيون فرصة نادرة لهم .

ولم تلبث تلك الحشود الصليبية التى تجمعت داخل بيت المقدس ، أن  
استقبلت أحد كبار القادة الصليبيين الذين فروا من معركة حطين ، ذلك هو  
باليان دى ابلين ) ( الذى أرسل الى صلاح

(١) ابن الأثير، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٤٧ ، المعاد ، الفتح ، ص ١١٩ ،

ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ٢ ، ص ٢١٢ .

(٢) سحيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩١٩ .

Lane-Poole, op. Cit. P. 225.

(٣)

الدين عقب انتصار المسلمين في حطين يبالغ منه أن يمنحه الأمان للوصول إلى بيت المقدس ليحضر زوجه وأولاده إلى صور • وفي الحال سمح له صلاح الدين بذلك • بعد أن اشترط عليه ألا يبقى بالمدينة سوى ليلة واحدة • وألا يرفع سلاحاً في مواجهة المسلمين • ووافق باليان على ذلك الشرط • واتجه إلى بيت المقدس • وما أن دخله حتى قوبل بترحاب كبير من الصليبيين • حيث لم يكن هناك أي فارس في مرتبته • وسمى من بداخل بيت المقدس من الصليبيين إلى اقتناعه بالبقاء في المدينة وتولى قيادتهم • وعثا حاول الاعتذار عن البقاء • وأخبرهم بأنه أقسم لصلاح الدين • وأنه لا يمكنه البقاء في بيت المقدس • ولكن البطريرك هرقل أقنعه بعدم الوفاء لصلاح الدين • وأنه أن ترك بيت المقدس على هذه الحال وذهب بعيد • فإنه سيكون محترقاً بين الصليبيين • أما صلاح الدين • فقد قابل تلك الخيانة من باليان بشهامة عالية • فلم يستنفذ صبره • بل سمح لباليان - الذي بحث إليه يخبره أنه كان مجبراً على عدم الوفاء بوعده - بنقل زوجه وأولاده إلى طرابلس • وأرسل إليه حامية من خمسين فرساً تحمل حاجياتهم • (٢)

وعلى كل فإن باليان أدى إلى بقى داخل بيت المقدس لمساعدة غيره من الفرسان الذين فروا من معركة حطين وغيرها • وكذلك البطريرك هرقل الذي

(١) Lane-Poole, op. Cit. P. 225.

(٢) Lane-Poole, op. Cit. P. 226. • أنظر أيضاً • ستيفن نسيان •

تاريخ الحروب الصليبية • ج ٢ • ص ٧٤٨ - ٧٤٩ •

فتح له الخزائن وأرسل يستصرخ بملوك الافرنج ويذكرهم بأن الموت بيت المقدس  
(١)  
خير لهم من تسليمه للمسلمين .

أما بالنسبة للمؤمن والعتاد اللازمة للمصليين في ذلك الوقت ، فإن  
سيطرة صلاح الدين على الضائف الساحلية لبلاد الشام ، قد حرم أشلاء مملكة  
بيت المقدس في الداخل أي امداد خارجي . ولم يكن ما في بيت المقدس  
من المؤمن والعتاد كافيا لمقاومتها مدة طويلة عند مسير صلاح الدين اليها ،  
لأن معظم ما كان بها من المؤمن والعتاد قد استنفده الجيش الصليبي الذي  
خرج لملاقاة المسلمين في حطين . فضلا عن أن صلاح الدين لم يكن يسمع  
المصليين بحمل شيء من السلاح والعتاد عند تسليم مدتهم مقابل تأمينهم  
والسطح لهم بالخروج منها ، بدليل ما ذكره ابن الاثير من أن صلاح الدين  
عند ما طلب منه أهل عكا ويبروت الآمان أجابهم الى ذلك ، وأمنهم على أنفسهم  
(٢)  
وأموالهم . ومعنى هذا أن صلاح الدين كان يستثنى الاسلحة والعتاد عند  
اعطائهم الآمان .

خطة صلاح الدين العسكرية واستسلام بيت المقدس :

وتجلت مقدرة صلاح الدين الحربية في تلك الخطة العسكرية التي اتبعها

(١) الخطط ، الفتح ، ص ١١٧ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص

١٩٣ ، ابن أيك الدواداري ، الدرالمطلوب ، ص ٨٤ ،

(٢) أنظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٣٩ ، ٥٤٣ .

في جهاده ضد الصليبيين لاسترداد بيت المقدس • وقامت تلك الخطة على  
تكوين جبهة اسلامية موحدة تضم مصر وبلاد الشام وأجزاء من العراق • ثم منازل  
الصليبيين في عقد ارضهم • وانزال ضربة قوية بهم كما حدث في معركة حطين • ولو  
وتلا ذلك مسيره الى مدن الساحل الشامي لاضعاف الصليبيين ماديا ومعنويا • ولو  
اتجه صلاح الدين عقب انتصاره في حطين الى بيت المقدس لتمكن من دخوله  
بدون عناء • الا أن استيلاءه على بيت المقدس قبل السيطرة على مدن الساحل  
لن يضمن له الاستقرار التام في بيت المقدس • إذ كان من المتوقع قيام الغرب  
الأوربي بإرسال الجيوش الصليبية الى موانئ الشام • ومجئ فرسانه زرافات  
ووحدا • والدخول مع صلاح الدين في معارك حامية لاسترداد بيت المقدس  
الذي به كنيسة القيامة لاعتقد هم الباطل كما يقول العماد الاصفهاني أن « فيها  
صلب المسيح • وقرب الذبيح وتجسد اللاهوت • وتأله الناسوت وقام الصليب » (١)  
وبفضل تلك الخطة العسكرية التي نفذها صلاح الدين بسيطرته على الشريط  
الساحلي • عزل بيت المقدس ومنع وصول الامدادات اليه • وقطع كل أمل  
للصليبيين سواء في الغرب الأوربي أو في بلاد الشام في الوصول الى بيت  
المقدس • وانقاذه من جيوش المسلمين •

ولما استرد صلاح الدين من الصليبيين عسقلان وغيرها من البلاد  
المحيطة ببيت المقدس • وضمن بذلك أحكام العزلة على مملكة بيت المقدس • شمر

---

(١) العماد • الفتح • ص ١١٩ • أنظر أيضا • ابن واصل • مفرج الكروب  
ج ٢ • ص ٢١٢ •



عن ساق الجذ والاجتهاد وعزم على قصد بيت المقدس • فأصدر أوامره واجتمعت  
(١)

عليه جميع المساکر الإسلامية التي كانت متفرقة في الساحل • وكانت تلك الحشود

العسكرية الإسلامية قد شاركت صلاح الدين في معركة حطين • واستغل صلاح

الدين تواجد ها في الشام قبل عودتها الى اقطاعاتها في السيطرة على مدن

وموانئ الساحل • وحرص صلاح الدين على أن يسبق مسيرة الى بيت المقدس

هالة اعلامية الى كافة أطراف العالم الاسلامي بقصد استنفار المسلمين للجهاد •

الأمر الذي ثارت معه عزائم المسلمين بالعزم على الجهاد والاشتراك في تطهير

تلك البقعة المقدسة أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى محمد صلى

الله عليه وسلم • وذكر ابو شامة وابن كثير أن المسلمين ما أن بلغهم ما من الله

به على صلاح الدين من فتوح الساحل الشامى • • ومن ثم قصد السير الى

بيت المقدس • حتى توافدوا عليه من كل مكان يتقدمهم العلماء والفقهاء الذين

(٢)

قدموا للتطوع في الجهاد لتصفية الوجود الصليبي من بلاد الشام •

ومن ناحية أخرى فقد استدعى صلاح الدين القوات المصرية أثناء قيامه

بالاستيلاء على الساحل لمساعدته في الاستيلاء على المدن والقلاع الجنوبية

(١) ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ٨١ • ابو شامة • كتاب الروضتين •

ج ٢ • ص ٩٢ • ابن خلكان • وفيات الاعيان • ج ١٢ • ص ١٢٨ • ابن

تخري بردى • النجوم الزاهرة • ج ٦ • ص ٣٦ • أنظر أيضا العماد •

التفح • ص ١١٦ •

(٢) ابو شامة • كتاب الروضتين • ج ٢ • ابن كثير • البداية والنهاية • ج ١٢ •

ص ٣٢٢ •

(١)

واجتمع بابنه الملك العزيز عثمان في عسقلان فقرب به عينه واعتصم به <sup>بعضده</sup> .  
 ويبدو أن صلاح الدين على الرغم من سيطرته التامة على مدن وموانئ الساحل  
 الشامي كان يتخوف من هجوم صليبي من الغرب ، أثناء تقدمه الى بيت المقدس  
 لذلك أمر الاساطيل الاسلامية المنصورة بالمسير للمشاركة في الجهاد ، فسارت  
 اليه من مصر يتقدمها الحاجب لؤلؤ ، وأخذت تجوب البحر وتقطع الطريق على  
 سفن الصليبيين ومراكبهم ، في الوقت الذي كانت فيه الامدادات تصل من مصر

(٢)

الى الشام برا وبحرا بكل سهولة .

وعندما علم صلاح الدين بأن مدينة بيت المقدس ، قد أخذت قسـطـا  
 وافرا من التحصين ، لما يتمتع به من مكانة عظيمة في نفوس الصليبيين ، حرص  
 على احضار أدوات الحصار الكافية لاقتحام أسوارها ذات الابراج العالية .  
 فأحضر معه المنجنيقات والمرادات والنقاطات والقطاعات وعدد النقـوـب  
 وغيرها من الادوات اللازمة لك الاسوار ونقبها ثم حشو تلك النقوب بالحطب  
 والنفط واشعال النيران فيها ، لفتح ثغرات في الاسوار يمكن من خلالها  
 اقتحام الاسوار ودخول المدينة .

(٤)

(١) العماد ، الفتح ، ص ١١٤ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٩٢ .

Lane-Poole, op Cit P. 226.

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٤٦ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ،

ص ٩٢ .

(٣) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٧ ، ص ١٨٤ .

(٤) العماد ، الفتح ، ص ٢٤٤ ، ابن ايبيك الدواداري ، الدرالمطـلـوب ،

ص ٨٥ .

ومعد أن جمع صلاح الدين تلك الحشود الاسلامية التي لبث للنداء  
للجهاد معه لاسترداد بيت المقدس ، وأحضر أدوات الحصار اللازمة ، فكر فى  
خطة لحصار بيت المقدس ، تقوم على أساس اختيار المكان والزمان الملائمين  
لذلك . ففى البداية اتخذ صلاح الدين موضعه فى الجانب الغربى فى مواجهة  
الاسوار من بوابة داود الى بوابة القديس ستيفن وذلك فى ١٥ رجب ٥٨٣هـ /  
٢٩ سبتمبر ١١٨٧م . ولا حظ أن هذه الجهة كانت على قدر كبير من الحصانة ،  
وأن الجيوش الصليبية قد تجمعت فيها بأعداد ضخمة . وأدرك أيضا أن اختيار  
المهجوم من تلك الجهة شاق للغاية لوجود الابراج الكبيرة . وأورد ابن فضل  
الله العمري فى مسالك الابصار وصفا لهذا الجانب من المدينة نقلا عن احدى  
رسائل القاضى الفاضل حيث يقول " وأتينا المدينة من جانب فاذا هو أودية  
عميقة ، ولحج وعرة غليظة ، وسور قد انعطفت عطف السوار ، وأبرجه قد نزلت  
مكان الواسطة من عقر الدار " . هذا بالإضافة الى أن صلاح الدين وجد أن  
الشمس كانت فى ذلك الحين فى أعين المسلمين ، الأمر الذى لا يستطيعون  
معه مواصلة القتال حتى بعد الظهر بسبب تعرضهم لاشعتها .

لذلك أمر صلاح الدين جيشه للتراجع وسحب آلات الحصار ، وبدأ  
من جديد يستكشف الجوانب الاخرى للمدينة ، ليختار جهة أخرى صالحة

(١) Lane-Poole, op. Cit. P. 226

(٢) العمري ، مسالك الابصار ، ج ٧ ، ورقة ٢٩٦ .

(٣) Lane-Poole, op. Cit. P. 226

للمهجوم • وهنا تذكر المصادر الاسلامية • أن صلاح الدين نقل جيشه فـى  
 ٢٠ رجب ٥٨٣هـ / ٢٥ سبتمبر ١١٨٧م الى الجهة الشمالية نحو باب عمود وكنيسة  
 صهيون لاتساع تلك المنطقة وتمكنه من كشف الاسوار • والدنو منها لنقبها •  
 (١)

ولم يبق أمام صلاح الدين الا أن يبدأ هجومه الكاسح على بيت المقدس  
 وقد ساعده على ذلك ما ذكر من أن الصليبيين عندما شاهدوا انتقال صلاح  
 الدين من الجانب الغربى الى الجانب الشمالى من المدينة • ظنوا أنه رفع  
 الحصار عن بيت المقدس • وأسرعوا الى الكنائس ليعبروا عن شكرهم والفرحة  
 والبهجة تعلقهم ولم تلبث تلك الفرحة أن تحولت الى عويل وبكاء عندما شاهد  
 الصليبيون المسلمين وقد أخذوا مراكزهم أمام الاسوار لضرهم بالمنجنيقات •  
 (٢)  
 وقامت خطة صلاح الدين لاسترداد بيت المقدس على أساس قيام المنجنيقات  
 الاسلامية بضرب الاسوار • وفى الوقت نفسه تتقدم فرق من الجيوش الاسلامية  
 للمضايقة بالزحف والقتال • تحميمهم سهام الرماة والحجارة والنيران الاغريقية •  
 وكانت جيوش صلاح الدين الزاحفة تضم بين صفوفها فرقاً من النقاين الذين  
 أوكل اليهم صلاح الدين مهمة نقب الاسوار وتعليقها أو حشوها واشعال النيران

(١) الحنبلى • شفاة القلوب • ورقة ٣٥ • ابن سعيد • الروض الممضوب •  
 ورقة ٣١ ب - ٣٢ أ • ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ٨٩ •  
 ابن الاثير • الكامل • ج ١١ ص ٥٤٧ • ابو شامة • كتاب الروضتين •  
 ج ٢ ص ٩٤ • ابن واصل • مفرج الكروب • ج ٢ ص ٢١٢ • ابن  
 خلكان • وفيات الاعيان • ج ٧ ص ١٨٤ •

(٢) Lane-Poole, op. Cit. P. 227

فيها لمساعدة المنجنيقات في هدمها وفتح الثغرات فيها لكي تتمكن الجيوش  
(١)  
الاسلامية من اقتحامها والسيطرة على المدينة •

أخذت جيوش المسلمين مراكزها في الجهة الشمالية من بيت المقدس •  
حيث نصبت المنجنيقات وغيرها من أدوات الحصار • وبدأ صلاح الدين هجومه  
على المدينة • وفي المقابل كان خيالة الصليبيين يخرجون الى ظاهر البلد  
فيقاتلون ويبارزون • فحمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد • فازالوا الصليبيين  
عن أماكنهم وأرغفهم على دخول البلد • وواصل المسلمون زحفهم حتى وصلوا  
الى الخندق فجاوزوه والتصقوا بالاسوار • وشرعوا في نقيبها • في وقت كان الرماة  
يطلقون سهامهم • والمنجنيقات توالي الرمي ليكشف العدو عن الاسوار •  
(٢)  
وظل النصابون في ظل تلك الحماية من الرماة والمنجنيقات والنيران الاغريقية  
يواصلون عملهم • وفي خلال يومين كان هناك ثلاثون أو أربعون موضعا قد نقت  
(٣)  
في الاسوار • وكان المسلمون يقومون بحشو تلك النقبوب بالأخشاب لاشمال  
(٤)  
النيران داخلها •

- 
- (١) ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ٨١ • ابن واصل • مفرج الكروب •  
ج ٢ • ص ٢١٢ •  
(٢) ابن واصل • مفرج الكروب • ج ٢ • ص ٢١٣ • ابن شداد • النوادر  
السلطانية • ص ٨١ • ابن الاثير • الكامل • ج ١١ • ص ٥٤٧ - ٥٤٨ •  
(٣) Lane-Poole. op. Cit. P. 227. •  
(٤) ابن الاثير • الكامل • ج ١١ • ص ٥٤٨ • ابن واصل • مفرج الكروب •  
ج ٢ • ص ٢١٣ •

وفي الوقت الذي اشتد فيه هجوم صلاح الدين على بيت المقدس ، كان هناك داخل المدينة بعض السكان اليونانيين يدعون بذهب الكنيسة البيزنطية ( المذهب الأرثوذكسي ) يتوقون إلى الخلاص من الحكم اللاتيني الصليبي (١) ولا يمثلون أية مشكلة لصلاح الدين . ويبدو أن تلك الطائفة التي كانت تدين بالمذهب الأرثوذكسي كانت على خلاف مرير مع بقية الطوائف الكاثوليكية ، وأن ذلك الخلاف بلغ بالفريق الأول أن نادى بأنه يفضل الحكم الإسلامي على سيطرة الكاثوليك الغربيين . ويشير البعض إلى تأمر هؤلاء الأرثوذكسي داخل بيت المقدس مع صلاح الدين ، وأن ثمة اتصالات سرية تمت بين الطرفين تعهد فيها الأرثوذكسي بفتح أبواب المدينة . (٢)

وعلى كل فإن الصليبيين لما رأوا شدة قتال المسلمين وتحكم المنجنيقات في الأسوار وتمكن النقايب من النقب ، وأنهم قد أشرفوا على الهلاك ، تراحم الناس في الكنائس للصلاة والاعتراف بذنوبهم . وأخذوا يضربون أنفسهم بالحجارة ويرجون المدد والرحمة من الله . وقطعت النساء شعور بناتهن على أمل استشارة الرجال لحمايتهن من سبى المسلمين لهن . وأخيرا اتفق الصليبيون على إرسال الرسل بطلب الآمان مقابل تسليم المدينة لصلاح الدين . وامتنع

(١) Ehrenkreutz, Saladin. P. 204.

(٢) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٢٠ .

(٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢١٣ .

صلاح الدين اجابتهم الى ذلك ، وقال « لا أفعل بكم الا كما فعلتم بأهلـه

(١)

حين ملكتموه سنة احدى وتسعين وأربعمائة من القتل والسبي وجزاء السيئة بمثلها »

فلما أعاد صلاح الدين رسل الصليبيين خائبين محرومين ، اجتمع الصليبيون

مرة أخرى داخل بيت المقدس ، وحاولوا القيام بهجمات مفاجئة ضد المسلمين .

ولكن البطريك هرقل اعترض على ذلك وأوضح لهم أنهم لو فعلوا ذلك فأنهم

سيسوقون نساءهم وأطفالهم الى المبودية ، وحرضهم على طلب الأمان من

(٢)

صلاح الدين . فأرسل باليان دي ابلين الى صلاح الدين طالبا الأمان لنفسه ،

ليحضر عنده للتفاوض ، فأجابه صلاح الدين الى ذلك . وحضر باليان عنده

وسأله الأمان للصليبيين ، فأصر صلاح الدين على فتح المدينة بالسيف ، فلما

يئس باليان من ذلك أراد — أن يستثير عطف صلاح الدين بالتهديد بقتل

النساء والأطفال وأسرى المسلمين ، حيث قال له « أيها السلطان ، اعلم أننا

في هذه المدينة خلق كثير لا يعلمه الا الله تعالى ، وانما يفترقون عن القتال

رجاء الأمان ظنا منهم أنك تجيبهم اليه ، كما أجبت غيرهم ، وهم يكرهون

الموت ويرغبون في الحياة ، فاذا رأينا لا بد منه فوالله لنقتل أبناءنا ونساءنا

ولنحرقن أموالنا وأمتعتنا ، ولا نترككم تفنمون منها دينارا واحدا ولا درهما ،

ولا تسبون وتأسرون رجلا ولا امرأة . واذا فرغنا من ذلك أخرنا الصخرة

(١) ابن الاثير، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٨٤ ، انظر أيضا العماد ، الفتح ، ص

والمسجد الأقصى ، وغيرهما من المواضع ثم نقتل من عندنا من أسارى المسلمين  
وهم خمسة آلاف أسير ، ولا نترك الرجل حتى يقتل أمثاله ونموت أعضاء أو نظفر  
(١)  
كراما .

واستشار صلاح الدين أصحابه ، فأوضحوا له أن يكفى للبر بقسمه  
أن يستولى على بيت المقدس ويحد السيف وأن تستسلم المدينة بشروط كأنها  
سقطت بالقتال ، وفى هذه الحالة يعتبر سكان المدينة أسرى حرب . فأجابهم  
صلاح الدين إلى الأمان مقابل تسليم بيت المقدس . ووافق على مفادرة الصليبيين  
المدينة مقابل فداء يدفعونه ، فجعل على الرجل عشرة دنانير يستوى فى ذلك  
(٢)  
الغنى والفقير وعلى المرأة خمسة دنانير . ويضيف كل من سبط ابن الجوزى  
والعماد الحنبلى أن صلاح الدين جعل على الصبي أربعة دنانير ، أما بالنسبة  
(٣)  
للطفل فقد اختلف فيما فرض عليه فذهب البعض إلى أن فديته دينار واحد ،  
(٤)  
(٥)

(١) ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٥٤٨ - ٥٤٩ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢١٤ ، أنظر أيضا العماد ، الفتح ، ص ١٢٦ ، أبو شامة ، كتاب  
الروضتين ، ج ٢ ، ص ٩٥ .

(٢) Lane-Poole, op Cit. P 229

(٣) الحنبلى ، شفاء القلوب ، ورقة ٣٥ ، ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٨١ - ٨٢ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٤٩ ، أبو شامة ، كتاب  
الروضتين ، ج ٢ ، ص ٩٥ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢١٤ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٩٧ ،  
المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٩٦ .

(٤) العماد الحنبلى ، شفاء القلوب ، ورقة ٣٥ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة  
الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٩٧ .



(١)

في حين يرى البعض الآخر أن هديته ديناران • ويبدو أن الرأي الأول أرجح

(٢)

بدليل اجماع المراجع الصليبية على ذلك • أما الفقراء والمعدمون فقد وافق صلاح

الدين على أن يدفع باليان مقابل إطلاق سراحهم • مبلغا اجماليا قدره ثلاثون

ألف دينار • وحدد صلاح الدين لبايان مدة أربعين يوما • فمن أدى فديته

خلالها أطلق سراحه • ومن بقي بعدها صار مملوكا • وسلمت المدينة يوم الجمعة

(٣)

٢٧ رجب ٥٨٣هـ / ١٢ أكتوبر ١١٨٧م •

وذكر أبو شامة نقلا عن العماد في البرق الشامي أن الصليبيين عقيب

توقيع اتفاقية التسليم • شرعوا في إخلاء البيوت • وبيع ما ادخروا من الأثاث

والأقوات بأرخص الأثمان • وكان خروجهم • شبيها بالمجان • لاسيما ما

تعذر نقله وصعب حمله • وكانوا كما قال الله تعالى ( كم تركوا من جنات وعيون

(٤)

وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك أورتناها قوما آخرين ) •

(١) الحنبلي • شفاء القلوب • ورقة ٣٥ • ابن الاثير • الكامل • ج ١١ • ص

٥٤٩ • أبو شامة • الروضتين • ج ٢ • ص ٩٥ • المقريزي • السلوك

ج ١ • ص ٩٦ •

(٢) أنظر سعيد عاشور • الحركة الصليبية • ج ٢ • ص ٨٢٢ حاشية •

(٣) ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ٨٢ • ابن الاثير • الكامل • ج ١١ •

ص ٥٤٩ • ابن واصل • مفرج الكروب • ج ٢ • ص ٢١٤ • أبو شامة • كتاب

الروضتين • ج ٢ • ص ٩٥ • سبط ابن الجوزي • مرآة الزمان • ج ٨ • ص ١ •

ص ٣٩٧ • العماد • الفتح • ص ١٢٨ •

(٤) سورة الدخان آية ٢٥ • أبو شامة • كتاب الروضتين • ج ٢ •

ص ١١٤ •

### تساح صلاح الدين في معاملته لأسرى الصليبيين :

ودخل المسلمون بيت المقدس بعد توقيع اتفاقية التسليم واستولوا على المدينة . وشاءت الصدفة أن وافى دخولهم بيت المقدس في ٢٧ رجب سنة ٥٨٣هـ / ليلة الاسراء والمصراع المنصوص عليها في القرآن الكريم ، تلك الليلة التي أسرى فيها بنينا محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى وعرج به الى السماء . (١) وتقدم صلاح الدين وتسلم حامية المدينة ، ومن ثم ظهرت الاعلام الصفراء شعار الايوبيين المنتصرين على أسوار المدينة لثلاثة ايام اذ انا بالسيطرة الكاملة عليها . (٢) ووفى صلاح الدين بوعده فسمح عن دفع القطيعة بالخروج ، وكان قد رتب على كل باب أميراً مقدماً كبيراً يحصر الخارجين ، فمن دفع الفدية خرج . (٣) وبالرغم من تلك القطيعة الزهيدة التي فرضها صلاح الدين مقابل خروجهم من بيت المقدس ، وتأمين وصولهم الى ما منهم ، فان كثيراً منهم لم يستطيع دفعها فداءً لنفسه ، وأصبح بعد مضي أربعين يوماً أسيراً في أيدي المسلمين ، ولم يسهم أحد من أغنياء الصليبيين في فداء فقراءهم ، فقد خرج

(١) الخبلى ، شفاء القلوب ، ورقة ٣٥ ، ابن سعيد ، الروض المهبوب ، ج ٢ ، ورقة ١٣٢ ، العهد ، الفتح ، ص ١٣٠ ، ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٨٢ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٩٧ ، ابن تفرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٦ ، ابوشامه ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٩٢ ، أنظر أيضاً ، سعيد عاشور ، الناصر صلاح الدين ، ص ٢٠٤ .

(٢) Ehrenkreutz, Saladin. P. 205

(٣) ابوشامه ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٩٥ .

(١)  
البطريك هرقل من بيت المقدس بخزائنه الضخمة دون النظر الى غيره \* ويبدو  
أن ذلك كان بسبب العداوة الروابط الاسرية وغيرها بين الصليبيين في ذلك  
الوقت \* فالأسرى كانوا خليطاً من أجناس وشعوب أوربية متباينة \* وأجناد من  
الغزاة المأجولين الذين رغبوا في السفر الى الشرق تخلصاً من رقب الأرض الساءة  
وقد ذاك في المجتمع الأوربي \* (٢)

والخلاصة أن ذلك الموقف المخزى من كبار الصليبيين \* وتلك الشهامة  
وذلك التسامح من صلاح الدين قد أجبر الكاتب الانجليزي لين بول  
اعجابه بصلاح الدين حيث قال بعد أن تهجم على البطريك « انها كانت فرصة  
للملك المسلم أن يعلم المسيحيين معنى التسامح » (٣)

وقد برهن صلاح الدين وغيره من أمراء المسلمين على تلك الشهامة  
والتسامح عندما أصبح آلاف المدينيين الصليبيين الذين عجزوا عن دفع الفدية  
المقررة أسرى في يد صلاح الدين \* فتقدم الملك العادل الى أخيه السلطان  
صلاح الدين يطلب منه أن يهب له ألفاً من أولئك الصليبيين الفقراء ليطلق  
سراحهم لوجه الله \* وأجابه صلاح الدين الى ذلك \* وحرك ذلك العمل  
الانسانى الذى قام به الملك العادل مشاعر البطريك وباليان فتقدم الى صلاح  
الدين وطلبها منه مثل ذلك \* فأعطاها صلاح الدين ما طلباه وأطلق سراحهم \*

---

Ehrenkreutz, Saladin. P. 205.

(١) ع

(٢) نظير حسان سعداوى \* جيش مصر \* ص ٦٩ \*

Lane-Poole. op Cit. P 231 .

(٣)

ثم تقدم صلاح الدين وأمر حراسه بالمناداة في شوارع بيت المقدس بأنه سوف يطلق سراح من لم يستطع دفع الفدية من الصليبيين لكبر سنه ، وأن على هذه الطائفة أن تتقدم من الباب الخلفي للمدينة ليسمح لها بالخروج من طلوع الشمس إلى الليل . وما إن صدر ذلك الاعلان حتى توافد الصليبيون على ذلك الباب بأعداد لا تحصى <sup>(١)</sup> وطلب أمير البيرة اطلاق سراح زهاء خمسمائة أرمني ، ذكر لصلاح الدين أنهم من بلدة ، وإن قد ومهم إلى بيت المقدس كان من أجل العبادة هناك ، كما طلب أيضا الأمير مظفر الدين على كوجك اطلاق سراح زهاء ألف أرمني أدى أنهم من الرها ، فأجابهما صلاح الدين إلى ذلك وأطلق <sup>(٢)</sup> سراحهم .

ولم يقتصر ذلك التسامح من المسلمين على ما أقام به صلاح الدين وأخوه الملك العادل وكبار الأمراء المسلمين ، بل تعدى ذلك إلى عامة المسلمين ، فيذكر العماد وابن واصل أن بعض المسلمين قد لبسوا الصليبيين زي الجنود المسلمين وأخروهم من بيت المقدس ، كما استوهب جماعة من صلاح الدين عددا من الصليبيين فوهبهم لهم وأفرج عنهم <sup>(٣)</sup> .

والواقع أن صلاح الدين قد أبدى من التسامح وكرم الاخلاق تجاه أسرى الصليبيين في بيت المقدس الشيء الكثير . وبلغ من كرم وشهامة صلاح الدين

(١) Lane-Poole. Op. Cit. P. 232

(٢) العماد ، الفتح ، ص ١٢٨ - ١٢٩ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ،

ج ٢ ، ص ٢١٥ .

(٣) العماد ، الفتح ، ص ١٢٨ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص

٢١٥ .

ما قام به تجاه زوجات عربات الفرسان الصليبيين ، الذين قتلوا وأسروا أثناء معاركهم مع صلاح الدين . فقد تجمع من أمام صلاح الدين يكيين ، فسان عن حالهن وما يطلبن ، فقيل له انهن يطلبن الرحمة ، فعطف عليهن صلاح الدين وسمح لمن كان زوجها على قيد الحياة بأن تتعرف عليه ، وأطلق سراحه ، وسمح لهم بالذهاب حيث يريدون . أما النساء والبنات اللاتي مات أزواجهن وآبائهن فقد أمر صلاح الدين بأن يصرف لهن من خزانته الخاصة ما يناسب عيشتهم — ومركزهن واعطاهن حتى ابتهلت السننهن بالدعاء له . وكان على رأس هؤلاء النسوة زوجة الملك المأسور جاي لوزجان التي كانت مقيمة ببيت المقدس مع الخدم والحشم ، فلما كانت صلاح الدين في اللحاق بزوجها الذي كان مقيما في برج نابلس ، فاذن لها ، وتوجهت اليه وأقامت معه . وحضرت الى صلاح الدين امرأة ارناط الذي قتله صلاح الدين في حطين ، وطلبت من السلطان المسلم اطلاق سراح ابنها المأسور ، فأجابها الى ذلك بشرط تسليم حصن الكرك له ، فسارت اليه وامتنع من بداخله من الصليبيين عن تسليمه ، فأبى أن يطلق صلاح الدين ابنها ، ولكنه أكرمها وسمح لها بالسفر بمالها ومن يتبعها .

واحترم صلاح الدين مشاعر المسيحيين ، فعندما أشار بعض المسلمين عليه عقب دخوله بيت المقدس بهدم كنيسة القيامة ، وازالة آثارها وقبورها

(١)

(٢) العماد ، الفتح ، ص ١٢٨ — ١٢٩ / الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٥٠ —

٥٥١ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٩٦ ، وابن واصل ،

مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢١٦ .

« اذا هدمت بنايتها ، والحققت بأسافلها أعاليها ، ونهبشت المقبرة وعفيت ،  
وأخذت نيرانها وأطفيت ، ومحيت رسومها ونفيت ، انقطعت عنها امداد الزواره  
وانحسرت عن قعرها مواد اطماع أهل النار ، ومهما استمرت العمارة ، استمرت  
الزيارة » بينما أشار عليا البعض بأنه « لما فتح أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه  
القدس في صدر الاسلام أقرهم على هذا المكان ولم يأمرهم بهدم البنيان » (١)  
فأعرض صلاح الدين بتسامحه عن هدمها . (٢)

وتشعر بعض المسيحيين الى صلاح الدين ليسمح لهم بالبقاء داخل  
بيت المقدس بعد أدائهم الفدية المقررة عليهم ، وتعهدوا له بالألأ يزعموا أحدا ،  
وأن يقوموا بالخدمة داخل المدينة . فوافق صلاح الدين على ذلك ، واشترط  
عليهم شروطا قابلوها بالالتزام والقبول ، وأعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ،  
وعملوا معايلة أهل الذمة ، فأصبح لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم من الحقوق  
(٣)  
والواجبات .

وهكذا أبدى المسلمون الرحمن نحو المدينة التي سقطت في أيديهم .  
وإذا استعاد الانسان ذكرى دخول الصليبيين بيت المقدس سنة ١٠٩٩م عندما  
نشر جود فرى وتأنكد الموت في الشوارع ، وعندما أغرق المدافعون المسلمون  
وأحرقوا والقوا في بحار من الدماء ، حيث كان الصليبيون يخوضون حتى كموسهم

(١) العماد ، الفتح ، ص ١٤٥ - ١٤٦ .

(٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٣١ .

(٣) العماد ، الفتح ، ص ١٣٦ .

(١) في دماء القتلى ، فضلا عما قاموا به من نهب وسلب وسبي ، فانه يدرك الفرق الشاسع بين تسامح صلاح الدين ووحشية القادة الصليبيين - اذ يتضح مدى تمسك صلاح الدين بمبدأ التسامح واحكام الشريعة الاسلامية السمحاء ، وبمعداه كل البعد عن تحكيم عواطفه وأهوائه تجاه الصليبيين الذين لم يعش على ارتكابهم تلك الجريمة الشنعاء قرن من الزمان .

وشهد الأوروبيون بكرم أخلاق صلاح الدين وسماحته فذكر أحد هم أن المسلمين عند استردادهم بيت المقدس اتصفوا بالاستقامة الانسانية ، فبينما كان الصليبيون منذ حوالي ثمانين سنة تقريباً يخوضون في دماء ضحايا المسلمين ، لم تتعرض عند استرداد المسلمين لبيت المقدس دار من الدور لاي اعتداء ، ولم يحل بأحد من الأشخاص مكروه ، بل صار رجال الشرطة - بناء على أوامر صلاح الدين - يذيفون بالشوارع والأبواب يمنعون كل اعتداء على الصليبيين . (٢)

### ارسال البشائر والوفود الى أنحاء العالم الاسلامي :

وصل صلاح الدين باسترداد بيت المقدس الى قمة المجد السياسي والمعكري وأخذت أخبار ذلك الحدث تنتشر في أنحاء العالم الاسلامي ، فقد سارع صلاح الدين بارسال البشائر باسترداد بيت المقدس الى الخليفة المباسي

(١) أنظر أيضا ، كتاب أعمال الفرنجة ، ترجمة حسن حبشي ص ١١٨ -

(٢) أنظر ويسمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٢٥ .

فى بغداد والى مختلف الامراء والحكام المسلمين • وذكر ابو شامه نقلا عن العماد  
 الاصفهاني الذي لم يخضر الفتح لمرض ألم به • أنه لما سمع وهو بد مشق نزول  
 السلطان صلاح الدين على بيت المقدس شفى من مرضه • وتوجه اليه • فوصل  
 عنده يوم السبت ثانى يوم الفتح • يقول العماد • « وطعلت عليه صباحا فاستبشر  
 بقدمي • وخلق على البشير قبل رؤيتي • وكان أصحابه يطالبونه بكتب البشائر  
 ليضربوا بها ويشرقوا وهو يقول لهم لهذه القوس بار • ولهذه المأذبة قار •  
 قال فكتبت فى ذلك اليوم سبعين كتابا بشارة • كل كتاب بمعنى بديع وعبارة •  
 فمنها الكتاب الى الديوان العزيز ببغداد افتتحه بهذه الآية ( وعد الله  
 الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين  
 من قبلهم • ليمكنن لهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم  
 أمنا ) • كما أرسل أيضا الى الامبراطور البيزنطى اسحق انجيلوس يشره بذلك  
 ( ٢ )  
 النصر العظيم •

واستقبل صلاح الدين رسل ووفود الملوك والامراء المسلمين من سلاجقة  
 ( ٣ )  
 الروم وخراسان والعراق • لتهنئته بما خصه الله به من نصر عظيم • كما أن  
 المسلمين عندما سمعوا باسترداد بيت المقدس • وفدوا للزيارة • من كل فج

( ١ ) سورة النور آية ٥٥ • ابو شامه • كتاب الروضتين • ج ٢ • ص ٩٦ •

أنظر أيضا العماد • الفتح • ص ١٣١ •

Ehrenkreutz, Saladin. P.205.

( ٢ )

( ٣ ) ابو شامه • كتاب الروضتين • ج ٢ • ص ١٢٠ • ابن واصل • مفرج الكروب •

ج ٢ • ص ٢٤٨ •



(١)

عميق وسلوكوا اليه في كل طريق ، وأحرموا من البيت المقدس الى البيت العتيق »  
 وجلس صلاح الدين بالمخيم ظاهري بيت المقدس للقاء الأكابر والامراء والعلماء الذين  
 أتوه من كل حدب وصوب لزيارة بيت المقدس ، وتمنته بما أفرد به الله به —  
 (٢)  
 الفضيلة باسترداد بيت المقدس من الصليبيين .

ولما كان يوم الجمعة رابع شعبان ٥٨٣هـ / ٩ أكتوبر ١١٨٢م حضر  
 المسلمون باعداد هائلة الى الحرم الشريف ، ففض بالزحام وامتلات عراصمه  
 وصحونه بالخلائق ، وخشعت الاصوات ووجلّت القلوب ، وارتفعت الأيدي بالشكر  
 والدعاء ، وكان جماعة من أكابر علماء المسلمين قد رشحوا أنفسهم للخطبة فسي  
 هذا المسجد العظيم ، وتأهبوا لذلك بتأليف الخطب الجليلة الرائعة ، ومنهم  
 من عرض لصلاح الدين ومنهم من صرح ، وهو ساكت لا يبدى سره حتى حان  
 وقت الصلاة ، فأوعز الى القاضي محيي الدين الزكي وقدمه لهذا الأمر ، فرقى  
 المنبر بالأهبة السوداء العباسية ، وخطب خطبة بدعية بليغة دعا فيها  
 (٣)  
 للخليفة الناصر العباسي والسلطان صلاح الدين .

- (١) العماد ، الفتح ، ص ١٣٤ ، أنظر أيضا ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ،  
 ج ٢ ص ٩٦ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٢١٨ ، المقرئ ،  
 السلوك ، ج ١ ص ٩٧ .  
 (٢) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ص ٩٦ .  
 (٣) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ص ١٠٨ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ،  
 ج ٢ ص ٢١٨ — ٢١٩ ، المقرئ ، السلوك ، ج ١ ص ٩٧ ، والقاضي  
 محيي الدين الزكي هو أبو المعالي محمد بن أبي الحسن علي بن محمد بن  
 يحيى ، ينتهي نسبه الى الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، لقبه محيي  
 الدين ويعرف بابن زكي الدين ، كان فقيها أدبيا ولاء صلاح الدين —  
 القضاء بحلب ، ثم بد مشق توفي سنة ٥٩٨هـ . ( أنظر ابن خلكان ، وفيات  
 الأعيان ) ج ٤ ص ٢٢٩ — ٢٣٠ .

## اصلاحات صلاح الدين في بيت المقدس :

ثم قام صلاح الدين بإزالة ما استحدثه الصليبيون من الابنية والأسوار في بيت المقدس ، فقد أقام فرسان الداوية غرب المسجد الأقصى أبنية للسكنى ، وأدخلوا بعض الأقصى في أبنيتهم ، وبنوا على وجه المحراب جدارا وتركوه مخزنا للنفلة ، وقيل اتخذوه مستراحا قاصدين بذلك طعن الاسلام والمسلمين .  
كما بنوا على الصخرة المقدسة كنيسة وستروها بالابنية ، وملأوها بالصورة ، ونصبوا عليها مذبحا ، وعينوا بها مواضع للرهبان . كما أقاموا على رأس قبة الصخرة صليبا كبيرا وغير ذلك ، حتى غيروا معالمها . وقام الطامعون منهم بقطع قطع منها ويضعها في أسواق القسطنطينية ، وجزيرة صقلية بوزنها ذهبا .  
(١)

فلما كان يوم الجمعة في شعبان ٥٨٣هـ / ٩ أكتوبر ١١٨٧م وهي الجمعة التالية للجمعة التي دخل فيها المسلمون بيت المقدس ، أمر صلاح الدين بإزالة ما استحدثه الصليبيون من الابنية والأسوار ، وكشف الجدار الساتر للمحراب ، كما أمر بإزالة ما استحدثوه على قبة الصخرة المقدسة من مبان وصور .  
ثم أمر الفقيه ضياء الدين الهكاري بأن يكون أمينا عليها وأدار عليها شبابيك من حديد . أما بالنسبة للصليب الذهبي الذي أقامه الصليبيون على قبة الصخرة ،  
(٢)

- (١) العماد والفتح ، ص ١٣٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٥١ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٠٩ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ .  
(٢) العماد والفتح ، ص ١٤١ - ١٤٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ - ٢٢٩ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ١١٣ - ١١٤ ، ابن ابيك الدواداري ، الدر المطلوب ، ص ٨٩ - ٩٠ .  
(٣) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١ ، ص

فيذكر ابن واصل أن المسلمين ما أن دخلوا البلد حتى تسلق جماعة منهم السي  
أعلى القبة واقتلعوا الصليب الذي سقط وعند ذلك " صاح الناس كلهم صوتا  
واحدا " من البلد ومن ظاهره " المسلمون والفرنج " أما المسلمون فكبروا فرحا  
(١)  
وأما الفرنج فصاحوا توجعا وتفجعا " .

ولما فرغ صلاح الدين من إزالة ما استحدثه الصليبيون داخل بيت المقدس  
بدأ بحجارة المسجد الأقصى " فبذل جهدا كبيرا في توسيعه وتحسينه وترصيفه  
وتدقيق نقوشه " فأحضر له من الرخام ما لا يوجد مثله " ومن الفس المذهب  
القسطنطيني وغير ذلك من المواد اللازمة للترتين ما لا يمكن وصفه " وشرع في  
(٢)  
عماره " وتزيينه وإزالة ما على جدران من الصور والتماثيل .

وخص صلاح الدين المحراب باهتمام كبير " فعمل على ترخيمه وتزيينه " وأقام به أول الأمر منبرا رسميا إلا أنه رأى أن ذلك يحتاج إلى عمل منبر لائق  
بمكانة بيت المقدس " فأمر بإحضار منبر كان نور الدين محمود - الذي كانت  
اطماعة متعلقة باسترداد بيت المقدس - قد أنشأ لهذا الغرض " حيث  
طلب من نجار حلبى أن يعمل له منبرا لبيت المقدس وقال " اجتهد أن تأتى  
به على أحسن نعت يمكن وأحكمه " فجمع الصنائع وبالف في إتقانه وصنمته وأتمه  
(٣)

(١) ابن واصل " مفرج الكروب " ج ٢ ص ٢٢٢ .

(٢) ابن الأثير " الكامل " ج ١١ ص ٥٥٢ .

(٣) ابن واصل " مفرج الكروب " ج ٢ ص ٢٢٨ " أنظر أيضا أبو شامة " .

كتاب الروضتين " ج ٢ ص ١١٢ .

في سنتين • وحادث أن أحرق جامع حلب في الأيام النورية فنصب ذلك المنبر فيه • ولما تمكن صلاح الدين من استرداد بيت المقدس من الصليبيين أمر بحمل ذلك المنبر إلى بيت المقدس ونصب في المحراب • ثم أمر صلاح الدين بعمل لجامع حلب محراباً ومنبراً مشابهاً لذلك •  
(١)

ويدل هذا العمل على مدى إخلاص صلاح الدين لآلافه الزكيين الذين بذلوا الكثير لتحقيق الوحدة الإسلامية • تمهيداً لاقتلاع الوجود الصليبي في بلاد الشام • كما أن ذلك يدل على أن صلاح الدين عند ما قضى على دولة الزنكيين التي سادها الضعف والوهن عقب وفاة نور الدين محمود • وتولى ابنه الصغير الملك الصالح اسماعيل • لم يكن يقصد بذلك سوى مواصلة المسيرة والاستعداد للجهاد ضد الصليبيين لازالتهم واسترداد بيت المقدس منهم •

وعلى كل فإن عناية صلاح الدين وغيره من الأمراء ببيت المقدس لم تقف عند هذا الحد • بل تنافسوا في تزيينه وتنظيفه فقد • تقدم السلطان قسطنطين المسجد الأقصى ببسط العرائس • وإصلاحها لأهل الإخلاص • وتنظيفها من الأتربة • وكس ما في أرجائها من الأرجاس • وأحضر الملك المنظر تقى الدين عمر إلى قبة الصخرة أحمالاً من ماء الورد • وتولى بيده كس ساحتها •  
(٢)

(١) ابن واصل • مفرج الكروب • ج ٢ • ص ٢٢٨ • المقرئ • السلوك • ج ١ ص ٩٢ •

(٢) أبو شامة • كتاب الروضتين • ج ٢ • ص ١٠٩ • والعرائس • مفردهما عرصه • وعروة الدار وسطها • وقيل هو ما لا بناء فيه (أنظر ابن منظور • لسان العرب • ج ٨ • ص ٣١٩) •

وعراسها ، ثم غسلها بالماء مرارا حتى تطهرت ، ثم أفاض عليها ماء الورد ، وطهر  
 حيطانها ، وغسل جدرانها ، ثم بنجرها بمجامر الطيب . وجاء الملك الأفضل  
 نور الدين علي بن صلاح الدين \* بكل نور جلى وكرم ملى ، وسطبها الصنيعة ،  
 وفرش فيها البسط الرفيعة (١) . كما قام المسلمون بكس عراض المسجد وتنظيفها  
 (٢)  
 ثم فرشها بالبسط عوض الحصر والبوارى ، وعلقت القناديل وصفت السجادات .

ويحد أن أنهى صلاح الدين تطهير بيت المقدس مما علق به من آثار  
 الصليبيين ، رتب في المسجد الأقصى وقبة الصخرة وغيرها من المساجد داخل  
 بيت المقدس الخطباء والأئمة والمؤذنين والقومه ، وأحضر اليها المصاحف  
 والرمات . كما قام صلاح الدين بإنشاء المدارس والأربطة ، فجعل كنيسة  
 صند حنه مدرسة للفقهاء الشافعية ، وعين دار البطريك رباطا للفقراء ، وأوقف  
 (٣)  
 على ذلك أوقافا جليلة .

وكان لاسترجاع صلاح الدين لبيت المقدس من أيدي الصليبيين أهمية  
 خاصة بالنسبة لصلاح الدين ومكانته بين أبطال المسلمين حتى أنه يمكن القول  
 أنه إذا كان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد طهر بيت المقدس  
 من براثن الروم في السنة الخامسة عشر للهجرة ، فإن صلاح الدين أعاد تلك  
 (١) العماد ، الفتح ، ص ١٤٣ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١١٤  
 ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ .  
 (٢) العماد ، الفتح ، ص ١٣٧ ، البوارى : الحصر المنسوج ( أنظر  
 العماد ، المصدر نفسه ، ص ١٣٧ حاشية )  
 (٣) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١١٤ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ،  
 ج ٢ ، ص ٢٣٠ ، ابن أبيك الدوادارى ، الدر المطلب ، ص ٩٠ ، المقرئ  
 السلوك ، ص ٩٧ .

الذكرى في القرن السادس الهجري بعد أن تعرض بيت المقدس لذلك الاعتداء الصليبي الذي استمر ما يقارب المائة عام • ووضع صلاح الدين بذلك العمل الجليل الأساس لمن بعده من سلاطين المسلمين للقضاء على بقايا الصليبيين في بلاد الشام •

XX

## الفصل الخامس

فشل الحملة الصليبية الثالثة في إسترجاع بيت المقدس.

- نتائج وآثار استرداد صلاح الدين لبيت المقدس في الغرب الأوربي

- الحملة الصليبية الثالثة ودخول الصليبيين على سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م

- معركة أريوف وفشل ريتشارد قلب الأسد في استرجاع بيت المقدس.

- انتصار صلاح الدين وصلاح الرملة سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م

## الفصل الخامس

### فشل الحملة الصليبية الثالثة في استرجاع بيت المقدس

~~~~~

#### نتائج وآثار استرداد صلاح الدين لبيت المقدس في الغرب الأوربي :

حقق صلاح الدين في سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م انتصارات عظيمة ضد الصليبيين ، سيطر خلالها على معظم أنحاء مملكة بيت المقدس ، ما عدا مدينة صور التي وصفها المؤرخون المسلمون بأنها مدينة حصينة متوسطة في البحر كأنها سفينة ، ليس لها طريق إلى البر إلا من مكان واحد له سبعة أبراج (١) فضلا عما كانت تتمتع به من أسوار منيعة وأبراج عالية قد امتلأت بالصليبيين المهاريين اليها بسبب الأمان الذي منحه صلاح الدين للصليبيين ، مقابل تسليم مدنها لهم (٢) .

وإذا كان الصليبيون قد فقدوا في معاركهم ضد صلاح الدين معظم زعمائهم وقادتهم الذين وقعوا بين قتلى وأسرى فإنه قد ظهر بينهم بعض القادة الأكفاء الذين تولوا مهام أوروبية خاصة كونراد مونتفات (Conrad de Montferat) الذي وصفه ابن شداد بقوله « انه كان رجلا عظيما ذا رأى

- 
- (١) الحماد ، الفتح ، ص ١٩٨ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١١٩ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ ، سبط أبلن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٤٠٠ .
- (٢) الحماد ، الفتح ، ص ١٥٦ ، وأنظر ما سبق ص



(١)  
 وبأس شديد في دينه وصرامة عظيمة » ووصفه سبط ابن الجوزي بأنه « كان شجاعاً  
 حازماً » (٢) وكونراد هذا أو الماركسي — كما تسميه المصادر العربية — كان مقيماً  
 بالقسطنطينية أثناء معركة حطين ، وهرب من القسطنطينية — لاتهامه بجريمة  
 قتل — على ظهر سفينة كانت تحمل بعض الرحالة متظاهرين بالحج إلى بيت  
 المقدس . (٣) وعند ما وصل كونراد إلى ساحل عكا لم يكن يعلم باستيلاء صلاح الدين  
 عليها ، وعند ما علم بذلك أخذ يتدبر الحيل للنجاة بنفسه ، ورحل بسفينة نحو مدينة  
 صور ، قبل أن يكشف الجند المسلمون أمره . ووصل إلى صور سالماً وقوبل بصيحات  
 الترحيب من الصليبيين ، واستقبل مع فرسانه بالقلعة ، وتسلم القيادة العليا  
 للصليبيين بها . (٤)

أما عن دور الماركسي كونراد ، فما أن وصل إلى صور حتى استخدم — من  
 تجمع فيها من الصليبيين في زيادة تحصينها ، مستغلاً انصراف صلاح الدين عقب  
 استيلائه على عسقلان إلى فتح بيت المقدس . حيث قام بتعمير أسوارها وأبراجها  
 وتزويدها بعدد الدفاع ، ثم أعقب ذلك بتعميق خندقها الذي أوصله من البحر إلى

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٩٨ .

(٢) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٤٠٠ .

(٣) Lane-Poole, op. Cit. P. 221.

(٤) العماد ، الفتح ، ص ١٠٩ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٩٠ .  
 Lane-Poole, op. Cit. P. 221.

البحر ، حتى صارت المدينة « كالجزيرة فى وسط الماء لا يمكن الوصول اليها  
(١)  
ولا الدنو منها »

وهكذا أصبحت مدينة صور بعد دخول المراكيس كونراد اليها على حصانة  
تامة تمكنها من الصمود أمام أى هجوم . كما يمكن القول أيضا بأن دخول كونراد  
اليها يعد نقطة تحول فى تاريخ الحروب الصليبية ، إذ يعدد خوله اليها بمثابة  
المنفذ لآخر معقل صليبي ببلاد الشام ، حيث كان والى قلعة صور ومعه ريجنالد  
( Reginald ) حاكم صيدا الذى كان بها فى ذلك الحين ، قد عزموا  
على تسليم صور الى صلاح الدين مقابل طلب الأمان منه . فلما جاءهم المراكيس  
(٢)  
كونراد رد لهم عن ذلك ، وقوى نفوسهم ، وضمن لهم حفظ البلد .

والى جانب تلك الحصانة التى وهبتها الطبيعة لمدينة صور ، فضلا عما  
قام به كونراد من جهود جبارة فى زيادة تحصينها ، فقد وفدت الى صور أعداد  
كبيرة من الصليبيين من كافة أنحاء مملكة بيت المقدس التى تداعت عقب معركة  
(٣)  
حطين .

ووفد الى مدينة صور ملك بيت المقدس جاك لوزجنان ، فبعد استيلاء

- 
- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٥٣ ، أنظر أيضا الحنبلى ، شفاء  
القلوب ورقة ٤١ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١١٩ ، ابن  
واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ .  
(٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ ، Lane-Poole, op. cit. P. 222.  
نظير سحداوى ، التاريخ الحربى المصرى ، ص ١٨٩  
(٣) أنظر ما سبق ، ص

صلاح الدين على عسقلان وبيت المقدس أطلق سراح الملك الصليبي بمقد أن  
اشترط عليه أن لا يشهر عليه سيفاً ويكون « ملوكه وطليقه » . ونكث الملك جاي  
عهده ، واتجه بدوره الى مدينة صور ، وحدث بينه وبين الماركيس كونراد خلاف  
بإحدى الأمور الا أنه تمكن من مصالحته ، واتفقا على لم شعث الصليبيين ، والثبات  
أمام هجمات صلاح الدين واستنفاذ البلاد التي أخذت (١)

والحقيقة أن صلاح الدين أدرك مدى خطورة تجمع الصليبيين في مدينة  
صور والدليل على ذلك أنه حاول الاستيلاء عليها أكثر من مرة . فبعد معركة  
حطين وبالذات في شهر جمادى الآخرة سنة ٥٨٣ هـ . وبعد أن استولى  
على المدن الساحلية الشمالية ومنها بيروت وصيدا وجبيل وغيرها ، عقد الحزم  
على السير الى المدن الساحلية الجنوبية ، ومرت في طريقه مدينة صور ، فنازلها  
وفرض عليها حصاراً شديداً ، الا أنه رأى فك حصارها لأسباب منها ، ما تتمتع  
به تلك المدينة من حصانة تامة ، فضلاً عن احساسه بسام عسكره من طول القتال  
(٢)  
وإدراكه بأنه من الأفضل الاتجاه الى مدن الساحل الجنوبية لسهولة أمرها .  
ويبدو أن صلاح الدين كان يرى أن من الواجب استغلال تواجد عسكره معه ،  
وعدم اشغالهم بحصار المدن كصور التي كان يتوقع طول حصارها ، وذلك

---

(١) ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ٢ ، ص ٢٨٣ - ٢٨٤ ، ابن شداد ،  
النوادر السلطانية ، ص ٩٨ ، طهشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص  
٨٥٣ .

(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٨٠ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ،  
ج ٢ ، ص ٩١ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ١٧٨ ، ابن  
تفري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٥ .

(١)  
للمحافظة على الروح المعنوية العالية لجنوده • يضاف الى ذلك أن صلاح الدين رأى على ما يبدو أن من الأولى الاتجاه الى الاستيلاء على المدن الساحلية الجنوبية لاتمام المعزلة على بيت المقدس وتأمين الطريق بين شطرى دولته فى مصر والشام • فضلا عن عزل حصنى الكرك والشوبك اللذين كانا حتى ذلك الوقت فى قبضة الصليبيين •  
(٢)

ولم يفسى صلاح الدين أمر صور • فبعد أن استولى على بيت المقدس قويت نفسه وعقد الحزم على المسير اليها لأنه كان يعلم أن تأخره عن المسير اليها يزيد لها حصانة وقوة بسبب زيادة لجوء الصليبيين اليها عقب دخول صلاح الدين بيت المقدس • وسماحه لمن بها من الصليبيين بالخروج بعد دفع الفدية  
(٣)  
المقروءة •

خرج صلاح الدين من بيت المقدس واتجه أول الأمر الى عكا المنظر فى  
(٤)  
أحوالها وتفقد تحصيناتها • ويبدو أن صلاح الدين كان يخطط على عكا فى ذلك الحين من هجوم صليبي غربى • لما لها من وقع فى نفوس المسيحيين بسبب مكانتها الاستراتيجية والتجارية • ثم خرج منها صلاح الدين يوم الجمعة ٥ رمضان

(١) Lane-Poole, op. Cit. P. 220.

(٢) لم يتمكن صلاح الدين من الاستيلاء على حصنى الكرك والشوبك الا فى سنة

٥٨٤ هـ ( أنظر ابن الاثير الكامل ج ١٢ ص ٢٠ ) •

(٣) ابن شداد • النوادر السلطانية ص ٨٣ • ابن خلكان • وفيات الاعيان •

ج ٧ ص ١٨٨ • ابن تفرى بردى • النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣٨ •

(٤) ابن شداد • النوادر السلطانية ص ٨٣ • ابن تفرى بردى • النجوم

الزاهرة ج ٦ ص ٣٨ •

سنة ٥٨٣هـ / أوائل نوفمبر ١١٨٧م ، وسار باتجاه صور حتى أشرف عليها وعسكر  
بالقرب منها ينتظير وصول بقية عسكره وآلات الحصار . ووصل الى صور الملك  
الظاهر بن صلاح الدين الذي خرج من حلب بأمر والده صلاح الدين فوصل الى  
تلك المنزلة في الثاني والعشرين من شهر رمضان ، وسر صلاح الدين بوصولهم  
(١) .  
سرورا عظيما .

ولما توافدت على صلاح الدين عساكره ، وتكاملت عنده آلات الحصار من  
المنجنقات والدبابات والستائر وغيرها ، نزل على صور ، ونصب عليها آلات الحصار  
ثم قسم القتال على عسكره بالتناوب ، فجعل لكل جمع منهم وقفا معلوما يقاتلون  
فيه ، بحيث ضمن اتصال القتال على أهل البلد . وضايق المسلمون صور وقاتلوا  
أهلها قتالا عظيما ، وزحفوا عليها بالمنجنقات والعرادات والجروح والدبابات .  
وكان أبناء صلاح الدين خاصة ولديه الأفضل والظاهر ، وأخاه الملك المعادل ،  
وابن أخيه تقي الدين عمر وكذلك سائر الأمراء يتناوبون القتال على صور .  
(٢)

ويبدو أن خطة صلاح الدين لم تؤثر كثيرا على الصليبيين داخل صور  
وذلك لكون الموضع الذي كان المسلمون يقاتلون فيه قريب المسافة يكفي للدفاع عنه  
جماعة يسيره من أهل البلد ، وعليه الحنادق العميقة التي وصلت من البحر الى

- 
- (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٨٣ .  
(٢) الحنبلى ، شفاء القلوب ، ورقة ٤١ ، ابن واصل ، التاريخ الصالحى ،  
ورقة ٢٠٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٥٥ - ٥٥٦ ، ابن  
المبرى ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٢١ .

البحر • يضاف الى ذلك أنه كان للصليبيين في صور سفن كثيرة يركبون فيها البحر • ويقفون على جانبي الموضع الذي يقاتل فيه المسلمين فيرمونهم من جانبهم بالسهم • ونتيجة لذلك لم يستطع المسلمون الدنو من البلد لأن أهله يقاتلونهم من أمامهم • وأصحاب الاسطول يقاتلونهم من الجانبين • وكانت سهامهم تنفذ من أحد الجانبين الى الجانب الآخر لضيق الموضع البري الذي يقف فيه المسلمون • الأمر الذي اضطر صلاح الدين الى طلب الاسطول الاسلامي من مصر • فجاءته قطع الاسطول برجالها وعددها • فتمكن المسلمون حينئذ من الدنو من البلد وقتاله • فقاتلوه برا وبحرا حتى كادوا يظفرون به • لولا أن الاقدار جاءت بما لم يكن في الحساب • وذلك أن خمس قطع من سفن الاسطول الاسلامي باتت في بعض تلك الليالي مقابل ميناء صور لمنع الصليبيين من الدخول الى المدينة أو الخروج منها • وبات رجالها ايلتهم يحرسون المدينة • فلما كان وقت السحر أمنوا من الصليبيين وناموا • فما شعروا الا وسفن الاسطول الصليبي قد هاجمتهم • وضايقتهم فقاومها الاسطول الاسلامي • الا أن تلك المقاومة لم تجد نفعا لكونهم أخذوا على حين غلة • وانتهى الأمر بأسر خمس سفن اسلامية • ثم اصدر صلاح الدين أوامره الى بقية السفن بالانتقال الى بيروت (١) وذلك في ٢٧ رمضان ٥٨٣هـ / ٣٠ ديسمبر ١١٨٧م •

شاهد صلاح الدين ما حل بالاسطول الاسلامي نتيجة تعرضه لذلك

(١) الحنبلي • شفاء القلوب • ورقة ٤١ • ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ٨٤ • ابن الاثير • الكامل • ج ١١ • ص ٥٥٤ - ٥٥٥ • العماد • الفتح • ص ١٦١ - ١٦٢ • ابن تغري بردي • النجوم • ج ٦ • ص ٣٨ •

الهجوم المباغت من الصليبيين ، فضلا عن حلول الشتاء ( شهر ديسمبر ) وسقوط  
الامطار والثلوج في ذلك الوقت مما أدى الى تحويل المعسكر الى بحر من الطين ،  
كما ساعد البرد الشديد والرطوبة العالية على انتشار المرض بين الجنود والخيول .  
يضاف الى ذلك أن بعض قادة صلاح الدين تدمروا ، وطالبوه بالعودة الى  
أقطاعاتهم قبل أن يضيع عليهم موسم الزراعة . وجمع صلاح الدين أمراءه واستشارهم  
فيما يفعل ، فأشاروا عليه بالرحيل ليأخذ المعسكر قسطنطينية من الراحلة ،  
ويستمدوا لهذا الأمر مدادا جديدا ، فوافقهم صلاح الدين على ذلك  
(٢)  
ورحل عنها في ٢ ذي القعدة ٥٨٣هـ / أول يناير ١١٨٨م .

والذي يجد ذكره هنا أن المؤرخ ابن الاثير - الذي عرف بتحايله على  
صلاح الدين - حمل صلاح الدين مسؤولية ما حدث للمسلمين على صور ، وذكر  
أنه لم يكن لأحد ذنب في أمر صور غير صلاح الدين ، فانه هو الذي جهز جموع  
الصليبيين وأمدّها بالرجال والأموال من أهل عكا وعسقلان والقدس وغيرها ،  
وذلك بسبب افراطه في التسامح مع خصومه الصليبيين . أما سبط ابن الجوزي  
فيرى أن صلاح الدين ضيع الفرصة على المسلمين بتسيير الصليبيين الى صور ، ولم  
ينظر في عواقب الأمور ، وأنه كان من الواجب عليه عرضهم على الاسلام ، فإن

(١) Ehrenkreutz, Saladin. P. 207.

(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٨٤ ، ويذكر ابن الاثير ( الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٥٦ ) أن خلافا وقع بين المسلمين عند ما أشارهم صلاح الدين في أمر صور ، فمنهم من قال بالرحيل ، ومنهم من دعا الى الاستمرار في الجهاد .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٥٥ - ٥٥٦ .

أسلموا والا ضرب رقابهم بالسيف • كما أنه شبه تلك الاحداث بما حدث ففى  
معركتى بدر واحد • حيث يقول « وما أشبه هذه القضية بفدية الاسارى يوم بدر  
حيث أشار بعض الصحابة بأخذ ذلك القدر • وبعضهم أشار بضرب الرقاب • وما  
صدر ذلك الرأى الا عن صدر • فلا جرم قتل منهم يوم أحد سبعون • وأسـر  
سبعون من المسلمين • كما فعلوا يوم بدر بالمشرىكين « ويبدو أن ابن الاثير<sup>(١)</sup>  
تحامل على صلاح الدين • لأنه كان ربيب البيت الزنكى • ولم ينس أن صلاح  
الدين قضى على ملكهم فى الشام • ولا يستبعد أن يكون سبط ابن الجوزى  
قد تأثر بابن الاثير فى ذلك •

والواقع أن تلك الخطة التى اتبناها صلاح الدين مع الصليبيين • والتى  
تقوم على تأمينهم مقابل تسليم المدن والحصون له • أتاحت لصلاح الدين فرصة  
الاستيلاء على معظم مملكة بيت المقدس فى شهور قليلة • ما عدا أماكن قليلة  
منها مدينة صور • وصلاح الدين لم يكن أمامه غير اتباع هذه الخطة • إذ أنه  
لو عمد الى الاستيلاء على مدن مملكة بيت المقدس عن طريق القوة والمصابرة لطلال  
أمر القتال • هذا بالإضافة الى أنه قد اختار سياسة التسليم مقابل الأمان عملاً  
بالشريعة الاسلامية السمحاء<sup>(٢)</sup> •

رأى كونراد مونتفرات أنه ليس فى مقدوره مواجهة صلاح الدين بمن تجميع  
من الصليبيين فى مدينة صور • وأنه لابد من استئثار الغرب الأوروبى للمشاركة ففى

(١) سبط ابن الجوزى • مرآة الزمان • ج ٨ • ق ١ • ص ٣٩٨ •

(٢) أنظر نظير حسان سعداوى • التاريخ الحربى المصرى • ص ١٩٩ •



قتال المسلمين فأرسل رسله الى البابوية وملك وأمراء الغرب الأوربي يطلب منهم النجدة السريعة والمشاركة في إعادة الوجود الصليبي في الشرق . فذكر ابن شداد وأبو شامة نقلا عن العماد أنه « صور القدس في ورقة عظيمة » وصور القمامة ( كنيسة القيامة ) التي يحجون اليها ويعظمون شأنها ، وفيها قبر المسيح الذي دفن فيه بعد رحيله بزعمهم . . . . . فصور القبر وصور عليه فرسا عليه فارس مسلم راكب ، وقد وطي قبر المسيح وقد بال الفرس على القبر . » وأرسل كونراد هذه الصورة الى معظم بلاد غرب أوربا حيث حملها القسوس ورؤوسهم مكشوفة وعليهم المسوح ، وهم ينادون بالويل والشبور في المجامع (١) والاسواق .

وأرسل كونراد القسوس والرهبان ، وغيرهم من الفرسان الذين لبسوا السواد ، وساروا الى الغرب الأوربي يتقدمهم بطريرك بيت المقدس ، وقد صوروا المسيح عليه السلام وجعلوه مع صورة اعرابي يضربه وقالوا لهم « هذا المسيح يضربه محمد نبي المسلمين وقد جرحه وقتله » وأخذوا يستجدون الناس هناك ويحثونهم على السير الى الشرق والأخذ بثأر بيت المقدس . (٢)

وكانت البابوية كما دتها أول من استجاب للدعاء الذي وجهه كونراد

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٣٦ - ١٣٧ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٦٠ ، ابن سعيد المشرقي في حلى المغرب ، ص ١٦٥ .

(٢) الحنبلي ، شفاء القلوب ، ورقة ٤٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٣٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ ، ابن ابيك الدواداري ، الدر المطلب ، ص ٩٨ - ٩٩ .

وكان البابا أوربان الثالث قد تقدم به السن ، وتولاه المرض ولم يحتفل أنبياء  
 كارثة سقوط بيت المقدس في أيدي المسلمين فمات حزنا وهما على ضياع بيت المقدس  
 وذلك في شعبان من سنة ٥٨٣هـ / أكتوبر ١١٨٧م ، وخلفه البابا جريجورى الثامن  
 الذى بادر بإرسال الكتب الى ملك إنجلترا وملك فرنسا وإمبراطور ألمانيا يطلب  
 منهم جميعا أن يتناسوا ما بينهم من خصومات وحزازات ويستعدوا للمسير الى  
 الشرق الاسلامى لاعادة الوجود الصليبي هناك .  
 (١)

غير أن القدر لم يمهل البابا جريجورى الثامن ليرى ثمار جهوده ، فقد  
 توفي بعد حوالى شهرين من توليه منصب البابوية ( أكتوبر - ديسمبر ١١٨٧م )  
 ليلى منصب البابوية بعده البابا كلمنت الثالث ( ١١٨٧ - ١١٩١م ) الذى واصل  
 سياسة سلفه جريجورى فى الاعداد لحملة صليبية ثالثة ، وأسرع البابا كلمنت  
 الثالث الى الاتصال بالامبراطور فردريك بربروسا وعمل على استرضائه بكل الوسائل  
 محققا بذلك الوفاق بين الامبراطورية والبابوية ، وجه البابا كلمنت الثالث أيضا  
 دعوة عامة الى كافة المسيحيين فى الغرب الاوربي يطلب منهم الاشتراك فى حملة  
 صليبية لاسترجاع بيت المقدس من المسلمين ، وهدد هم بأن يحرم عليهم  
 مطاعمهم ومشاربهم قائلا " من لا يتوجه الى القدس مستخلصا فهو غدى محرم  
 لا منكح له ولا مطعم " .  
 (٢)

- 
- (١) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٤٣ .  
 (٢) سعيد عاشور ، أوروبا الحصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٣٩٤ .  
 (٣) ابوشامه ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٦٢ ، وابن واصل ، مفرج  
 الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٣٣ ، ابن الفرات ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ .

وهكذا نجح كونراد مونتفرات الذي تولى زعامة الصليبيين في الشرق بمساعدة البابويه في استشارة ملوك وأمراء أوروبا وحملهم على تناسي ما بينهم من حزازات وأحقاد وخلافات داخلية ، ومن ثم حشهم على السير إلى المشرق الإسلامي لمحاولة إعادة الصرح الصليبي الذي انهار أمام جيوش صلاح الدين . وقد قدم الصليبيون إلى بلاد الشام بأعداد كبيرة لا تحصى . يد لنا على ذلك الرسالة التي بعث بها صلاح الدين إلى الخليفة العباسي في بغداد في سن ٥٨٦هـ / ١١٩٠م يخبره بذلك والتي قال فيها \* وقد بلى الإسلام منهم بقوم قد استطابوا الموت ، واستجابوا الصوت ، وفارقوا المحبين والأوطان ، وهجروا المألوفين والأهل والديار ، وركبوا للحج ووهبوا المهج ، كل ذلك طاعة لقيسهم وامثالاً (١) لأمر مركيسهم \* . وخرج المسيحيون على اختلاف فئاتهم وأجناسهم ومن عجز عن الخروج بنفسه جهز بعده ثروته من يقدر على السفر \* وخرجت النساء للإسهام (٢) في الحملة الصليبية الثالثة ، فممن من خرج وصحبتهن الفرسان ، وقد تكفلن بجميع ما يحتاجون إليه من مؤن وعتاد ، وعلى سبيل المثال ذكر أبو شامة وغيره أنه في سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م وصل في البحر إلى بلاد الشام امرأة مسيحية جلييلة القدر وفي صحبتها خمسمائة فارس بخيولهم واتباعهم ، وقد تكفلت بكل ما يحتاجون إليه \* فهم يركبون لركوبها ويحملون بحملاتها ويشبون لوثباتها \* . وممن من خرج (٣)

(١) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٦١ - ١٦٢ ، ابن واصل ، مفرج

الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٣٢ ، ابن الفرات ، ج ٤ ، ص ٢٢٩ .

(٢) العماد ، الفتح ، ص ٣٣٨ .

(٣) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٤٩ ، العماد ، الفتح ، ص ٣٤٩ ،

ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٠٨ .

وقد لبس الدروع وكن في زى الرجال للاشتراك في الممارك بأنفسهم لاعتقادهم  
 أن عظمهم ذلك عبادة <sup>(١)</sup> وضمنهم من خرج لاسعاف الفراء واسعاد الصليبيين  
 بتسبيل أنفسهم لهم للاستمتاع بهم حتى لا يتسرب الملل الى نفوس المحاربين <sup>(٢)</sup>.

أما وليم الثاني ملك صقلية فقد بادربار سال اسطول في سنة ٥٨٥ هـ /  
 ١١٨٩ م يشتمل على ستين قطعة بها عشرة آلاف مقاتل أسند قيادته الى رجل  
 من رجال البحر يدعى « المرعيط » فأبحر ذلك الاسطول الى مدينة صور ثم  
 رجع الى طرابلس ولم ينفع الصليبيين شيء <sup>(٣)</sup> لأن ما به من المسيرة لم تكن تكف ما عليه  
 من الرجال.

### الحملة الصليبية الثالثة رد دخول الصليبية عكا سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م :

والواقع أن تلك الانتصارات العظيمة التي حققها صلاح الدين في تلك  
 السنوات القليلة الواقعة بين سنتي ٥٨٣ هـ - ٥٨٥ هـ / ١١٨٧ - ١١٩٠ م وما  
 ترتب عليها من قتل وأسر الأعداد الكثيرة من الصليبيين وتشريد البقية الباقية  
 منهم الى صور ، كان له الأثر البالغ على نفوس المسيحيين الغربيين خاصة بعد أن  
 وصلتهم رسل اخوانهم في بلاد الشام ، الذين شرحوا لهم ما لحق بهم من

- 
- (١) الحطاب ، الفتح ، ص ٣٤٩ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٤٩  
 (٢) الحطاب ، الفتح ، ص ٣٤٧ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٤٩  
 (٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٥٥٨ .

كوارث من جراء انتصارات المسلمين عليهم • الأمر الذي جعلهم بمساعدة جهود البابا كلمنت الثالث الذي أثار الحماس الصليبي في نفوسهم ضد الاسلام والمسلمين يتناسون ما بينهم من خلافات ويعقدون العزم على السير الى بلاد الشام لمحاولة استعادة بيت المقدس من المسلمين • فأعدوا لذلك الفرض حملة (١) ثالثة • فرضوا لتمويلها ضريبة خاصة أطلقوا عليها " عشور صلاح الدين " وكان الغرب الأوربي في ذلك الوقت يمر بفترة سياسية حرجية بسبب النزاع بين البابوية والامبراطورية وذلك الهداء التقليدي بين ملوك أوروبا وحكامها • (٢) لذلك فان البابا كلمنت الثالث توسل بكافة الوسائل لاسترضاء عدو البابوية اللدود الامبراطور الألماني فردريك بربروسا • وكذلك بحث برسائله الى كل من ملك فرنسا وملك إنجلترا والامبراطور الألماني يحثهم على تناسي خلافاتهم • وبالتالي أراد البابا أن يضع نهاية لتلك الفتن والحوادث الدامية في أوروبا بتوجيه زعمائها الى المشرق الاسلامي لاستعادة بيت المقدس من صلاح الدين •

Ehrenkreutz, Saladin, P. 222.

(١)

(٢) كانت الكنيسة في أوروبا في العصور الوسطى • تعاني من ثلاثة أمراض خطيرة هي : السيمونية أي شراء الوظائف الكنسية بالمال • وزواج رجال الدين • والتقليد العلماني • أي قيام الحكام العلمانيين بتمثيل رجال الدين • وعند ما حاول البابا جريجوري السابع الذي اعتلى كرسى البابوية سنة ١٠٧٣م معالجة أمراض الكنيسة في شدة وحزم • دخل في نزاع مع الامبراطور هنري الرابع • وبدأ دور من أدوار النزاع بين البابوية والامبراطورية الذي كان سمة بارزة من سمات تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ( أنظر سعيد عاشور • أوروبا في العصور الوسطى • ج ١ • ص ٣٤٥ - ٣٥٧ ) •

(٣) سعيد عاشور • الحركة الصليبية • ج ٢ • ص ٨٤٤ •

وتتأسى ملوك وحكام الغرب الاوربي ما بينهم من خلاقات وحزازات وأحقاد

وعقدوا العزم استجابة لدعوة البابا على تسير حملة صليبية الى بلاد الشام .  
(١)

وكان أول من استجاب لهذه الدعوة فردريك بربروسا أمبراطور ألمانيا . ففى

ربيع سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م بدأت الجيوش الألمانية فى التجمع عند مدينة  
راتسبون . Ratisbon استعدادا للمسير الى بلاد الشام . وكان ذلك الجيش  
(٢)

بالرغم من كثرتها العددية يتمتع بنظام عسكري دقيق ، فكان من يجرى منه جنائية  
ليس له جزاء الا أن يذبح " مثل الشاة " .  
(٣)

(١) ولى الامبراطور فردريك بربروسا حكم ألمانيا بعد وفاة عمه كونراد الثالث  
عام ١١٥٢م . ويعتبر من أقوى الشخصيات التى تولت حكم ألمانيا منذ  
عهد أوتو الأول العظيم ( ٩٦٢ - ٩٧٣م ) .

أنظر ( حامد زيان ، الامبراطور فردريك بربروسا ، ص ١٢ ) .

(٢) مدينة راتسبون هى احدى المراكز الرئيسية الألمانية فى العصور الوسطى  
وكانت من أهم مراكز الحكم الامبراطورى ، تقع بالقرب من الحدود الشرقية  
الألمانية قريبة من بلاد المجر .

أنظر حامد زيان ، الامبراطور فردريك بربروسا ، ص ٢٤ ) .

(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٢٦ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ،  
ج ٢ ، ص ١٥٥ ، اختلفت الروايات التاريخية فى تقدير عدد الجيش

الألماني ، فمنهم من قال ثلثمائة ألف مقاتل ( النويرى ، نهاية الارب ، ج ٢٦  
ورقة ١٣٠ ، المعاد ، الفتح ، ص ٣٣٠ ) ومنهم من قال مائتى ألف ( أنظر ابن  
سعيد ، اروض المهبوب ، ج ٢ ، ورقة ٣٦ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ،  
ص ١٠٥ ، ابن واصل ، فوج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣١٧ ، ابن اييك الدوادارى  
، الدر المطلوب ، ص ١٠٥ ) ومنهم من قدره بستمائة ألف ( أنظر الحنبلى ،  
شفاء القلوب ، ورقة ٤٥ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١١٤ ) ومنهم  
من قصره على مائة ألف مقاتل ( أنظر صالح بن يحيى ، تاريخ بيروت ، ص ٢٠ )

وسار ذلك الجيش يتقدمه الامبراطور فردريك ببروسا وصحبته أحد ابناؤه  
 سالكا الطريق البرى باتجاه القسطنطينية ، حيث عبر بلاد الهنكر ( المجر )  
 بالقوة . ولكنه ما أن وصل الى القسطنطينية حتى واجهه عداء شديد من الامبراطور  
 البيزنطى اسحق الثانى انجليوس الذى بحث الى حليفه صلاح الدين يخبره بمسير  
 الالمان ويحده بأن لا يمكنهم من عبور بلاده ، الا أن الصادر تذكر أن الامبراطور  
 البيزنطى لم يستطع منهم من العبور ، ولكنه لم يسمعهم بشئ من المؤن والعتاد ،  
 فقلت عليهم الأقوات ، وعبروا خليج القسطنطينية ( البسفور ) وقد اشتدت  
 ضائقهم وحل بهم كرب شديد .  
 (١)

ولما عبروا الى آسيا الصغرى تعرضوا لمتاعب كثيرة بسبب جهلهم بتلك  
 الأماكن لذا سلكوا الأودية على غير هدى ، فكانوا يقطعون الفرسخ الواحد فى  
 يومين ، فوقعوا فريسة للخطف من جانب التركمان سكان تلك المناطق ، كما كان  
 لدخول الشتاء أثره البالغ على سيرهم ، حيث تراكمت الثلوج ، فاحتاجوا الى  
 أكل الدواب ، وأحرقوا عدد من نقى الحطب عند هم ، كما عدوا المدايف  
 فأنهكوا وأنهكت دوابهم حتى عجزوا عن حمل عدد هم ، فاضطروا الى دفن ما عجزوا  
 عن حمله .  
 (٢)

- 
- (١) الحنبلى ، شفاء القلوب ، ورقة ٤٥ ، العماد ، الفتح ، ص ٤١٤ ، ابن  
 الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٤٨ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص  
 ١٥١ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣١٧ - ٣١٨ .  
 (٢) العماد ، الفتح ، ص ١٥١ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص  
 ٣١٨ .

ولما قاربوا الوصول الى سلطنة سلاجقة الروم التي كان على رأسها السلطان قليج ارسلان بن مسعود السلجوقي ، نهض اليهم ابنه قطب الدين ملكشاه ، واشتبك معهم في معركة كبيرة هزموه فيها ، فترجع الى الوراء الى مدينة قونية عاصمة السلطنة ، فتعقبه الالمان ، ودخلوا المدينة وأحرقوا أسواقها ، ثم أرسلوا الى والده قليج ارسلان يقولون له « انا لم نصل لأخذ بلادك ، وانا نزلنا لنشأ ر البيت المقدس » وبعثوا اليه الهدايا وطلبوا منه الهدنة فهادتهم ، وبمات هو وابنه الى صلاح الدين يعتذران من تمكين الالمان في بلد هما ويخبرانه بأنهما غلبوا على ذلك . ومكث الجيش الالمانى مدة من الزمن في بلاد قليج وتقوا خلالها بما أرادوا من العدد والازواد ثم واصلوا سيرهم . (٢)

وأشار ابن شداد وأبو شامة الى روابط الصداقة بين السلطان قليج ارسلان والامبراطور فردريك بربروسا ، وأن قليج عندما أرسل الى صلاح الدين يعتذر عن عبور ملك الالمان من بلادها ، انما قصد بذلك التظاهر أمام صلاح الدين بالشقاق لملك الالمان ، وهو في الباطن يضر له الوفاق ، وأنه أنفذ معه الأدلاء ، وأعطاه الرهائن حتى يضمن له العبور بسلام . هذا بينما يذكر

- 
- (١) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣١٨ ، أنظر أيضا ابن أبيك الدوادار الدر المطلوب ، ص ١٠٥ .
- (٢) الحنبلى ، شفاء القلوب ، ورقة ٤٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٤٨ - ٤٩ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١٠١ ، ص ٤٠٣ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣١٨ - ٣١٩ .
- (٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٢٣ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٥٤ .



ابن الاثير أن أسبانيا دفعت الملك قليج إرسال على السطاح لملك الالمان بعبور  
أراضيه ، منها حالة الضعف التي كانت تتعرض لها بلادها بسبب المشاكل الداخلية  
نتيجة تقسيمه ملكه بين أبنائه .<sup>(١)</sup> يضاف الى ذلك ما كان يتعرض له قليج إرسال  
من ضغط بسبب التحالف بين خصميه صلاح الدين من ناحية والامبراطور  
البيزنطي من ناحية أخرى .<sup>(٢)</sup>

وعلى كل فتلك التسهيلات التي منحها قليج للامبراطور فردريك بربروسا  
لم تنفع الجيوش الالمانية بشيء إذ تعرضت أثناء عبورها لبلادها لهجمات عديدة .  
الأمر الذي أغضب ملك الالمان فقبض على الأدلاء والرهابان الذين سيرهم  
قليج معه وقيدهم بعد أن أخذ ما معهم ووضعهم في الأسر . فمضهم من قدى  
نفسه وخرج ، ومضهم من مات في الأسر .<sup>(٣)</sup>

وأصل الالمان سيرهم رغم تلك المتاعب الشديدة التي تعرضوا لها ، حتى  
وصلوا الى بلاد الأرمن . فحرب بهم أميرها ابن لاون ، وقدم لهم ما يحتاجون  
اليه من المؤن والازواد والعلوفات ، وأرشدهم الى أسهل الطرق .<sup>(٤)</sup> وكان أمير  
أرمينية يأمل في أن يتوج ملكا على أرمينية الصغرى ، حتى لا يبدو في مكانة أقل

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٨٧ .

(٢) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٤٧ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٤٩ ، ابن واصل ، مفتح الكروب ، ج ٢ ، ص ٣١٩ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٤٩ ، ابن واصل ، مفتح الكروب ، ج ٢ ، ص ٣١٩ ، ابن خلدون ، المعبر ، ج ٥ ، ص ٣٢١ .

من مكانة الامراء الصليبيين المقيمين ببلاد الشام من جهة ، وليمد عنه اطماع  
الامبراطور البيزنطى من جهة اخرى . ويبدو أن امير ارمنية قد علق آمالا كبيرة  
(١)  
على كل من البابا والامبراطور الالمانى فى تحقيق هدفه هذا .

لم يطل مقام الالمان ببلاد ابن لاون بل واصلوا سيرهم بعد أن هداهم  
الطريق ، ونزلوا بطرسوس (٢) وقد انهكهم السفر بسبب ما تعرضوا له من متاعب  
فى طريقهم ، فأرادوا الإقامة هناك أياما ليريحوا أنفسهم . الا أن القدر خبا  
لهم خلاف ذلك ، فحدث لهم حدث مفاجئ قلب الموازين رأسا على عقب ،  
حيث مات الامبراطور فردريك ببروسا غريقا فى أحد الأنهار وذلك سنة ٥٨٦هـ /  
١٠ يونيو ١١٩٠م . واختلفت آراء المؤرخين فى تحليل أسباب وفاته فذكر  
العماد وابن واصل أن الالمان عند ما عبروا نهر سالف التطم الموج بهم ، فطلب  
الملك موضعا يعبر فيه وحده ، فدخل فى مخاضة قوية فاخطفه تيار الماء  
(٣)  
واصطدم بشجرة شجت رأسه ، فاستخرجوه وهو فى آخر رمق وهلك بعد قليل .  
وأشار ابن شداد وغيره الى أن فردريك ببروسا نزل على شط أحد الأنهار ،  
واستحم فى ماء ذلك النهر . فأصابته برودة ذلك الماء بمرض مات على أثره بعد

- 
- (١) سعيد عاشور ، سلطنة المماليك وارمنية الصغرى فى كتاب بحوث  
ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، ص ١٤٤ ، حامد زيان ، الامبراطور  
فردريك ببروسا ، ص ٥٠  
(٢) طرسوس : مدينة بشخور الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم ، ( أنظر  
ياقوت معجم البلدان ) .  
(٣) العماد ، الفتح ، ص ٣٩١ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص  
٣١٩ .

(١) أيام قلائل • أما ابن الأثير • فقد ذكر أن فردريك دخل النهر يريد الاغتسال

(٢)  
فغرق •

ومهما يكن من أمر • فإن الذي يهمنا هو أن الامبراطور فردريك ببروسا قد هلك دون أن يحقق هدفه في المشاركة في استعادة بيت المقدس من يد صلاح الدين • فضلا عن أن ذلك الحدث المفاجيء كان له أثر كبير على فشل الحملة الصليبية الثالثة إذ أن جزءا كبيرا من الجيش الألماني قد عاد عقب وفاته (٣) إلى أوروبا • بالإضافة إلى أن الصليبيين قد فقدوا بوفاته شخصية كبيرة لو أنها وصلت إلى عكا لوجد منها صلاح الدين متاعب كثيرة • (٤)

وموت الامبراطور فردريك ببروسا حلت بالألمان كوارث كثيرة • فقد اختلفوا منذ البداية حول من يخلفه في قيادة الحملة الصليبية الألمانية • حيث مال بعضهم إلى تولية ابنه فردريك السوابي • بينما مال بعضهم الآخر إلى تولية أخ لفردريك السوابي أكبر منه • (٥) وما إن رأى الملك الأرمني ما حل بالألمان من التفكك والضعف بعد موت فردريك ببروسا • حتى أثر أن لا « يلقى بنفسه بينهم » فإنه لا يعلم كيف يكون الأمر وهم أفرنج • وهو أرضى فاعتصم عنهم في بعض قلاع

(١) ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ١٢٥ • أبو شامة • كتاب الروضتين

ج ٢ • ص ١٥٥ • سبط ابن الجوزي • مرآة الزمان • ج ٨ • ق ١ • ص ٣٠٣

(٢) ابن الأثير • الكامل • ج ١٢ • ص ٤٩ •

(٣) ابن الأثير • الكامل • ج ١٢ • ص ٤٩ •

(٤) أنظر • تفسير حسان سعداوى • التاريخ الحربى المصرى • ص ٢٣٩ •

(٥) ابن الأثير • الكامل • ج ١٢ • ص ٤٩ • سبط ابن الجوزي • مرآة

الزمان • ج ٨ • ق ١ • ص ٤٠٣ • ابن خلدون • العبر • ج ٥ • ص ٣٢٢

(١) المنيمة . و تفرق الالمان بعد موت ملكهم ففضمهم من عاد الى أوربا . ومنهم من سار مع الامير فردريك السوابي الذي خلف والده في قيادة الجيش الالمانى . وعند مسير بقايا الحملة الى انطاكية حل بهم وباء شديد ذهب صحيته كثير من رجالهم ، ووصلت البقية الباقية الى انطاكية « وكأنهم قد نبشوا من القبور »  
(٢)  
على حد قول المؤرخ ابن الاثير .

وما ان وصل الالمان الى انطاكية حتى تبرم بهم صاحبها بوهيمند الثالث وثقلت وطأته عليهم ، وطمع في الاستيلاء على أموالهم وعتادهم . فآشار عليهم بالمسير الى حلب وحسن لهم طريقها . الا أن فردريك السوابي لم يستجب لمشورة بوهيمند ، وانما طلب منه أن يعطيه قلعة انطاكية ليودع بها ماله وخزائنه وأثقاله . فوافق بوهيمند على ذلك على أمل أن يفوز بما يودع فيها من الأموال والعتاد . وكان الأمر على ما أراد ، فان الالمان لما فارقوا انطاكية لم يعودوا اليها ثانية ، ففاز بوهيمند بكل ما أودعوه فيها .

وفي الوقت نفسه تعرضت فرقة من الالمان لكارثة أخرى كان لها أثر كبير في اضعاف نفسياتهم ، فقد اتجهت هذه الفرقة الالمانية صوب بغراس وهم يظنون أنها لا تزال في أيدي اخوانهم الصليبيين ، وما ان وصلوا اليها حتى

- 
- (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٢٤ .  
(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٤٩ ، أنظر أيضا ابوشامه ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٥٦ .  
(٣) الحماد ، الفتح ، ص ٣٩٥ ، ابوشامه كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٥٦ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٢٢ .

فتحت أبواب القلعة وهجم المسلمون على الألمان فاستولوا على ما معهم من  
الاموال والاسلحة والعتاد ، وقتلوا منهم وأسروا العدد الكثير . كما خرج أيضا  
بعض سكان حلب وتفرقوا في طريق الألمان وأخذوا يتخطفونهم ، فأسروا منهم  
أعداد كثيرة باعهم في الاسواق بأثمان زهيدة <sup>(١)</sup> . كما أن ذلك يد لنا أيضا على  
مدى تلك العزلة التامة التي فرضها صلاح الدين على الصليبيين ببلاد الشام ،  
بعد احكام سيطرته على مدن الساحل ، حتى أن الصليبيين في الغرب الأوربي  
لم يكن في مقدورهم التمييز بين المدن والقلاع التي استولى عليها صلاح الدين  
وبين التي لا تزال في أيدي اخوانهم الصليبيين في الشرق .

وأخيرا قرر فردريك السوابي بعد تلك الكوارث التي حلت لجيشه  
الاتجاه الى عكا . ففي يوم الأربعاء ٢٥ رجب من سنة ٥٨٦هـ / أغسطس ١١٩٠م  
سار على رأس جيشه الى عكا عن طريق جبلة واللاذقية . وانتهر المسلمون في  
اللاذقية فرصة مرور شرادم الألمان ، فخرج رجالها عليهم ، وقتلوا وأسروا منهم  
أعدادا كثيرة . ولما وصل الألمان الى طرابلس أقاموا بها للراحة ، فنزل بهم  
وباء شديد مات على أثره أكثرهم .

---

(١) الحنبلي ، شفاء القلوب ، ورقة ٤٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٤٩ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٥٦ ، ابن واصل ،  
مفرج الكرب ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ ، وينراس مدينة بينها وبين انطاكية  
أربعة فراسخ على يمين القاصد الى انطاكية من حلب في البلاد المطلة على  
طرسوس ( أنظر يا قوت ، معجم البلدان ) .

ولم يبق منهم سوى حوالى ألف رجل ركبوا فى البحر يتقدمهم فردريك السوابسى  
قاصدين عكا للانضمام الى بنى جنسهم هناك لمؤازرتهم فى حصارها ، فوصلوا  
الى عكا فى ١٦ رمضان سنة ٥٨٦هـ / اكتوبر ١١٩٠ م .<sup>(١)</sup>

وتتبنى الاشارة الى أن صلاح الدين لم يهمل أمر الحملة الالمانية  
منذ علمه بهسيرها اليه ، فقد استنفر الناس للجهاد ، فبعث رسولا فى رمضان  
من سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩ م من قبله وهو القاضى بهاء الدين بن شداد والى  
الخليفة المباسى فى ذلك الوقت الناصر لدين الله ابو العباس احمد بن  
المستضىء لاعلامه بمسير الالمان الى بلاد الشام ، وأمر صلاح الدين القاضى  
ابن شداد بالمسير فى طريقه الى أمراء الموصل وسنجار والجزيرة واهل لاستدعائهم  
للجهاد ، فأجابوا الى ذلك ، وتأهبوا للمسير الى صلاح الدين ، كما وعد  
الخليفة المباسى " بكل جميل " وأمد صلاح الدين بالمال والعتاد .<sup>(٢)</sup>

وتابع صلاح الدين فى الوقت نفسه تقدم الالمان اليه عن طريق ارسال  
الميون ( الجواسيس ) لكشف أخيارهم ، كما أرسل نوابه فى البلاد الشامية  
عساكرهم لكشف أخبار العدو واعتراض طريقه ، فوقفوا على فوقة من جيش

---

(١) الحنبلى ، شفاء القلوب ، ورقة ٤٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٤٩ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٥٦ ، ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، م ٤ ، ج ١ ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .  
(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١١٥ ، أنظر أيضا ، التوسرى ، نهاية الارب ، ج ٢٦ ، ورقة ١٣٠ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٥٠ ، ابن واصل ، مفتح الكروب ، ج ٢ ، ص ٣١٠ .

الالمان ، قد خرجت لطلب العلوفة للدواب ، فقتلوا وأسروا منهم زهاء خمسمائة  
(١)  
نفس .

ولما تحقق صلاح الدين من وصول الالمان الى بلاد الأرمن وقربهم  
من البلاد الاسلامية ، جمع أمراء دولته وشا ورهم فيما يصنع ، فاتفق رأيهم  
على تسيير عسكر كبير لملاقاة العدو في طريقه وحماية بعض المدن ، فسارت  
تلك الجموع الاسلامية يتقدمها عدد من أمراء المسلمين فكبدت العدو الالمان في  
طريقه خسائر جسيمة . (٢)  
كما أمر صلاح الدين بهدم أسوار طبرية ويافا وارسوف  
وقيسارية وصيدا وجبيل ، وذلك لأنه خشى سيطرة الصليبيين عليها واستخدام  
تلك الأسوار في محاربة المسلمين . (٣)

والحقيقة أن حملة الالمان الصليبية فشلت عند ما غرق قائد ها الامبراطور  
فردريك بربروسا في أحد أنهار آسيا الصغرى ، وتشتت جموع الالمان في الشام  
مما حال دون وصولهم الى بيت المقدس ، وتحقيق هدفهم باسترجاعه من أيدي  
المسلمين .

وأخيرا فإذا كان فردريك بربروسا قد عجل الخروج الى المشرق على رأس

---

(١) ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٥٠ ، ابن واصل ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ .

(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(٣) العماد ، الفتح ، ص ٣٩٤ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٥٠ .

حملته الصليبية ، وأختار لها الطريق البرى الى بلاد الشام ، فان فيليب أوغسطس ملك فرنسا ، وريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا لم يتركا الغرب الأوربي فى حملة صليبية الا فى صيف ٥٨٦هـ / ١١٩٠م ، وأختارا الذهاب الى عكا بحرا .

دخول الصليبيين عكا سنة ٥٨٧هـ :

كان لمدينة عكا — كما سبق القول — أهمية تجارية كبيرة لدى المسيحيين فى عصر الحروب الصليبية ، كما كانت فى ذلك الوقت أكبر سوق للتجارة فى البحر المتوسط <sup>(١)</sup> . واحتلت عكا أهمية استراتيجية كبيرة ، فبمجرد نظرة سريعة الى خريطة تضم مدن الساحل الشامى ، نلاحظ أن مدينة عكا تتوسط تقريبا ذلك الشريط الساحلى الذى تمتد عليه مدن عدة ، الأمر الذى يجعلها كالقلب النابض لمداد تلك المدن الممتدة شمالها وجنوبها بما تحتاجه من الاسلحة والمؤن والمتاد وأدرك المسلمون ما يملقه الصليبيون من أهمية بالغة على تلك المدينة ، لذلك أدرك صلاح الدين ضرورة الاستيلاء عليها لحرمان الصليبيين فى بلاد الشام من المساعدات الأوربية عن طريق هذا الميناء الهام . وأبلغ دليل على ذلك ما قام به صلاح الدين عقب استرداد بيت المقدس بالمسارعة الى تحصينها بترميم أسوارها وتشيد أبراجها تحسبا لما قد تتعرض له من هجوم من قبل الصليبيين <sup>(٢)</sup> .

وتحقق ما توقعه صلاح الدين ، فالصليبيون ببلاد الشام وكذلك من وفد

(١) أنظر ما سبق ص

(٢) أنظر العماد ، الفتح ، ص ٢٧٦ .



اليهم من الغرب ، لما علموا بما حل بالحملة الالمانية من كوارث أدت الى عجزها  
عن الوصول لنجدتهم ، وكذا لك علموا بما قام به زعماء الحملتين الفرنسية والانجليزية  
من اضاغة الأشهر الطويلة في جزيرة صقلية فضلا عن اتجاه ريتشارد الى جزيرة  
قبرص واستيلائه عليها ، وأما أنه لم يبق أمامهم سوى الاعتماد على أنفسهم وعلى  
ما عساه يصلحهم من جموع صليبية متفرقة ، يستغلونها في الدفاع عما بقي من أشلاء  
مملكة بيت المقدس والامارات الصليبية ببلاد الشام <sup>(١)</sup> . وفي ذلك الوقت ظهر على  
مسرح الاحداث ملكهم السابق جاي لوزجنان الذي كان قد أسرف في معركة  
حطين ، والذي حظي بشهادة صلاح الدين ووفائه بوعده الذي كان قد قطع  
له فأطلق سراحه ، بعد أن تعهد لصلاح الدين بعدم معاداة المسلمين .  
وكما سبق القول فان جاي لوزجنان لم يف بوعده لصلاح الدين ، بل اتجه الى  
صور واتفق مع كونراد مونفراط على حرب المسلمين <sup>(٢)</sup> .

وجد الملك جاي لوزجنان نفسه يشعر بثقة كافية ليقود جيشه الذي  
ارتفعت روحه المعنوية بتوليئه قيادته ليتحول من مجرد الدفاع عن أشلاء مملكة  
بيت المقدس والامارات الصليبية الى محاولة استرداد مدنها التي كان صلاح  
الدين قد استولى عليها وعزم جاي لوزجنان على تجريد حملة ضد مدينة عكا ،  
<sup>(٣)</sup>  
فسارت جموع الصليبيين من صور في رجب من سنة ٥٨٥هـ / أغسطس ١١٨٩م ، وما  
يدل على سيطرة المسلمين على مدن ومعاقل الساحل الشامي ان الصليبيين قد

(١) أنظر سميد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٥٢ .

(٢) أنظر ما سبق ، ص

(٣) Ehrenkreutz, Saladin. P. 213.

سلكوا في طريقهم الى عكا ساحل البحر ، ولم يكن في مقدورهم الابتعاد عنه  
 مهما كلفهم ذلك من مشقة الطريق ، ومراكبهم تسير في مقابلهم في البحر فيها  
 سلاحهم وذخائرهم . وعلى الرغم من ذلك الاحتراس فان يرك / الذي كان قد  
 (١) المسلمين  
 تفرق على طول الطريق الذي عبروه استطاع أن يتخطف منهم أعدادا كثيرة .  
 (٢)

وما أن علم صلاح الدين بمسير الصليبيين الى عكا حتى عظم عليه الأمر ،  
 ولكنه لم يسارع بادی الأمر بالمسير اليهم لأنه ظن أن تحركهم ذلك كان بهدف  
 خداعه ليرك حصار قلعة شقيف ارنون التي كان يحاصرها وقتذاك . الا أنه عندما  
 (٣)  
 تأكد له عزم الصليبيين على السير الى عكا جمع أمراءه وأصحاب الرأي من جيشه  
 واستشارهم في الأمر . وهنا يذكر ابن الاثير أن صلاح الدين خيرهم بين السير  
 بمحاذاة الصليبيين في طريقهم الى عكا ومقاتلتهم وهم سائرون وبين أن يسلكوا  
 طريقا آخر غير الذي سلكه الصليبيون ، ويجمعوا بهم على عكا . ونفضل معظم  
 أصحابه الرأي الثاني محتجين بأن السير بمحاذاة الصليبيين فيه مشقة عليهم  
 بسبب وعورة الطريق وضيقه . أما العماد وغيره ممن نقل عنه ، فيذكرون أن صلاح  
 الدين كان يرى أن يسيرهم في الطريق ويواقفهم عند المضيق لينضمهم من  
 الوصول الى عكا . (٥) والحقيقة أن صلاح الدين هاجم الصليبيين أثناء مسيرهم

- 
- (١) عن اليزك أنظر ما سبق ، ص  
 (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٣٣ .  
 (٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٠٣ .  
 (٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٣٤ .  
 (٥) العماد ، الفتح ، ص ٢٩٧ ، ابوشامة ، كتاب الروضتين ، ج ١٢ ، ص ١٤٣ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢١٩ .

لاستطاع تحطيم قواهم ومنعهم من الوصول الى عكا ، والدليل على ذلك أن الصليبيين أنفسهم كانوا يشعرون بذلك بدليل اصرارهم على لزوم ساحل البحر أثناء مسيرهم الى عكا مهما كلفهم ذلك من مشقة ، فضلا عن أنهم كانوا عزلا من السلاح الا الخفيف منه ، وذلك لأن معظم أسلحتهم وذخائرهم كانت محملة في المراكب التي كانت تسير بحذاءهم في البحر . ولعل مما يؤكد ذلك أيضا ما ذكره ابن الأثير من أن المساکر الإسلامية لو اتبعت رأي صلاح الدين في مسيرة الصليبيين ومقاتلتهم قبل نزولهم على عكا لبلغ غرضه وصد هم عنها .  
(١)

ومهما يكن من أمر ، فإن الجيوش الصليبية بقيادة الملك جاي لوزجنا ن وصلت الى عكا وعسكرت على تل الصليبين ، وأحاطت بالديانة احاطة تامة ، ولم يبق للمسلمين طريق اليها . الأمر اضطر صلاح الدين عندما وصل اليها الى اقامة معسكره على تل كيسان وتل العياضية ، حيث أحاط بالصليبيين من الخلف لمنعهم من الخروج وكذلك منع وصول الامدادات اليهم . وبدأ صلاح الدين في مناوشتهم باليزك في وقت كانت المساکر الإسلامية تتوافد للجهاد معه من كافة الأقطار فقد وصله وهو على تلك المنزلة كل من عسائر الموصل وديار بكر وسنجار وبلاد الجزيرة وغيرها .  
(٢)

- 
- (١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٣٤ .  
(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٠٤ - ١٠٥ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٣٤ ، العماد ، الفتح ، ص ٢٩٨ .

ولما رأى صلاح الدين أن الصليبيين قد استداروا بعكا بحيث تمكنوا من منع المسلمين من الدخول والخروج منها ، ثارت همته العالية ، وعزم على فتح الطريق إليها لادخال الميرة والنجدة الى الحامية الاسلامية بالداخل . فاحضر أمراءه وأصحاب الرأي من دولته وشاورهم في مضايقة الصليبيين . واتفق معهم على مضايقة البلد وفتح ثغرة فيه يستطيع منها ادخال المدد الى الحامية بالداخل . فلما كان يوم الجمعة مستهل شهر شعبان من سنة ٥٨٥هـ / سبتمبر ١١٨٩م ، رتب صلاح الدين عسكره مينة وميسرة وقلبا ، ورأى أن يبدأ الحملة عقب صلاة الجمعة تيمنا بدعاء الخطباء . وجرت بين الطرفين حملات كثيرة طوال ذلك اليوم استمرت الى أن حال الظلام بينهما . ولما أصبح يوم السبت ثانى شعبان أنفذ صلاح الدين فرقة من شجمان جيشه الى الناحية الشمالية من عكا مستغلا خلوه ذلك الجانب من خيام العدو ، فلما رأى الصليبيون ذلك أسرع جمع منهم لحماية تلك الجهة . الا أن عسكر المسلمين حطوا عليهم حملات متكررة ، فكسروا الصليبيين كسرة عظيمة وقتلوا منهم جمعا كثيرا ، ثم تبعتهم بقية الجموع الاسلامية ، فحين وقف اليزك الصلابى مانعا الصليبيين من الخروج من معسكرهم ، ومنع من يحاول الدخول اليهم . وهكذا تمكن المسلمون من فتح الطريق الى داخل عكا ، وصار الطريق سهلا يمر فيه السوقى بحوائجه ، ويمر الرجل أو المرأة دون أن يعترض طريقه أحد ، واليزك واقف بين الطريق وبين العدو . ودخل صلاح الدين في ذلك اليوم الى عكا ومعه الجموع الكثيرة من جيشه ، وأشرف على أمورها وأدخل إليها ما أراد من الرجال والنساء والسلاح والاموال .

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٠٥ - ١٠٦ ، ابن الاثير ، الكامل ج ١٢ ، ص ٣٥ ، ابن واصل ، مغزى الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٩٢ - ٢٩٣ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ١٩٤ ، المقرئ ، السلوك ، ج ١ ، =

ويبدو أن المسلمين عندما دخلوا عكا أدركوا أنهم أصبحوا في مركز يمكنهم من مهاجمة الصليبيين في أي وقت ، لذلك تراجعوا عن القتال بعد فتحهم الطريق إلى عكا لسقى الدواب وأخذ الراحة ، على أن يعاودوا قتال العدو صباح الأحد ثالث شعبان . فلما كان الصباح تهيأ المسلمون للقتال وعزموا على مهاجمة العدو . ولكن بعض الأمراء المسلمين رأوا تأخير ذلك الهجوم إلى بكرة الاثنين رابع شعبان ، وأن يدخل المسلمون كلهم إلى داخل عكا ، ويخرجوا مع المسكر المقيم بالبلد لمهاجمة العدو في الخارج . وبالفعل دارت رحى الحرب يوم الاثنين بين المسلمين والصليبيين ، وهاجم المسلمون العدو والصليبي الذي احتسب بخيامه ، وظلت الحرب قائمة بين الطرفين حتى يوم الجمعة ثامن شعبان حيث عزم الصليبيون على ترك خيامهم والانتشار على التلال ، وملاقاة المسلمين الذين ازدادوا همة وشجاعة ، وأقدموا بدورهم لملاقاة الصليبيين . ودار بين الطرفين قتال استمر الليل مع النهار حتى كان الحادي عشر من شعبان ، حيث أدرك صلاح الدين أن تلك الخطة لا جدوى منها ، وأن من الأفضل توسيع الدائرة على الصليبيين لمعلمهم يخرجون إلى مصارعهم . ونقل صلاح الدين ثقله إلى تل العياضية ، وهو تل قبالة تل المصلبين يمتاز بأشرفه على عكا وخيام العدو . (١) وفي تلك المنزلة جرت بين الطرفين مناوشات متقطعة ، فكان المسلمون

= ص ١٠٢ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٤٣ - ٤٤ ، ابن الوردي ، تنمة المختصر ، ج ٢ ، ص ١٤٥ .  
 (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٠٧ - ١٠٨ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٤٣ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٩٤ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٤٤ .

يفادون القتال مع الصليبيين ويرأونهم ، والصليبيون لا يظهرون من معسكرهم  
(١)  
ولا يفارقونه . وكان لا يخلو اليوم الواحد من قتل وسبي وجرح ونهب بين المسلمين  
(٢)  
والصليبيين .

ويبدو أن الصليبيين وهم في تلك المنزلة ملازمون لخيامهم وعساكرهم  
المسلمين تهاجمهم صباحا ومساء ، أدركوا أن ذلك سوف يكبدهم خسائر  
جسيمة ، إذ هو بمثابة استنزاف لهم . لذلك لما كان يوم الأربعاء الحادي  
والعشرون من شعبان تحركت عساكرهم حركة عظيمة لم يسبق لها مثيل — ويبدو  
أن وصول كونراد إلى مونتفرات من صور على رأس قواته اليهم أواخر شهر أغسطس  
سنة ١١٨٩م قد شجعهم على تلك الانتفاضة . واصطف الصليبيون خارج خيامهم  
تعبئة للقتال ، وعزموا على مهاجمة المسلمين . وفي المقابل فإن صلاح الدين  
ما أن علم بتحركهم ذلك حتى أمر الجاويش بالمقاتلة في جيشه " يا للإسلام " (٤)  
فركب المسلمون تعبئة القتال . ولم يزل الصليبيون يتقدمون والمسلمون يسحبون  
في اتجاههم حتى علا النهار وبدأ القتال يتحرك مسيرة الصليبيين على ميمنة  
المسلمين ، ثم ما لبثت المعركة أن اشتدت بين الطرفين واشتركت فيها كل  
الفرق . وتعرضت ميمنة المسلمين للهفط من جانب مسيرة العدو فتراجعت إلى

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٣٦ .

(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٠٨ .

(٣) أنظر سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٥٧ .

(٤) عن الجاويش أنظر ما سبق في الفصل الثاني .

تل العياضية • أما ميسرة المسلمين ، فانها ثبتت لأنها لم تصادف هجوما قويا •  
وهنا أخذ صلاح الدين يقوى الروح المعنوية في نفوس جنده ، فأخذ يطوف  
على الاطلاب <sup>(١)</sup> يعدهم الوعود الجميلة ، ويحثهم على الجهاد • الأمر الذي  
قوى من عزيمة المسلمين للعودة الى القتال خاصة بعد أن رأوا أن ميسرتهم  
لا تزال ثابتة ، فعادوا الى ميدان القتال وحملوا مع بقية الجيوش الاسلامية  
على الصليبيين الذين أخذتهم " سيوف الله من كل جانب " وقتل وأسروا منهم جمع  
كثير ، وكان من جملة الاسرى مقدم الداوية الذي كان صلاح الدين قد أسره  
<sup>(٢)</sup>  
وأطلقه •

ولما قتل من الصليبيين ذلك العدد الكثير ، وجافت الأرض من نثر  
ريحهم خشي صلاح الدين على جيشه من نتيجة ذلك وما قد يسببه من أوبئة  
فحضر عنده الامراء وأشاروا عليه بالانتقال من ذلك الموضع ، وترك مضايقة الصليبيين ،  
ووافقهم الاطباء على ذلك ، فأجابهم صلاح الدين الى ذلك ونقل معسكره الى تل  
<sup>(٣)</sup>  
الخروبه وذلك يوم الخميس ٢٩ شعبان ٥٨٥هـ / منتصف أكتوبر ١١٨٩م •

ويبدو أن الصليبيين قد استفادوا من انتقال صلاح الدين الى هذه

- 
- (١) الاطلاب : جمع طلب ؛ وهو الكتيبة من الجيش ، ومعناه الاصلى الامير الذي  
يقود مائتي فارس في ميدان القتال وأطلق أيضا على قائد المائة أو السبعين )  
أنظر ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦١٤ ، حاشية ) •  
(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٠٩ - ١١٢ ، ابن الاثير ، الكامل ،  
ج ١٢ ، ص ٣٧ - ٣٩ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٤٥ - ١٤٦  
(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١١٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ،  
ص ٤٠ •

المنزلة الجديدة ، وذلك لأن صلاح الدين كان وهو على تل كيسان على اتصال بقواته في عكا ، أما وقد انتقل إلى تل الخروبه فقد غدا في استطاعة الصليبيين (١٠) الاحاطة بحكا احاطة تامة ، فضلا عن أنهم وجدوا بذلك الفرج بعد الضيق فشرعوا في حفر الخندق حول معسكرهم من البحر إلى البحر ، وأخرجوا ما كان في مراكبهم من آلات الحصار وعقوا الخندق ، وأداروا حولهم سورا مستورا (٢) بالاستائر وتركوا له أبوابا يظهرهم منها عند الحاجة .

وعلى الرغم مما ذكره بعض الكتاب الاوربيين من أن جيش صلاح الدين لم يكن في ذلك الوقت في حالة تمكنه من متابعة نجاحه ، وأن صلاح الدين قد استسلم لرأى قاده بالتراجع لاعطاء المسكر راحة كافية بعد غناء خمسين يوما تحت السلاح ، الأمر الذي مكن الصليبيين من تحصين أنفسهم وتعميق (٣) خندقهم . فانه يمكن القول بأن ذلك لم يكن هو السبب في تراجع صلاح الدين بل أن هناك أسبابا أخرى دفعت إلى ذلك ، منها أنه قصد بتراجعهم ذلك انتظار النجدة التي كان يتربص وصولها وفي مقدمتها أخوه الملك الحادل الذي وصل إليه بعد انتقاله إلى تل الخروبه بعدة وجيزة على رأس قواته البرية فضلا عن وصول الاسطول المصري . وما أن اقترب الاسطول المصري من ساحل عكا

(١) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٥٢ .  
(٢) ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ - ٣٠٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٤٠ - ٤١ .

(٣) Ehrenkreutz, Saladin, p. 214, Lane-Poole, op Sit, P. 2,5.



حتى لقيه اسطول الصليبيين ، فدارت بين الاسطولين معركة بحرية قوية ، تمكن  
الاسطول المصرى فيها من تكبيد الاسطول الصليبي خسائر جسيمة وغنم منه  
غنائم كثيرة ، ودخل بعدها الى عكا ، حيث أفرغت المراكب التى تحمل المير  
والذخائر المصاحبة له حولتها داخل البلد ، فطابت قلوب المسلمين داخل  
(١)  
عكا ، وانشروحت صدورهم بذلك . هذا فضلا عن تعرض صلاح الدين لمعرض  
ألم به أثارته تلك الروائح الكريهة التى أعقبت الوقعة الكبرى على عكا ، وكذلك  
(٢)  
تغير الهواء عليه بسبب تقلبات الطقس . كما كان لفزارة الامطار التى أصبح  
الغليين على أثرها عميقا لدرجة أن الجيشين كانا لا يمكنهما الاقتراب من بعضهما  
أثره الكبير فى تراجع صلاح الدين (٣) ولا يستبعد أيضا أن صلاح الدين نظرا  
لحلول شهر رمضان فى ذلك الحين قد رأى تمكين أصحابه من صيامه والاستزادة  
(٤)  
من العبادة فيه .

وعلى كل فقد دخلت سنة ٥٨٦هـ / صلاح الدين مقيم على الخروبيه  
محاضر للفرنج ويزكه وطلائعه لا تتقطع عن قتال الفرنج فى كل يوم ، ينتظرون  
(٥)  
وصول حكام المسلمين الذين وجه اليهم الدعوة لمشاركته الجهاد . فوصله

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٢٢ ، ابن الاثير ، ابن الاثير ،  
الكامل ، ج ١٢ ، ص ٤١ ،

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٤٠ ، Lane-Poole, op, Cit. P. 266.

(٣) Ehrenkreutz, Saladin. P. 214.

(٤) أنظر نظير حسان سعداوى ، التاريخ الحربى المصرى ، ص ٢٣١ .

(٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٤٤ ، المقريزى ، السلوك ، ج ١ ،  
ص ١٠٣

فى ربيع الأول من سنة ٥٨٦ هـ / ابريل ١١٨٩ م رسول الخليفة العباسى ومعه  
 حملان من النفط وجماعة من النفاطين ، ورقعه من الد يوان تتضمن أن يقترض  
 مبلغا من المال من التجار ينفقها فى الجهاد على أن يتولى الد يوان العزيز  
 رد ها . (١) كما وصله فى الشهر نفسه ولده الملك الظاهر غياث الد ين صاحب  
 حلب يومئذ بجيوشه لخدمته والجهاد معه . وفى ربيع الثانى من السنة نفسها  
 وصله عماد الد ين زنكى بن مودود بن زنكى صاحب سنجار على رأس عسكره . وفى  
 جمادى الأولى وصله سند جر شاه معز الد ين صاحب الجزيرة على رأس عسكره  
 أيضا ، كما وصله فى الشهر نفسه علاء الد ين خرمشاه بن مسعود بن مودود  
 ابن زنكى نائبا عن ابيه عز الد ين مسعود صاحب الموصل ، كما وصله فى الشهر  
 نفسه أيضا زين الد ين على بكتكين صاحب اربل . (٢) ولا شك أن صلاح الد ين قد  
 قرح بمقدم هذه الجيوش التى يدل تجمعها ، واستجابتها له بالسير اليه  
 لمشاركته الجهاد ، على تأصل فكرة مشروعية الجهاد الاسلامى فى نفوسهم  
 وحبهم الشديد للد فاع عن حوزة الاسلام ، واعلاء كلمة الله ورد كيد المعتدين .  
 وبالفعل فقد تمكن صلاح الد ين بعد وصول تلك الامدادات من إلحاق  
 خسائر فادحة بالصليبيين الذين كانوا قد تمكنوا خلال مقامه بالخروبة من إقامة

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١١٨ - ١١٩ .

(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١١٨ - ١٢٣ ، ابو شامة ،

كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٥٣ ، المقرئى ، السلوك ،

ج ١ ، ص ١٠٣ .

أبراج ثلاثة من الخشب على عكا طول كل واحدة منها ستون ذراعا ، وكل برج منها  
 مكون من خمس طبقات كل طبقة مملوءة بالمقاتلين • وما أن رأى صلاح الدين ما  
 سببته تلك الأبراج من مخاوف للمسلمين داخل عكا ، حتى أخذ يفكر في إحراقها  
 وإهلاك من بداخلها • فجمع الصناديق من الزقاقين والنفاطين وباحشهم فـ  
 الاجتهاد في إحراقها ، فتقدم لذلك الأمر شاب دمشقي ، استطاع إحراق  
 هذه الأبراج الثلاثة وإهلاك من فيها ، وذلك أنه تمكن من ابتكار عملية كيميائية  
 بارعة ، تتلخص في طبخ بعض الأدوية مع كميات من النفط في قدر من النحاس  
 ومن ثم رميها على تلك الأبراج الثلاثة • وفي الوقت نفسه تقدمت جيوش المسلمين  
 إلى ذلك المكان ، وانزلت بالصليبيين خسائر جسيمة في الأرواح والعتاد (١)

والواقع أن صلاح الدين الذي أهتم بالجهاد ضد الصليبيين في ذلك  
 الحين لم يكشف بتلك الامدادات التي وصلته من المشرق الاسلامي ، بل عمد  
 إلى إرسال سفارة من قبله إلى ملك المشرق أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن  
 يطلب منه الحد وذكر له أنه لم يروأ هلاك كتبه ولا أكفا لانجاده الا ذلك الجانب  
 ( يقصد ملك المشرق ) وذلك لأن همته « لا ترض أن يعين الكفر الكفر ولا يعين  
 (٢)

الاسلام الاسلام » كما طلب منه أن يقطع عن الصليبيين امداداتهم التي كانت

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٢٠ - ١٢١ ، العماد ، الفتح ،  
 ص ٣٧٠ - ٣٧١ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٤٥ - ٤٦ ، ابن  
 واصل ، التاريخ الصالح ، ورقة ٢٠٦ ب ، ابن العديم ، زبدة الحلب ،  
 ج ٣ ، ص ١١٢ •

(٢) أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٧١ •

تصلهم عن طريق البحر ، وذلك باعتبارها في عرض البحر . وعند وصول هذه  
السفارة الى المغرب في سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م تعهد ابو يوسف يعقوب بارسال  
(١)  
اسطوله لمرقلة نشاط الصليبيين في مياه البحر المتوسط .

ويمكن القول بأن الحرب بين المسلمين والصليبيين على عكا لم تسر على  
وتيرة واحدة بل كانت تأخذ في معظم حالاتها أسلوب المناوشات المتقطعة ،  
ولكنها ما تلبث أن تحتدم فتدور بين الطرفين معارك قوية لا تستمر في غالب  
حالاتها وقتا طويلا . فقد حدث في شهر جمادى الآخرة سنة ٥٨٦هـ / يولييه  
١١٩١م أن خرج الصليبيون من وراء خنادقهم بعد أن قضوا خلالها وقتا كانوا  
فيه يشاهدون المناوشات مع الجيش الاسلامي الذي كان يحاصرهم خلف أسوارهم  
وخنادقهم . وتقدموا نحو عساكر المسلمين . وهنا تختلف الروايات في السبب  
الذي دفع الصليبيين الى ذلك التحرك ، فيذكر البعض أن السبب الذي شجعهم  
على ذلك هو وصول فردريك السوابي ابن ملك الالمان الى عكا على رأس فلول  
جيش ابيه . (٢)  
في حين يذكر الحماة الاصفهاني في كتابه الفتح أن سبب تلك  
الانتفاضة الصليبية هو سماعهم بقرب وصول ملك الالمان حيث قالوا " انه اذا جاء  
لا يبقى لنا حكمة " وانهم رأوا أن من الافضل أن يقوموا بهجوم على المسلمين قبل

---

(١) أنظر ابو شامه ، كتاب الرضوتين ، ج ٢ ، ص ١٧٠ - ١٧٤ ، سميح

عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٦٠ .

(٢) الاصفهاني ، البستان الجامع ، ورقة ١٢٩ أ ، الحماة ، الفتح ، ص ٤٠٣

(١)

وصوله لى يشيع اسمهم ويظهرون أمامه بمظهر القوى المنتصير .

ومهما يكن من أمر فان الصليبيين قد وضعوا فى أذهانهم — على ما يبدو — انزال ضربة قوية بقوات الملك العادل القادمة من مصر ، واستمدوا لتوجيه ضربة قوية بتلك المساكر الاسلامية المصرية . والتقى الجمعان ، ودار بينهم قتال شديد . وبالرغم من مباغطة الصليبيين لجيش الملك العادل ، فان تلك القوات الايوبية القادمة من مصر تمكنت من التقدم فى معسكر الصليبيين والوصول الى خيامهم ، حيث قامت فرقة منها بقطع الامدادات التى كانت تصل الصليبيين فى ميدان المعركة . أما صلاح الدين فانه ما أن علم بذلك الهجوم حتى نادى مناديه بالجهاد فركب عسكره تعبئة للقتال ، دارت بين الطرفين معركة حامية انتهت بانتصار مؤزر للمسلمين ، وهذه المعركة هى التى عرفت فى المصادر العربية بالوقعة العادلية .

(٢)

ولم تقتصر الحرب بين المسلمين والصليبيين على عكا على تلك المناوشات المتقطعة وما صاحبها من معارك ضاربة ، بل انها قد اتخذت الى جانب ذلك طابعا آخر استهدف المسلمون منه ما أقامه الصليبيون على عكا من آلات الحصار

(١) العماد ، الفتح ، ص ٤٠٣ .

(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٢٩ — ١٣٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٥١ ، ابوشامه ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٥٨ ، ابن واصل ، مفتوح الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ — ٣٢٧ ، ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٤ ، ص ٢٢٢ — ٢٢٣ .

وأدوات الدفاع • فقد حدث في رجب من سنة ٥٨٦هـ / أغسطس ١١٩٠ أن أشتد طمع الصليبيين في عكا ونصبوا عليها المنجنيقات من كل جانب ، وتناوبوا على رمي البلد بها ليلا ونهارا • ولما رأى من بداخل عكا من المسلمين ما تلحقه تلك المنجنيقات بهم من الضرر ، حركتهم النخوة الاسلامية ، وعزفوا على فتح أبواب المدينة ومهاجمة الصليبيين خارجها ، ففعلوا ذلك وخرجوا دفعة واحدة من كل جانب • وهاجم المسلمون الصليبيين في خيامهم ، فاشتغلوا بحماية خيامهم وتركوا المنجنيقات ، فصوت اليها شهب الزراقين واشتد غلت فيها النيران (١) وأحرقت عن آخرها • وفي شعبان من نفس السنة حاصر الصليبيون برج الذبان ، الذي وصفه ابن شداد ، بأنه برج في وسط البحر مبني على الصخر على باب ميناء عكا لحراسة الميناء لأن المركب متى عبره أمن غائلة العدو • كما أن الاستيلاء عليه يجعل الميناء تحت سيطرتهم فيقبحون السفن المحملة بالمسيرة من الوصول الى البلد • وأحضر الصليبيون سفنا جعلوا على صواريخها برجا عاليا مملوئا بالخطب والنفط ، على أن يسيروها باتجاه البرج ، فاذا قاربت أشعلوا النيران فيها لاحتراق البرج وقتل من عليه من الجنود • وعبسوا سفينة ثانية مملوئا حطباً ووقوداً على أن يدفعوها الى أن تدخل بين سفن المسلمين ، ثم يشعلون النيران لتمتد النيران منها الى سفن المسلمين فتحرقها مع ما فيها من الميرة ، كما شحنوا سفينة ثالثة بالجنود ، وجعلوا عليها حاجزا على هيئة قبو يمنع عنهم

---

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٣٤ ، ابن واصل ، مفتح الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٣٥ •

سهم المسلمين ، فاذا ما أحرقوا ما أرادوا احراقه دخلوا ذلك القبو . وبالرغم من أن اتجاه الرياح كان يادى الأمر يسير على ما يريدون ، فان قدرة الله شاءت بعد أن أشعلوا النار في البرج الذي أقاموه على صواري السفن ، وكذلك السفينة التي كانوا يزعمون ارسالها بين سفن المسلمين ، أن انعكس اتجاه الريح عليهم فاحترقت سفنهم الأولى التي عليها البرج وكذلك الثانية ، ثم امتدت النيران الى التي بها الجنود وعليهم القبو ، فانزعج من بداخلها من الصليبيين ، ولم يستطيعوا الخروج من القبو فهلكوا جميعا .  
(١)

وبالرغم من تلك الكارثة التي حلت بالصليبيين عند محاولتهم الاستيلاء على برج الذبان ، فانهم لم ينقطع أملهم في أخذ ذلك البرج ، حيث عادوا مرة أخرى ، ووضعوا آلة عظيمة على هيئة دبابة لها رأس عظيم برقية شديدة من الحديد تسمى كبشا ينطج بها السور فتهدمه بتكرار نطحها ، كما استخدموا آلة أخرى هي عبارة عن قنوطيه عدد من الجنود ورأسه محدد على شكل السكة التي تستخدم في الحرث تسمى سنورا ، ورأس الكبش مدور يهدم بثقله ورأس السنور يهدم بحدته . كما استخدموا أيضا الستائر والسلايم الكبار الهائلة . وأعدوا فؤ

---

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٣٨ - ١٣٩ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٦٣ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٣٨ ، أنظر أيضا ، العطاء ، الفتح ، ص ٤٢٩ ،

(٢) عن الدبابة أنظر ما سبق ، ص Lane-Poole, op Cit. P. 271.

البحر سفينة عظيمة أقاموا بها برجاً بخرطوم اذا أرادوا قلبه على السور انقلب  
 بالحركات ويبقى طريقاً الى المكان الذي ينقلب عليه فتمشى عليه المقاتلة وعزموا  
 على تقريبه الى برج الذبان فيأخذوه . ولما اكتملت استعداداتهم شرعوا فى  
 الزحف على البلد ومقاتلته من كل جانب وهم فى خلق لا يحصى . وأعملهم  
 المسلمون بادية الأمر حتى نشبت مخالب أطعامهم فى عكا ، وصحبوا آلاتهم  
 تلك وقربوها من الاسوار ، وعندما أصبحوا على تلك الحالة ، صاح المسلمون  
 عليهم صيحة واحدة ، وفتحوا الأبواب « وباعوا أنفسهم لخالقها وباريها » كما  
 يقول المؤرخ ابن شداد ، وهجموا على العدو من كل جانب وكبسوه فى الخنادق .  
 ولما رأوا ما نزل بالصليبيين من الخذلان والهزيمة هجموا على كبشهم فألقوا فيه  
 النار والنفط ، وتمكنوا من احراقه لهرب المقاتلة منه . ثم سرت النار كذلك  
 فى السدور واحرقته ثم علق المسلمون فى الكبش الكلاب الحديدية وسحبوه وهو  
 يشتعل حتى حصلوه عند هم فى البلد ، وكان هذا الكبش يتألف من عدد من  
 الآلات . واقى عليه الماء حتى برد حديدته بعد أيام وكان هذا فى رمضان  
 (١)

من سنة ٥٨٦هـ / اكتوبر ١١٩٠م .

ومن هنا يظهر لنا مدى سيطرة المسلمين على الموقف ، وكذلك مدى ما  
 وصل اليه الصليبيون من الهلع والخوف ، حيث لم يكتف المسلمون بالحق الضرر

---

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٤٠ - ١٤٢ ، العماد ، الفتح  
 ، ص ٤٣٢ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٦٥ ، ابن كثير ،  
 البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٣٨ .



بالآلات الصليبيين ، بل عمدوا الى الاستفادة منها فى جهادهم لتصفيتهم . ولما كان يوم الاربعاء منتصف شهر رمضان خرج المسلمون على ظهور سفنهم ، وباغتوا تلك السفينة الصليبية التى كانت قد أعدت لاختد برج الذبان ، فضربوها بقوارير النفط ، وباءت محاولة الصليبيين لأخذ البرج بالفشل الذريع .<sup>(١)</sup> وفى جمادى الأولى من سنة ٥٨٧هـ / يونيه ١١٩١م ، هاجم الصليبيون سفينة اسلامية كانت قد سیرت من بيروت بعد شحنها بالآلات والأسلحة والميرة والرجال ، وكان مقدّمهم رجلاً شجاعاً . فلما أن رأى أمّارت الغلبة عليهم حتى أشار على أصحابه باغراق سفينتهم بأيديهم لئلا يقطن العدو من الظفر بها ، فوقعوا فى جوانبها بالمعاول حتى دخل الماء اليها ، ففرقت ، وغرق جميع ما فيها من الآلات والمير ، ولم يظفر العدو بشئ منها . وهنا يبدو أن المسلمين الذين كانوا داخل عكا قد أزعجهم ذلك الحدث ، فعزموا على مهاجمة الصليبيين وتكبيد هم خسائر أكثر لكى يثبتوا لهم أن غرق السفينة لم يؤثر عليهم . فحدث فى ذلك الوقت أن اصطنع العدو دبابة عظيمة هائلة مكونة من أربع طبقات ، الطبقة الاولى من الخشب والثانية من الرصاص والثالثة من الحديد ، والرابعة من النحاس ، وكان ارتفاعها أكثر من ارتفاع السور ، وشحنوها بالمقاتلة وقربوها من السور لمهاجمة المسلمين فى الداخل . إلا أن المسلمين بادروا بضربها بالنفط ، واستمر ضربهم ليلاً ونهاراً حتى تمكنوا من اشعال النار فيها واحراقها .<sup>(٢)</sup>

- (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٤٣ .  
 (٢) ابن شداد ، المصدر نفسه ، ص ١٦١ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ص ٦٥ ، العماد ، الفتح ، ص ٤٨٦ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ص ١٨٤ - ١٨٥ .  
 (٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٦٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٢ ، ص ٤٤٣ .

وعلى الرغم من تلك الخسائر التي ألحقها المسلمون بالصليبيين ، فإن الغرب الأوربي لم تنقطع امداداته عن الصليبيين ببلاد الشام . الأمر الذي مكن الصليبيين من مواصلة حصارهم لحكا . ففي الوقت الذي كان صلاح الدين فيه قد حقق انتصارات عظيمة على الصليبيين سواء في المعارك أو في تحطيم آلاتهم وأدواتهم ، وصل الى المشرق الاسلامي أعظم ملوك أوروبا في ذلك الحين وهما الملك فيليب أغسطس ملك فرنسا . وريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا ، اللذين سلكا طريق البحر الى هناك . ولا شك أنه كان لوصولهما أثره البالغ في رفع الروح المعنوية للصليبيين ، حيث أبحر ملك فرنسا من مدينة جنوا ، وأبحر ملك إنجلترا من مرسيليا . وتقابلا في جزيرة صقلية ، وهناك قضيا ومعهما جيوشهما نحو ستة أشهر يتمتعون بدفء الشتاء في الوقت الذي كانت قلوب الصليبيين ببلاد الشام ، المتجمعة أمام عكا . تنتظر حضورهما في قلق بالغ .

وهنا يمكننا أن نتساءل لماذا مكث فيليب أغسطس وريتشارد قلب الأسد تلك المدة الطويلة في جزيرة صقلية ، والذي يبدو أن السبب في ذلك يرجع الى العداء التقليدي المتأصل بين فرنسا وإنجلترا ، ومن المحتمل أن كل من فيليب أغسطس وريتشارد قلب الأسد كان يطمح في أن يسير أحدهما قبل الآخر الى بلاد الشام ليكون كبش الفداء ، اذا ما حدث لتلك الحملة حادث على خلاف

(١) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٦٣ ، باركر ، الحروب

الصليبية ، ص ٨٩ . Lane-Poole, Op. Cit. P. 281.

المتوقع ، بينما يقوم الملك الآخر عند ذلك بدور المنقذ ، ويكون بذلك قد كسب  
 بانهاك القوى الاسلامية بقيادة صلاح الدين ، فضلا عما يناله من مكانة عظيمة  
 في الغرب الأوربي . وما يدل على ذلك أن فيليب أغسطس غادر صقلية في نهاية  
 مارس سنة ١١٩١ م متجها نحو صور حيث رحب به قريبه كونراد مونتفرات الذي  
 صحبه الى عكا فوصلاها ١٢ ربيع الاول من سنة ٥٨٧ هـ / ٢٠ ابريل ١١٩١ م . بينما  
 غادر ريتشارد فيليب قلب الأسد صقلية في ابريل من نفس السنة قاصدا عكا ،  
 فهبت عاصفة قوية أثناء سير سفنه في البحر ، ففقد ريتشارد عددا منها ، لذلك  
 أخذ يجوب جزر البحر المتوسط الشرقية بحثا عن تلك السفن المفقودة . وانتهى  
 به الأمر الى أن رسى في جزيرة قبرص ، حيث وجد أن تلك السفن الضائعة قد  
 رست عند تلك الجزيرة ، وكان حاكمها واسمه اسحق كومنين قد استولى على  
 سفن ريتشارد التي لجأت الى الجزيرة ، فأسر رجالها وغنم ما تحمله . الأمر  
 الذي أغضب ريتشارد منه وجعله يحزم على الاستيلاء عليها . وبحث ريتشارد الى  
 الصليبيين ببلاد الشام يطلب نجدة ، فأنفذوا له جفرى أخو الملك جاي ، فهاجم

( ١ ) النويري ، نهاية الارب ، ج ٢٦ ، ورقة ٣٣ ، ابن شداد ، النوادر السلطانية  
 ، ص ١٥٧ ، الصمد ، النتج ، ص ٤٧٤ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ،  
 ص ١٨٣ ، ابن الحديد ، زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٩٢ ، ابن العبري ،  
 تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٢٢ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ،  
 ص ٨٦٣ ، باركر ، الحروب الصليبية ، ص ٨٩ .

( ٢ ) عين الامبراطور البيزنطي اندرونيق الاول كومنين ( ١١٨٢ - ١١٨٥ م ) قريبه  
 اسحق كومنين على جزيرة قبرص منذ سنة ١١٨٤ م ، غير أن اسحق لم يكسب  
 يصل الى الجزيرة حتى استبد بالامور وقطع صلته بالقسطنطينية ، وتلقب بلقب  
 امبراطور قبرص ، ونجح في توطيد سلطانه في الجزيرة ، حتى تمسك على  
 أباطرة القسطنطينية عزله أو التغلب عليه . ( أنظر سعيد عاشور ، قبرص  
 والحروب الصليبية ، ص ٢٤ ) .

ريتشارد الجزيرة وضيق الخناق عليها ، وانتهى الأمر باستيلائه عليها وكسب

(١)

الصليبيون بذلك مركزا هاما سهل لهم الاتصال مع أوروبا .

سار ريتشارد عقب ذلك من قبرص باتجاه ساحل الشام ، ويقال أن

ريتشارد اتجه أول الأمر الى صور ، فرفضت حاميتها السماح له بالدخول ،

(٢)

وذلك وفقا للتعليمات التي تركها فيليب أغسطس وكونراد . الأمر الذي اضطره

الى الاتجاه مباشرة الى مدينة عكا التي وصلها في ١٣ جمادى الأولى سنة

(٣)

٥٨٧هـ / ٨ يونيه ١١٩١م . وكان لوصول ريتشارد الذي وصفه ابن شداد بأنه

« شديد البأس عظيم الشجاعة ، قوى الهمة له وقعات عظيمة وجسارة على الحرب »

الى بلاد الشام أثره البالغ على نفوس الصليبيين الذين أظهروا الفرح والسرور به ،

(٤)

وعبروا عن ذلك بأشغال النيران العظيمة احتفاءً بحقده .

وعلى كل فان وصول هذين الملكين وهما محملان بالأسلحة والذخائر

والمؤن وغيرها ومعهما الرجال قد أعطى الصليبيين دفعة قوية لمواصلة حصارهم

لعكا . حيث يذكر أن ملك فرنسا قد وصل الى عكا ومعه ست سفن كباره كما

(١) العماد ، الفتح ، ص ٤٧٧ - ٤٧٨ ، أنظر تفصيل ذلك في سعيد

عاشور ، قبرص والحروب الصليبية ، ص ٢٦ - ٣٠ ، باركر ، الحروب

الصليبية ، ص ٨٩ .

(٢) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٦٤ .

(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٦١ ، العماد ، الفتح ، ص ٤٨٤ ،

ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٦٤ ، ابن واصل ، مغرر الكروب ، ج ٢ ،

ص ٣٥٠ .

(٤) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٦١ .

(١)

وصل ريتشارد بعده ومعه خمس وعشرون قطعة مملوءة بالرجال والأموال . وبالرغم

من وضوح ذلك العداء التقليدي بين الملكين أمام عكا ، فإن تلك الحزازات لم

(٢)

تحل دون توحيد صفوف الصليبيين وتشديد الهجمات على عكا . فقد نصبوا

عليها المنجنيقات التي أخذ ضربها يتواتر على أسوار المدينة ليلاً ونهاراً ، وذلك

في مستهل جمادى الآخرة من سنة ٥٨٧هـ / يوليو ١١٩١م . وفي المقابل فإن

صلاح الدين لم اعلم بذلك الهجوم الصليبي على عكا ، جمع الراجل والفارس

وحشهم على الجهاد ، وزحفت جيوشه على خنادق العدو ، واشتد زحفهم على

معسكر الصليبيين ودارت بين الطرفين معارك شديدة يوم الثلاثاء سابع الشهر

نفسه ، استمرت الى أن هجم الظلام فعاد السلطان الى تل المياضية . ولما

(٣)

كان سحر تلك الليلة أمر صلاح الدين بدق الكوس ، وركبت عساكره من كل جانب

واستمر هجومه ذلك حتى الصباح ، ووصل الى معسكره وقد من حامية عكا أطلع

صلاح الدين على ما وصلت اليه الحال في الداخل ، الأمر الذي أثار حمية صلاح

الدين فحث جيشه على تقوية الهجوم . واشتد زحف معسكره على الصليبيين . إلا أن

تلك الهجمات الكاسحة لم تؤثر على صفوف الصليبيين الذين ثبتوا أمام هجمات

المسلمين ، حيث استمر القتال يعمل بين المسلمين والصليبيين على هذه الحال الى أن فصل

(٤)

الليل بينهما .

(١) ابن الاثير، الكامل ج ١٢ ص ٦٤ - ٦٥

Lane-Poole, op. Cit. P. 273.

(٢) سعيد عاشور، الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨٦٥ .

(٣) عن الكوس أنظر ما سبق ص

(٤) ابن شداد، النوادر السلطانية ص ١٦٦ - ١٦٧ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين

ج ٢ ص ١٨٦ أنظر أيضا : Lane-Poole, op Cit. P. 291.

عاد الصليبيون بعد ذلك وشنوا هجوما مكثفا على أسوار المدينة بالآلاتهم  
 ، فانهدمت من السور ثلثة ، ووقف المسلمون للدفاع عنها واستطاعوا سدها ، ففى  
 حين كانت قوات صلاح الدين تهاجم العدو من الخارج الا أن ذلك الهجوم القوي  
 الذى شنه صلاح الدين على الصليبيين لم يفلح فى انقاذ عكا ، فسأت أحوال  
 الحامية الاسلامية ، واضطر من بها من الأمراء الى اجراء محادثات مع الصليبيين  
 على أساس التسليم . وبدأت تلك المحادثات بين الطرفين بأن خرج الأمير  
 سيف الدين المشطوب بنفسه لمقابلة فيليب اغسطس ملك فرنسا . وذكر أن  
 المسلمين كانوا اذا أخذوا بلدا منهم ، وطلب من بذلك الملك الآمان على  
 أنفسهم أعطوهم . وغرض عليهم تسليم البلد له بشرط أن يعطيهم الآمان على  
 أنفسهم . الا أن ملك فرنسا الذى كان بعيدا كل البعد عن صفات الشهامة  
 والعروة التى كان صلاح الدين يتحلّى بها ، امتنع عن اجابة طلبه ورد عليه ردا  
 دل على وخشيته . الأمر الذى أثار نخوة سيف الدين المشطوب ، فأغلظ له  
 فى القول ، وكان مما قال له « انا ما نسلم البلد حتى نقتل بأجمعنا ولا يقتل  
 واحد منا حتى نقتل خمسين نفسا من كباركم » ثم انصرف عن المشطوب ودخل  
 عكا يستثير الناس للجهاد وينذل أورا حهم فى سبيل الله .  
 (١)

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٦٨ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين ،  
 ج ٢ ص ١٨٦ - ١٨٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ص ٦٦ ، ابن  
 واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٣٥٧ ، وسيف الدين المشطوب هو  
 ابو الحسن على بن احمد الهكاري ، المعروف بابن المشطوب ، أحد  
 الأمراء الصلاحية . والهكاري نسبة الى قبيلة من الاكراد لهم معاقل وحصون  
 وقبرى من بلاد الموصل من جهتها الشرقية ، توفى سنة ٥٨٨هـ ( أنظر ابن  
 خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ١ ص ١٨٢ - ١٨٣ ، ج ٣ ص ٣٤٥ ) .

وعلى الرغم من ذلك التعت من ملك فرنسا ٥ فان الصليبيين كانوا بلا شك يحسبون للقوة الاسلاميه حسابا كبيرا بدليل ما ذكره ابن الاثير من أن الصليبيين لم يكتفوا بالتفاوض مع قادة الحامية الاسلاميه بعكا ٥ بل أنهم توجهوا كذلك الى مفاوضة صلاح الدين نفسه ٥ حيث ارسلوا اليه في أمر التسليم ٥ فأجابهم اليه على أن يطلقوا من بعكا من المسلمين ٥ ويطلق هو من أسراهم بعدد من في (١) البلد ٥

ومهما يكن من أمر فان صلاح الدين لما رأى ذلك التعت من الصليبيين ٥ أرسل الى من بعكا من المسلمين يحثهم على الصبر ٥ ويأمرهم بأن يخرجوا من المدينة واحدة بعد أن يحملوا على العدو حملة رجل واحد ٥ ووعدهم بأن يتقدم هو الى تلك الجهة التي يخرجون منها بمساكره ويقاتل الصليبيين حتى يتمكنوا من الخروج اليه ٥ الا أن تلك المحاولة لم يكتب لها النجاح بسبب (٢) سيطرة الصليبيين على البلد ٥ وهنا أدرك من بداخل عكا من المسلمين أنه لم يعد أمامهم سوى الجهاد والاستبسال في قتال الأعداء ٥ فكتبوا الى صلاح الدين يذكرون له أنهم قد تباعوا على الموت ٥ وأنهم قد عزموا على الاستمرار في القتال ٥ وأنهم لن يسلموا ما داموا أحياء ٥

- 
- (١) ابن الاثير، الكامل ٥ ج ١٢ ٥ ص ٦٦ ٥  
 (٢) ابن الاثير، الكامل ٥ ج ١٢ ٥ ص ٦٦ ٥ ابن واصل ٥ مفرج الكروب ٥ ج ٢ ٥ ص ٣٥٨ ٥  
 (٣) ابن شداد ٥ النوادر السلطانية ٥ ص ١٦٩ - ١٧٠ ٥ ابو شامة ٥ كتاب الوضعتين ٥ ج ٢ ٥ ص ١٨٧ - ١٨٨ ٥ ابن واصل ٥ مفرج الكروب ٥ ج ٢ ٥ ص ٣٥٩ ٥

وعلى الرغم من تلك التضحية الكبيرة من أهل عكا وحسبهم للاستشهاد فى  
سبيل الله ، فانه يبدو أن صلاح الدين وأمرائه الذين كانوا بالداخل أمثال  
الأمير سيف الدين المشطوب وغيره ، كانوا حريصين كل الحرص على سلامة أرواح  
المسلمين . يدلنا على ذلك ما ذكر من أن سيف الدين المشطوب عند ما رأى  
الموقف ، خرج الى الصليبيين للمرة الثانية ، وقرر معهم تسليم البلد مقابل  
خروج منه من المسلمين بأموالهم وأنفسهم ، وأبى أن يدفع لهم فدية قد رهبا  
مائتا ألف دينار وخسمائة أسير ، فضلا عن إعادة صليب الصليبيات ، ودفع مبلغ من  
المال الى كونراد مونتفرات صاحب صور . وهنا يذكر المؤرخ ابن شداد ، أن صلاح  
الدين عند ما وصلته رسالة مع أحد العوامين تذكر له تلك الشروط ، أنكر ذلك  
(١) .  
انكارا شديدا .

ومهما يكن من أمر فان الصليبيين قد قبلوا تلك الاتفاقية ، وحلفوا لسيف  
الدين المشطوب فسلم لهم البلد ، ودخلوه سلما . ولما دخل الصليبيون عكا  
نقضوا عهودهم كعادتهم وقد رواى بمن فيه من المسلمين ، واحتاطوا عليهم وعلى  
أموالهم وجسوسهم وذلك فى ١٧ جمادى الآخرة ٥٨٧هـ / يولييه ١١٩١م متظاهرين  
بأنهم فعلوا ذلك حتى يصل اليهم ما اتفقوا عليه من الفدية والاسرى . وهنا شرع

---

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٧٠ - ١٧١ ، أنظر أيضا ابن  
الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٦٧ ، ابوشامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ،  
ص ١٨٨ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٥٩ ، ابن العديم ،  
زبدة الحطب ، ج ٣ ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .



صلاح الدين في جمع الاموال ، واجتمع عنده مبلغ كبير من المال ، واستشار  
 أصحابه في تسليمه للصليبيين ، فأشاروا عليه بأن يمود مرة أخرى فيستحلف  
 الصليبيين على اطلاق أصحابه وان يضمن الداوية ذلك . لأنهم أهل تدين  
 ووفاء . الا أن الداوية امتنعوا عن ذلك ، وقالوا : لا نحلف ولا نضمن لاننا نخاف  
 غدر من عندنا . (١) عند ذلك علم صلاح الدين غدرهم فلم يجبرهم الى ذلك .  
 (٢)

ولما رأى ريتشارد قلب الأسد توقف صلاح الدين عن بذل المال والأسرى  
 و صليب الصليبيات لهم ، لم يعاود الاتصال بصلاح الدين ، بل دفعه تهوره وحققه  
 الى أن ساق أسرى المسلمين الذين بمكة ، وكانوا زهاء ثلاثة آلاف مسلم الى  
 تل المياضية ، وأوثقهم بالحبال ثم حمل الصليبيون عليهم حملة واحدة وقتلواهم  
 عن آخرهم وذلك في ٢٧ رجب ٥٨٧هـ / ٢٠ أغسطس ١١٩١م . (٣)

وشتان بين هذا السلوك الممجى الذي اتبعه ريتشارد مع أسرى  
 المسلمين بمكة ، وبين ذلك السلوك الانساني الذي كان صلاح الدين قد اتبعه  
 مع الصليبيين في مواقف كثيرة ، منها ما فعله بأسراهم عقب انتصاره في حطين

- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٦٨ .  
 (٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٧٤ ، المعاد ، الفتح ، ص ٥١٣ .  
 ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٦٧ - ٦٨ ، ابو شامة ، الروضتين ،  
 ج ٢ ، ص ١٨٨ - ١٨٩ ، سبط ابن الجوزي ، مآثر الزمان ، ج ٨ ، ص ١٠١ .  
 ص ٤٠٧ - ٤٠٨ .  
 (٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٧٢ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ،  
 ص ١٨٩ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٦٣ .

ثم عقب استيلائه بيت المقدس ، اذ حرص دائما على السماح لأهل المدن التي استولى عليها من الصليبيين بمضاد رتبها ساليين • ولا شك أن ذلك التصرف الوحشي الذي أتاه ريتشارد مع أسرى المسلمين في عكا لم تكن له نتيجة سوى إثارة النفخة الاسلامية في صفوف المسلمين ، الذين استشعروا ذلك الخطر الصليبي ، فهبوا من كافة اقطار الاسلام للجهاد ضد الصليبيين • وبالفعل فان الجيوش الاسلامية قد منعت الجيوش الصليبية من تحقيق أي انتصار عقب دخولهم عكا ، وذلك لتفاني الجيوش الاسلامية في ميادين القتال لشموها بزيادة الخطر الصليبي • فضلا عما أعقب دخول الصليبيين عكا من خلاف وشقاق بين قادتهم أدى إلى اختلاف كلمتهم وعجزهم عن تحقيق انتصار آخر غير دخولهم عكا ذلك الانتصار الذي لا يقاس في حد ذاته بما لحق بالصليبيين من خسائر •

#### معركة ارسوف وفشل ريتشارد قلب الاسد في استرجاع بيت المقدس :

وكيفما كان الأمر فبعد أن تمكن ريتشارد من دخول عكا بدأ يفكر في استرداد مدن الساحل الشامي التي استولى عليها صلاح الدين • ففي مستهل شعبان من سنة ٥٨٧هـ / أواخر أغسطس ١١٩١م ، أمر ريتشارد جيوشه بالمسير عبر الساحل في اتجاه حيفا • وما أن علم صلاح الدين بمسيرهم حتى نادى في عسكره بالجهاد ، وأمرهم بالمسير لملاقاة الجيش الصليبي واثناؤه عن تحقيق مهمته ، فقامت فرقة من جيش المسلمين بمضايقة الصليبيين أثناء مسيرهم ، بينما قامت فرقة أخرى بالانقضاض على مؤخرة جيشهم فقتلوا منها جماعة وأسروا

(١)  
جماعة أخرى .

وعلى الرغم من ذلك فقد تمكن الصليبيون من دخول حيفا ، ثم الميسير  
منها الى قيسارية والنزول بها أيضا . أما المسلمون فقد باتوا قريبا ، فخرج  
جماعة من الصليبيين وأبعدوا عن معسكرهم ، فيها جميعهم المسلمون ، وقتلوا وأسروا  
عددا كبيرا منهم . ولاقى الصليبيون أثناء زحفهم الى قيسارية مشاق كثيرة بسبب  
وعورة الطريق ، حتى أن ريتشارد نفسه أصيب بجروح ورضوخ ، ما جعله  
يطلب فتح باب المفاوضات مع صلاح الدين . وهنا يبدو أن صلاح الدين أراد  
أن يكسب الوقت حتى تصل قواته من التركمان التي كان قد أرسل في طلبها ،  
فتظاهر بقبول مبدأ المفاوضات (٢) وأتاب عنه أخاه الملك العادل في تلك  
المفاوضات . وبالفعل فقد دارت المفاوضات بين الملك العادل وريتشارد الذي  
كان حاصل كلامه " انه قد طال القتال بيننا ، ونحن جئنا في نصره أصحاب  
الساحل ، فاصطلحوا أنتم وهم ، وكل منا يرجع الى مكانه " فأجابه الملك العادل  
بمسألة عن شروط اتظام الصلح ، فقال ريتشارد " على أن يسلم الى أعمال  
الساحل ما أخذتم من البلاد " فرفض العادل ذلك الطلب . (٤)

- 
- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٦٩ ، ابن شداد ، النوار السطانية ،  
ص ١٨٣ .  
(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٦٩ .  
(٣) أنار سميد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٧٥ .  
(٤) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٦٧ ، أنظر أيضا ابن شداد ،  
النوار السطانية ، ص ١٨٢ ، الحماد ، الفتح ، ص ٥٤٢ .

ويبدو أن كلا من الطرفين أدرك بعد ذلك أنه لم يبق أمامه سوى معاودة القتال ، فسار الصليبيون من قيسارية إلى أرسوف<sup>(١)</sup> . وهناك وجدوا أن المسلمين قد سبقوهم إليها . ودارت بين الطرفين معركة كبيرة في شعبان من سنة ٥٨٧هـ / سبتمبر ١١٩١م . وقد سارت المعركة بادئ الأمر في صالح المسلمين ، حيث أحاط فرسان الايوبيين بالصليبيون ، وأوشكوا أن يقضوا عليهم كما حدث في معركة حطين ، إلا أن الصليبيين عادوا واجتمعوا وحملوا على المسلمين حملة واحدة من كل الجوانب<sup>(٢)</sup> . ولما رأى صلاح الدين ما نزل بالمسلمين صاح فيهم - وحرضهم على الجهاد في سبيل الله ، وبقي هو ثابتا في المعركة . فلما رأى الناس على تلك الحالة من الشجاعة والصبر توافدوا عليه ، وقاتلوا الصليبيين قتال الأبطال حتى تمكنوا من دحرهم واجبارهم على التراجع إلى منزلتهم<sup>(٣)</sup> .

ومهما يكن من أمر فانه بالرغم من دخول الصليبيين عكا ، ومن ثم محاولتهم الاستيلاء على مدن الساحل ، فانهم لم يستطيعوا تحقيق هدفهم الاساسي وهو استعادة بيت المقدس من المسلمين . وعاد معظم الصليبيين بما فيهم فيليب اغسطس ملك فرنسا خائبين إلى أوطانهم ، وظلت مسؤولية استمرار الحرب ضد

---

(١) أرسوف : مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا ( أنظر ياقوت

معجم البلدان ) .

(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٨٣ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ،

ج ٢ ، ص . أنظر سميد عاشور الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٧٥ .

(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٨٤ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة

الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٤٠٩ .

(١)

صلاح الدين على عاتق ريتشارد ملك إنجلترا • ولم يجن ريتشارد من دخول  
عكا وما أعقبه من محاولة استعادة مدن الساحل الجنوبية سوى المتاعب • خاصة  
يعد تمكن المسلمين من ارجاعه الى منزله في معركة ارسوف بالاضافة الى اقدام  
صلاح الدين على تلك الخطوة الجريئة وهي تدوير أسوار عسقلان واحراقها وسط  
ذهول الناس • وقصد صلاح الدين من ذلك منع العدو من الاستفادة بشئ من  
تحصيناتها وأموالها • ولم يجز ريتشارد عقب معركة ارسوف على المسير  
الى بيت المقدس مباشرة بل اتجه بعدها الى اعادة بناء أسوار مدينة يافا • وأضاع  
في ذلك وقتا ثميناً • تمكن صلاح الدين خلاله من اكمال استعداداته وتنظيم  
صفوفه • (٢)

وأخيرا قرر ريتشارد السير الى بيت المقدس • فترك الصليبيون يافا  
واتجهوا الى الرملة في ذي القعدة من سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م • وما أن وصلوا  
اليهبة حتى أصيبوا بخيبة أمل شديدة بسبب اقدام صلاح الدين على تخريب  
وتخريب مدينة اللد معها • في حين أقام صلاح الدين معسكره على النطرون  
استعدادا لملاقاة الصليبيين • الا أنه أدرك أن من الاحسن تخريب النطرون

(١) Ehrenkruetz., Saladin., P. 216.

(٢) ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ١٨٧ • سبط ابن الجوزي • مرآة  
الزمان • ج ٨ • ق ١ • ص ٤١٠ • ابن الاثير • الكامل • ج ١٢ • ص  
٧١ •(٣) ابن الاثير • الكامل • ج ١٢ • ص ٧٢ • ابو شامة • الروضتين • ج ٢ •  
ص ١٩٢ • سعيد عاشور • الحركة الصليبية • ج ٢ • ص ٢٧٧ ظ - ٨٧٨ •

والمسير إلى بيت المقدس لاحكام الدفاع عنها ، باستكمال تحصيناتها وترتيب  
(١)  
أمرها .

ولم يكتف صلاح الدين بإقامة معسكره في بيت المقدس بعد تحصينه ، بل  
أخذ يراقب تحركات الجيوش الصليبية ، ومضايقتها في طريقها بواسطة يزكسه  
الذي استطاع أسر<sup>نصف</sup> وخمسين فارسا من مشاهير الفرسان الصليبيين أثناء مسيرهم  
من الرملة إلى النطرون .<sup>(٢)</sup> هذا بالإضافة إلى ما قام به جماعة من البدو الأعراب  
بإيحاء من صلاح الدين بالآغارة على مؤخرة الجيش الصليبي وتكبيد هه خسائر  
فادحة في العتاد والأرواح فضلا عن قطع خطوط مواصلاته والدليل على ذلك  
ما ذكره ابن شداد من أن صلاح الدين أوعز إلى ثلاثمائة من الأعراب بالآغارة  
على الصليبيين لكبس معسكراتهم ومضايقتهم فتكنوا من تكبيد هم خسائر في الأموال  
والامتعة والخيول .<sup>(٣)</sup>

ومهما يكن من أمر فإن تلك المحاولة التي نظمها ريتشارد لاستعادة  
بيت المقدس من المسلمين قد باءت بالفشل الذريع ، أمام تصميم المسلمين على  
الجهاد في سبيل الله لتصفية الوجود الصليبي في بلاد الشام ، فضلا عما ذكر

---

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٩١ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٢

ص ٧٣ - ٧٤ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٧٤ ، أنظر أيضا ، ابن شداد ، النوادر  
السلطانية ، ص ٢١٢ .

(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٩٢ - ١٩٣ .

من عوامل أخرى ، منها تخوف ريتشارد نفسه من الوصول الى بيت المقدس .  
يد لنا على ذلك ما ذكره المؤرخ ابن الاثير من أن ريتشارد طلب ممن معه من  
الصليبيين المشاهير أن يصفوا له مدينة القدس التي لم يسبق له رؤيتها  
فوصفوها له فرأى أن الوادي يحيط بها ما عدا موقعا يسيرا من جهة الشمال ،  
فسأل عن الوادي وعن عمقه ، فأخبروه بأنه عميق وعرا المسالك ، فقال لهم : « هذه  
مدينة لا يمكن حصرها مادام صلاح الدين حيا وكلمة المسلمين مجتمعة ، لأننا  
أنزلنا في الجانب الذي يلي المدينة بقيت سائر الجوانب غير محصورة ، فيدخل  
اليهم منها الرجال والذخائر وما يحتاجون اليه ، وإن نحن افترقنا فنزل بعضنا  
من جانب الوادي ، وبعضنا من الجانب الآخر ، جمع صلاح الدين عسكره  
وواقع احدى الطائفتين ، ولم يمكن الطائفة الاخرى اتجاه أصحابهم ، لأنهم  
انفارقوا مكانهم خرج من بالبلد من المسلمين فغنموا ما فيه ، وإن تركوا فيه من  
يحفظه وساروا نحو أصحابهم ، فإلى أن يتخلصوا من الوادي ويلحقوا بهم يكون  
صلاح الدين قد فرغ منهم ، هذا سوى ما يتعذر علينا من إيصال ما يحتاج  
اليه من الحلقات والأقوات » فلما قال لهم ذلك لم يعارضه أحد بل استصوب  
الجميع رأيهم نظرا لقلدة الميرة عندهم ، وأشاروا عليه بالعودة الى الرملة ، فعادوا  
دون تحقيق هدفهم خائبين خاسرين .  
( ١ )

---

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٧٥ .

انتصار صلاح الدين وصلاح الرملة سنة ٥٨٨هـ / ١١٩٢م :

وفي الوقت الذي عجز فيه ريتشارد قلب الأسد عن تحقيق الهدف الاساسي الذي خرجت من أجله الحملة الصليبية الثالثة الى بلاد الشام ، وهو استعادة بيت المقدس ، واجه ملك إنجلترا مشاكل كثيرة كان لها الأثر الأكبر في اضطارره الى قبول الصلح والنزول على شروط المسلمين . فقد حدث أن احتدم خلاف كبير بين كل من كونراد دي مونتفرات ، وجاي لوزجنان ، كان لهذا الخلاف الأثر البالغ في تهديد وحدة الصليبيين ببلاد الشام ، إذ كان كل منهما يرى نفسه صاحب الحق الشرعي في مملكة بيت المقدس ، ورأى البعض أن كونراد كان هو صاحب الحق الشرعي في مملكة بيت المقدس نظرا لزوجته — من ايزابيل وريثة المملكة — فضلا عن تمتعه بتأييد فرسان المملكة الذين كانوا يكرهون الملك السابق جاي لأنهم كانوا يعتبرونه مسؤولا عن كارثة حطين .<sup>(٢)</sup> والذي يهمنا من ذلك هو ما ترتب على هذا الخلاف من قيام كونراد بمحاولة الاتصال بصلاح الدين أثناء بدء المفاوضات بين المسلمين والصليبيين حيث أراد كونراد منافسة ريتشارد والتفاوض مع صلاح الدين على حده<sup>(٣)</sup> الأمر الذي كان له أثره البالغ على أضعاف صفوف الصليبيين .

ويبدو أن ريتشارد ، أدرك خطورة ذلك التصرف من كونراد ، خاصة

(١) العماد ، الفتح ، ص ٤٩٤ .

(٢) أنظر سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٨٤ .

(٣) أنظر تفصيل ذلك في ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٩٩ — ٢٠٦ .  
٢٠٧ .



(١)

بعد فشله في محاولة ارضاء كونراد واسترجاعه اليه ، فعمد ريتشارد الى عقد

مؤتمر عام ضم الامراء والفرسان لاستفتاءهم في مشكلة أيهما صاحب الحق الشرعي

بحرهن مملكة بيت المقدس كونراد أم جاي ؟ وعقد المؤتمر في عسقلان في ابريل

(٢)

سنة ١١٩٢م فأجمع الامراء اجماعا شبه تام على اختيار كونراد ، ولكن الحياة

لم تطل بكونراد اذ قتل بيد اثنين من الباطنية أصحاب راشد بن سنان ، وهنا

تكاد تجمع المصادر الاسلامية على أن قتل الباطنية له كان بتحريض من الملك

(٣)

ريتشارد ، ويشذ عن ذلك ابن الاثير الذي ذكر أن ذلك كان بتحريض من صلاح

(٤)

الدين ، والذي لا شك فيه ان ما ذهب اليه ابن الاثير - الذي عرف بتجامله

على صلاح الدين نظرا لأنه كان ربيب البيت الزنكي - بعيد عن الصحة ، فالى

كونه قد خرج عن الاجماع ، فان مروءة صلاح الدين وشهامته لم تكن تدعه يفعل

ذلك ، كما يبدو أن بقاء كونراد حيا ، كان في صالح المسلمين لأن وجوده

(٥)

كان يشكل عامل خلاف في صفوف الصليبيين .

اليد

وبوفاة كونراد دى مؤنثرات ، فقد الصليبيون زعيما قويا كانت له الطولى

في قتال المسلمين ، كما أن مقتله بتحريض من الملك ريتشارد سوف تتعكس آثاره

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص

(٢) أنظر سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٨٥ .

(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ٢٠٨ ، ابن واصل ، فوج الكروب ،

ج ٢ ، ص ٣٨١ - ٣٨٢ وابوشامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٩٦

ابن كبير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٤٨ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٧٨ - ٧٩ .

(٥) أنظر سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٨٦ ( حاشية ) .

على أقارب كونراد وأتباعه • إذ لا شك أن ذلك الحدث سوف يكون له مردودة  
في نفوس هؤلاء الأقارب والاتباع ، الأمر الذي يترتب عليه مطاع كثيرة للصليبيين  
ببلاد الشام •

وعلى كل فإن فشل ريتشارد في تحقيق أهدافه ، جعله يدرك أنه لم  
يعد بإمكانه البقاء في بلاد الشام ، وإن عليه إنهاء الحرب مع المسلمين والصويدة  
إلى بلاده • والواقع أن فشله في تحقيق أهدافه لم يكن العامل الوحيد الذي  
دفعه إلى ذلك ، بل تضافرت عوامل أخرى كثيرة ، كان لها الأثر البالغ في  
حرصه على تحقيق صلح مع المسلمين بأية وسيلة كانت ، وبالإضافة إلى نتائج مقتل  
كونراد ورد إلى ريتشارد سوء الأحوال الداخلية في بلاده <sup>(١)</sup> • فقد ذكر أن  
ريتشارد في تلك الأثناء وصلت أخبار سيئة من الغرب تؤكد فتنة أخيه حنا ضده  
الأمر الذي تطلب منه سرعة العودة إلى بلاده بالإضافة إلى مرضه مرضاً شديداً <sup>(٢)</sup>  
أشرف منه على الهلاك ، وضرب صلاح الدين أثناء مرض ريتشارد أروع المثل في <sup>(٣)</sup>  
المروءة والشهامة والكرامة ، فلم يعبأ بما جرى بينه وبين ريتشارد من صراع  
وحروب ، بل سارع إلى إمداده بالثلج والفاكهة • وإلى جانب ذلك فهناك عامل <sup>(٤)</sup>

(١) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٩٩ ، أبو شامة ، كتاب الروضتين  
ج ٢ ، ص ٢٠٢ •

(٢) حميد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٨٥ •

(٣) ابن الفرات ، م ٤ ، ج ٢ ، ص ٨ ، ابن خلدون المبر ، ج ٥ ، ص ١٥٠

(٤) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢٣٢ ، أبو شامة ، كتاب  
الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ • ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص

آخر يزيد أهمية عن ذلك ، هو انتصار المسلمين في مواقع كثيرة في سنة ٥٨٨ هـ .  
 فقد ذكر ابن واصل في كتابة التاريخ الصالحى أن وقعات كثيرة جرت بين  
 المسلمين والصليبيين في هذه السنة ، كان الظاهر فيها للمسلمين الا وقعة  
 واحدة <sup>(١)</sup> . مما يزيد تأييد حرص ريتشارد على تحقيق ذلك الصلح مع المسلمين  
 ما ورد في المصادر من نصوص على لسان ريتشارد نفسه تدل على خضوعه التام  
 وحرصه الشديد على تحقيق الصلح مع المسلمين بأى وسيلة كانت ، من ذلك  
 ما ورد فى احدى محادثاته الصلح حيث ذكر أن ريتشارد قال لأحد الرسل  
 « قل لآخى - يعنى الملك المادل - يصر كيف يتوصل <sup>الى</sup> السلطان في معنى  
 الصلح <sup>(٢)</sup> » ومنها أيضا قوله لاحد أمراء المسلمين « سلم على السلطان وقله بالله  
 عليك أجب سؤالى في الصلح <sup>(٣)</sup> » .

والحقيقة أن مباحثات الصلح بين صلاح الدين وريتشارد قد بدأت منذ  
 الايام الاولى لوصول ريتشارد الى المشرق ، يدلنا على ذلك ، قيام ريتشارد  
 بالاتصال بصلاح الدين بمجرد مضي عشرة أيام من وصوله الى المشرق وبعد  
 اشتراكه في معركة واحدة ، حيث أوفد رسولا من قبله يحل رسالة الى صلاح

- 
- (١) ابن واصل ، التاريخ الصالحى ، ورقة ٢٠٨ أ .  
 (٢) ابن علكاد ، النوادر السلطانية ، ص ٢٣٢ ، ابو شامة ، كتاب الروضتين  
 ج ٢ ، ص ٢٠٣ .  
 (٣) ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ ، ابن واصل ، مفتح  
 الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٩٩ .

الدين يطلب منه فيها الاجتماع به . الا أن صلاح الدين رد عليه بقوله : ان  
الملوك لا يجتمعون الا عن قاعدة ولا تحسن الحرب بعد الاجتماع والمواكلة .<sup>(١)</sup> وأدرك  
صلاح الدين أن هدف ريتشارد من ذلك هو تفتير العزمت وتضييع الاوقات على  
المسلمين .<sup>(٢)</sup>

وبالرغم من أن هذه الاتصالات بين صلاح الدين والملك ريتشارد قد  
انقطعت بعد تلك الجريمة البشعة التي ارتكبها ريتشارد ضد أسرى عكا بعد أن  
قطع لهم عهداً بتأمينهم مقابل تسليم البلد له فان ريتشارد وجد نفسه بعد دخوله  
عكا وفشله الاستيلاء على بعض المدن الساحلية مضطراً الى العودة الى الاتصال  
بصلاح الدين وهنا يأتي دور الملك العادل الذي لعب الدور الأكبر في ذلك  
مع الملك ريتشارد بتفويض من أخيه السلطان صلاح الدين . وكما سبق أن رأينا  
فقد كان أول اتصال بين العادل وريتشارد يوم ٢٢ شعبان من سنة ٥٨٧هـ /  
سبتمبر ١١٩١م . وانتهى ذلك الاتصال بأن رفض الملك العادل ما عرضه عليه  
ريتشارد من شروط .<sup>(٣)</sup>

ولم يمض على ذلك سوى مدة وجيزة حتى عاد ريتشارد مرة أخرى الى طلب

- 
- (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٦٠ ، نظير حسان سعداوى ،  
الحرب والسلام ، ص ٣٢ .  
(٢) ابوهامه ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٨٦ ، لفين واللوب ، هفتنج  
الكروبي ، ج ٢ ، ص ٣٥٥ .  
(٣) أنظر ما سبق ، ص ٦٠ - ٦١ .

الصلح حيث بحث رسالة الى صلاح الدين في المشرق الاخير من رمضان من سنة ٥٨٧هـ / اكتوبر ١١٩١م . ذكر فيها أن مطالبة هي القدس لانه مقعدهم فلا يستطيعون النزول عنه ولو لم يبق منهم واحد ، ثم الصليب الذي يعد عند المسلمين خشبة لا قيمة له ، الا أنه عندهم شيء عظيم . وطلب من صلاح الدين أن يمن به عليهم كما طلب من صلاح الدين أن يعيد اليهم ما هو قاطع نهر الاردن من البلاد . فرد عليه صلاح الدين بقوله «القدس لنا كما هو لكم وهو عندنا أعظم مما هو عندكم ، فانه مسرى نبينا ومجتمع الملائكة ، فلا يتصور أن ننزل عنه ، ولا نقدر على التلطف بذلك بين المسلمين ، أما البلاد فهي لنا في الاصل ، واستيلاؤكم كان طارئا عليها لضعف من كان بها من المسلمين في ذلك الوقت ، وأما الصليب فهلاكه قرينة عظيمة ، ولا يجوز أن نفرط فيه الا (١) لصلحة راجعة الى الاسلام هي أوفى منها » .

لم يياس ريتشارد من رد صلاح الدين ، بل ظل مصمما على مواصلة المفاوضات مع المسلمين للتوصل الى صلح يمكنه من الجلاء عن المشرق الاسلامي بصفة مشروعة لا تهمز مكانته بين الاوربيين ، ولكنه هذه المرة أدرك أن المحادثات لن تجدي مع صلاح الدين ، فعمد الى طريقة أخرى للمفاوضات مع صلاح الدين تلعب العاطفة دورا كبيرا فيها . فأنفذ رسولا من قبله الى الملك العادل في ٢٩

---

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٩٣ - ١٩٤ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١٤١ ، ص ٤١٠ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .

رمضان ٥٨٧ هـ / ٢٠ أكتوبر ١١٩١ م يمرض عليه الزواج من أخته جوانا أرملة  
 وليم الثاني ملك صقلية ، على أن يكون لها البلاد الساحلية الإسلامية والصليبية ،  
 لها من جانب أخيها ، والإسلامية للملك العادل من جانب أخيه السلطان صلاح  
 الدين ، وأن يحكم الملك العادل جميع البلاد الساحلية وينفذ فيها أمره على  
 أن يرضى العادل مقدس الصليبيين والداوية والاستتارية باقطاعهم ما أراد من  
 القرى دون الحصون ، وتكون جوانا مقيمة بالقدس ومعها رهبان وقسيسون  
 في صحبتها . (١)

رأى الملك العادل في ذلك مصلحة ، وهاور صلاح الدين ، فوافق عليه ،  
 رغم أنه رآه صلاح الدين أن ذلك لن يتم ، وإنما ذلك مجرد مكر وخدعة من الملك  
 الإنجليزي . وبالفعل فقد دلت الأحداث على صحة هذا الاعتقاد . إذ ما كاد  
 خبر ذلك الزواج ينتشر في الأوساط الصليبية حتى دخل الصليبيون على جوانا  
 وخوفوها ، وأعلموها أن ذلك قبيح ومخالف لمقيدتهم ، وفيه عيبان للمسيح  
 واغضب له ، فوافقهم على ذلك ، ورفضت ذلك الزواج . وأمام ذلك الرفض لم  
 يستطع ريتشارد أن يفعل شيئاً واكتفى بأن اقترح أن يتم ذلك المشروع بأحد

- 
- (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢٠٣ ، العماد ، الفتح ، ص ٥٥٥  
 ، ابن واصل ، طبع الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ .  
 (٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢٠٣ ، العماد ، الفتح ، ص ٥٥٥  
 ، ابن واصل ، طبع الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ ، طبع الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ ، ابن واصل ،  
 ، ابن واصل ، طبع الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ ، طبع الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ .

أميرين ، أما أن يدخل العادل في دين أخيه وأما أن يزوجه بابنة أخيه التي  
(١)  
كانت بكرا لا تحتاج الى موافقة البابوية ، فرفض العادل ذلك بشدة .

وما لبثت تلك المفاوضات حول مشروع الصلح أن توقفت لفترة مؤقتة  
ربما كان ذلك بسبب شعور ريتشارد بالحرج أمام صلاح الدين لانكشاف نواياه  
الخداعية ومماطلته ، ثم ظهر لريتشارد حزب معارضى بزعامة كونراد مونتفات  
صاحب مدينة صور ، إذ أخذ كونراد ينافس ريتشارد في كل شيء من ذلك  
محادثات الصلح مع صلاح الدين . فقد حدث في ١٤ شوال من سنة ٥٨٧هـ /  
٤ نوفمبر ١١٩١م أن بحث كونراد رسولا من قبله الى صلاح الدين ، عرض عليه  
المصالحة بشرط أن يتنازل له صلاح الدين عن صيدا وبيروت ، على أن يجاهر  
المسيحيين بالعداوة ، ويقصد عكا ويحاصرها ويستلخصها للمسلمين ، فأجابته  
صلاح الدين الى ذلك بعد أن اشترط عليه أيضا أن يطلق من بها ومن بصرى  
من أسارى المسلمين . (٢)

والذى يهمنا هنا هو أن اقدام صلاح الدين على هذا العمل يعد غاية  
في الحنكة السياسية وتصريف الأمور إذ أن ذلك الخلاف بين ريتشارد وكونراد

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢٠٣ ، العماد ، الفتح ، ص ٥٥٥  
، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٨١٠ ، ابن واصل  
، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ ، نظير حسان سعداوى ، الحروب  
والسلام ، ص ٤٠ .

(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٩٠ ، ابن واصل ، مفرج الكروب  
، ص ٣٧٢ .

قد ازداد حدة ٥ وأخذ كل منهما ينافس الآخر في إيفاد الرسل الى صلاح الدين لكسب صداقته ٥ الأمر الذي أشعل نار الحقد والكراهية بينهما خاصة وبين الصليبيين عامة ٥ ذلك أن ريتشارد ما أن علم بسفارة كونراد الى صلاح الدين حتى سارع باستئناف المفاوضات مع المسلمين ٥ وطلب الاجتماع بالملك العادل ٥ فاجتمعا على وليمة كبرى ودارت بينهما محادثات وانفصلا عن تواد ومطايبة ومحبة ٥ ثم رجا ريتشارد من الملك العادل أن يأخذ موافقة من أخيه صلاح الدين في الاجتماع به ٥ فامتنع العادل وقال « ان الملوك اذا اجتمعوا تفتح بينهم المخاصمة بعد ذلك ٥ واذا انتظم أمر حسن الاجتماع » ٥ (٣)

وعلى كل فان صلاح الدين رأى أن من الأفضل قطع مفاوضات كونراد والاستمرار في مفاوضة ريتشارد ٥ وعلى ٥ للتاقتل كونراد. كما سبق أن أشرعنا ٥ (٤) وتعددت الاجتماعات بين الملك العادل وريتشارد حول مصير بيت المقدس والمدن الساحلية خاصة عسقلان التي كان ريتشارد حريضا على تسليمها دون خرابها ٥ (٥) الا أن صلاح الدين نفسه كان بلا شك لا يرغب في الصلح المشروط لأنه كان عقد نية الجهاد ٥ وحزم الأمر على الاستمرار على الجهاد لأنه كان

(١) نظير حسان سحداوى ٥ الحرب والسلام ٥ ص ٤٣ ٥

(٢) ابن شداد ٥ النوادر السلطانية ٥ ص ٢٠١ ٥

(٣) ابن واصل ٥ مفرج الكروب ٥ ج ٢ ٥ ص ٣٧٤ ٥

(٤) أنظر ما سبق ص

(٥) ابن شداد ٥ النوادر السلطانية ٥ ص ٢٢٨ ٥ أبو شامة ٥ الروضتين ٥ ج ٢ ٥

ص ٢٠٢ ٥ ابن واصل ٥ مفرج الكروب ٥ ج ٢ ٥ ص ٣٩١ ٥



يدرك بعد تعنت ريتشارد ، أن الجهاد هو السبيل الوحيد لحمل الصليبيين  
على الرحيل نهائيا من المشرق الاسلامي دون قيد أو شرط .<sup>(١)</sup>

الا أن ريتشارد رأى نفسه مضطرا الى العودة السريعة الى بلاده  
بسبب ظهور القلاقل بها ، فضلا عن فشله في تحقيق أى شىء من أهدافه ،  
بالإضافة الى ما أحرزه صلاح الدين من انتصارات على الصليبيين ، لعل أهمها  
استيلاءه على يافا في ٢٠ رجب ٥٨٨هـ / ١١٩٢م ، تلك التي أثار الاستيلاء  
عليها تأثيرا بالغا على الصليبيين .<sup>(٢)</sup> الأمر الذي كان له أثره على ريتشارد  
الذي اشتد به المرض في ذلك الوقت ، وكانت رسله تتردد على صلاح الدين  
في طلب الفاكهة والثلج ، كما أوقعه مرضه في شهوة الكشرى والخوخ ، وكان  
صلاح الدين بتسامحه بهدء . بذلك . فبحث ريتشارد الى صلاح الدين يتوسل  
اليه : أن يختار أحد أمرئين إما أن ينزل له عن عسقلان ، وإما أن يعطيه عوضا  
عن خسارته في عمارتها ، إلا أن صلاح الدين رفض ذلك الطلب ، لذلك لم  
يجد ريتشارد — الذي كانت حالته قد ازدادت سوءا — بدا من التنازل عن  
عسقلان وعن العوض عنها . واستقرت القاعدة بين المسلمين والصليبيين على أن  
تكون عسقلان خرابا ، وأن يكون للصليبيين يافا وعملها — باستثناء الرملة واللد

(١) نظير حسان سحداوى ، الحرب والسلام ، ص ٤٦ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٨٤ .

(٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٤٠٢ .

ومجد ليا به وكذلك قيساريه وعظمها وارسوف وعظمها وحيفا وعظمها وعكا وعظمها —

ما عدا الناصرة وصفورية — وتكون بلاد اللد والرملة مناصفة بين الطرفين •

واشترط صلاح الدين دخول بلاد الباطنية • واشترطوا هم دخول صاحب انطاكية

(١)

وطرابلس • وحلف الطرفان على ذلك في ٢٢ شعبان ٥٨٨ هـ / ٢ سبتمبر ١١٩٢ م •

(٢)

على أن تستمر تلك الهدنة ثلاث سنين وثلاثة أشهر •

ولما انفصل أمر الهدنة اذن صلاح الدين للصليبيين بزيارة بيوت

(٣)

القدس واختلط عسكر المسلمين بعسكر الصليبيين • وذهبت جماعة من

المسلمين الى يافا في طلب التجارة • كما وصل خلق عظيم من الصليبيين الى

القدس للحج • وأنفذ صلاح الدين الخفراء يحفظونهم وغرضه من ذلك أن يقضوا

(٤)

وطرهم من الزيارة ويرجعون الى بلادهم •

وعلى كل فانه يمكن القول أنه بانعقاد صلح الرملة تحقق فشل الحملة

الصليبية الثالثة التي عجزت عن تحقيق أهدافها • هذا بالإضافة الى أن ذلك

الصلح يعد بلا شك نصرا مؤزرا للمسلمين • فالى جانب نجاح صلاح الدين في

(١) ابن شداد • النوادر السلطانية • ص ٢٣٢ — ٢٣٤ • ابو شامة • كتاب

الروضتين • ج ٢ • ص ٢٠٣ • ابن واصل • مفرج الكروب • ج ٢ • ص

• المقرئ • السلوك • ج ١ • ص ١١٠ • صبح الأعشى • ج ٤ • ص

١٧٧ •

(٢) ابو شامة • الروضتين • ج ٢ • ص ٢٠٣ • ابن واصل • مفرج الكروب •

ج ٢ • ص ٤٠٤ •

(٣) ابن الاثير • الكامل • ج ١٢ • ص ٨٦ •

(٤) ابن واصل • مفرج الكروب • ج ٢ • ص ٤٠٦ •

منع الحملة الصليبية الثالثة من استعادة بيت المقدس ومدن فلسطين فإنه تمكن  
 أيضا من إلحاق خسائر فادحة بتلك الجموع الصليبية التي جاءت من الغرب  
 الأوربي بهدف استرجاع بيت المقدس . وهكذا طهر صلاح الدين الأيوبي  
 بيت المقدس ، وجعل كلمة الله هي العليا ، واسترد البيت الذي ذكره الله  
 في كتابه ، ونعى عليه في خطابه فقال تعالى :

” سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد  
 الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ” .  
 (١)

الخلاصة

أهم نتائج البحث

بحمد الله وتوفيقه فقد انتهى موضوع البحث الذي تناول دراسة شاملة متكاملة لموضوع استرداد بيت المقدس في عصر صلاح الدين . وقد رأينا في هذه الدراسة أن صلاح الدين قد نشأ في فترة تاريخية هامة مربها العالم الاسلامي وهي عصر الجهاد ضد العدوان الصليبي ، لذلك فان صلاح الدين نشأ منذ بداية حياته في وسط جهادي ، بدأه رجال مسلمون مجاهدون على رأسهم عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود . ولا شك فان صلاح الدين الذي خرج الى مصر في ركاب عمه أسد الدين شيركوه - الذي كان من المقاتلة - نور الدين محمود - قد تعلم من السلطان نور الدين محمود نفسه وكذلك من عمه أسد الدين شيركوه أن أحياء فكرة الجهاد الاسلامي وتوحيد كلمة المسلمين تحت راية واحدة هما الأساس الأول لقهر أعداء الاسلام والقضاء على الوجود الصليبي في الشرق الاسلامي .

وقد تأكد صلاح الدين منذ بداية حكمه أنه لن يتم القضاء على ذلك العدوان الصليبي الا بتكوين جبهة اسلامية موحدة تمتد من الفرات الى النيل ، لذلك بدأ صلاح الدين بالقضاء على الخلافة الفاطمية الشيعية في مصر . وكانت هذه الخلافة قد وصلت الى حد كبير من الضعف والانهيار بسبب استبداد الوزراء بالسلطة دون الخلفاء ، وتصارعهم على الفوز بمنصب الوزارة الذي أصبح في ذلك الوقت من نصيب الغالب . يضاف الى ذلك فتن الجند وسوء الأحوال الاقتصادية نتيجة انتشار الأوبئة والمجاعات داخل تلك الدولة ، الأمر الذي ترتب عليه

آثار خطيرة زادت من تفكك العالم الاسلامى ، وطمع الصليبيين فى الظفر بأجزاء جديدة منه . فالى جانب قيام الخلافة الفاطمية الشيعية بدور المناوئ والمفاس والمعادى للخلافة العباسية السنية فى بغداد ، فان ذلك الصراع والنزاع بين الوزراء فى الدولة الفاطمية زاد خطره باستجداد بعضهم بالصليبيين الذين قدموا الى مصر لنصرة بعض الوزراء ولتحقيق مزيد من الانتصارات ، ولمنع سقوط مصر فى ايدى القوة الاسلامية الجهادية التى امتدت من الجزيرة الى بلاد الشام .

وبقضاء صلاح الدين على الخلافة الفاطمية فى مصر واعادة الديار المصرية الى حظيرة الخلافة العباسية السنية فى بغداد فى سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١ م ، حقق صلاح الدين للعالم الاسلامى وحدته المذهبية ، ووضع الوجود الصليبي الذى كان يسيطر على أجزاء من بلاد الشام بين شقى الرمح ، وقضى على كل أطماعهم التوسعية ، وكانت بداية النهاية للوجود الصليبي فى بلاد الشام .

وأوضحت الدراسة أن بلاد الشام قد تعرضت لمصير سيء عقب وفاة السلطان نور الدين محمود وتولى ابنه الصغير الملك الصالح اسماعيل سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٤ م . فقد تنافس الأمراء بعد وفاة نور الدين على الفوز بالوصاية على ابنه الصغير وتدير دولته ، مما أضعف مركز الدولة الزنكية أمام الوجود الصليبي الذى كان يسيطر — وقتذاك — على الأجزاء الساحلية من بلاد الشام . وشجع ذلك الخلاف بين الأمراء النورية الصليبيين على مهاجمة بعض المدن الشامية

حتى اضطر بعض هؤلاء الأمراء الى عقد هدنة مع الصليبيين • الامر الذي أثار غضب صلاح الدين الذي كان آنذاك يفكر جادا في الحفاظ على وحدة العالم الاسلامي • وتوجيه جهود أهله لطرد الوجود الصليبي من بلاد الشام • لذلك سارع صلاح الدين بالخروج من مصر على رأس قواته الى بلاد الشام • وقضى على تلك الخلافات والأطماع • ووحّد البلاد الشامية والمصرية تحت راية واحدة • استمداداً للجهاد الاسلامي ضد الصليبيين • وعليه يمكن القول أنه لولا تدخل صلاح الدين • لخرق الصليبيون — الذين عرفوا بالغدر والخيانة وعدم احترام المواثيق — تلك الهدنة التي عقدوها أمراء نور الدين معهم • وفرضوا سيادتهم على أجزاء أخرى من بلاد الشام •

والى جانب ذلك فقد اثبتت الدراسة جدوى نظام الاقطاع الحربي الذي أدخله صلاح الدين الى مصر للصرف على جيشه بمختلف عناصره • حيث وزع صلاح الدين أراضي مصر والشام على شكل اقطاعات بين أهله وأمرائه وقادة جيشه • مقابل التزامات حربية وخدمات مدنية يؤديها المقطع • وضمن صلاح الدين بهذا النظام حصوله وقت الحرب على جيش منظم مزود بكافة متطلبات القتال • فكانت جيوش الأمراء تأتي مزودة بالأسلحة والمؤن والعتاد يتقدمها الأمير المقطع فتشارك مع صلاح الدين معاركه ضد الصليبيين • على أن تعود الى اقطاعاتها بعد انتهاء المعارك • ولا شك أن صلاح الدين بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بفضل نظام الاقطاع الحربي وأثره على التنظيمات الحربية لجيشه • استطاع

أن يحقق تلك الانتصارات الرائعة ضد الصليبيين حتى استرد بيت المقدس .

كما أثبتت الدراسة براءة صلاح الدين في وضع التنظيمات العسكرية البارة ، إذ اتبع في جهاده ضد الصليبيين خطا عسكرية متنوعة ، منها ما كان يقوم على أساس الاشتباك مع العدو في معارك مكشوفة على شكل التعبئة القتالية المعروفة ، ومنها ما كان يعتمد على أساليب الكر والفر ، فضلا عما قامت به فرق من جيشه من أعمال فدائية كان الهدف منها انهك العدو وكشف خططه .

يضاف الى ذلك الخطط البارة التي اتبعها صلاح الدين في حصاره للمدن والقلاع التي تقوم على ضرب الاسوار بالمنجنقات ومن ثم تقدم فرق من جيشه على شكل زحوف تحميها سهام الرماة نحو الاسوار لنقبها وفتح الثغرات فيها تمهيدا لاقتحامها والاستيلاء عليها . كما ثبت أيضا أن صلاح الدين أدرك منذ دخوله مصر مع عمه أسد الدين شيركوه ما للبحرية من أهمية في الجهاد ضد الصليبيين ، لذلك فقد عمل منذ بداية عهده على إعادة بناء الاسطول الاسلامي الذي كان قد ضعف في أواخر الدولة الفاطمية ، فانشأ دورا للصناعة في الموانئ المصرية قامت ببناء اسطول اسلامي حقق صلاح الدين بفضل انتصارات بحرية عظيمة .

وأوضحت الدراسة أيضا مدى ما توصل اليه المسلمون في القرن السادس الهجري من انتاج أسلحة متطورة كان لها الأثر البالغ فيما حققوه من انتصارات على الصليبيين . فالى جانب استخدامهم للأسلحة الثقيلة كالمنجنقات والادبابات



وغيرها ، عرفوا أسرار أعظم سلاح عرفته الحصور الوسطى ذلك هو سلاح النفط ( النار الاغريقية ) ، وسرع المسلمون في صناعة أنواع متعددة منه ، ومن ثم استخدامه بطرق مختلفة في قتال الاعداء ، واحراق منشآتهم العسكرية . ولعل خير دليل على ذلك ما ألحقه سلاح النفط بتلك الآلات الحربية التي أقامها الصليبيون على عكا أثناء حصارهم لها فيما بين سنتي ٥٨٥ - ٥٨٧ هـ ، إذ تمكن المسلمون بفضل من احراق ما أقامه الصليبيون عليها من أبراج ودبابات وغيرها .

وعند دراسة حوادث معركة حطين وما أعقبها من انتصارات ، كان أهمها استعادة بيت المقدس من أيدي الصليبيين ، تبين لنا بوضوح ما كان يتمتع به صلاح الدين من مقدرة عظيمة في ميادين الادارة والسياسة والحرب يد لنا على ذلك الخطط السياسية والحربية التي نفذها صلاح الدين باحكام للتعمية لضرب الصليبيين في حطين ، إذ بذل قصارى جهده لتكوين قوة اسلامية تؤمن ايماناً تاماً بفكرة الجهاد الاسلامي ، الذي حوص صلاح الدين منذ بداية عهده على غرسه في نفوس رجاله ، ومن ثم اختيار المكان والزمان المناسب الذي يستطيع جيشه فيه ضرب الصليبيين ضربة قوية لا تقوم لهم بعدها قائمة . وقام الى جانب ذلك بتنفيذ خطط سياسية تقوم على ادخال الخلل والفرقة في صفوف الصليبيين لضعافهم وذلك بالايقاع بين كبار قادتهم ومساعدة بعضهم على بعض ، هذا فضلاً عن تمكن صلاح الدين من اقامة علاقات طيبة مع الامبراطور البيزنطي لحرمان الصليبيين من أية مساعدة بيزنطية . وبالفعل فقد أثمرت

تلك الجهود في تحقيق ذلك الانتصار الحاسم في معركة حطين . وحرض صلاح الدين قبل بدأ المعركة على التركز في أماكن طيبة تتوافر فيها المياه والمراعى ، ثم قام بالهجوم على طبرية لاستفزاز الصليبيين وجذبهم اليه وانزالهم في المكان الذي يريد ، وضربهم ضربة قاضية راح ضحيتها معظم الصليبيين بين قتيل وأسير وفقد الصليبيون أعظم قادتهم وفرسانهم . ثم اتجه صلاح الدين بعد انتصاره الحاسم في تلك المعركة الى الاستيلاء على مدن الساحل ليحكم العزلة على مملكة بيت المقدس ويقطع عنها الامدادات الخارجية التي كانت تصلها من الغرب الأوربي ومن الامارات الصليبية ببلاد الشام ، حتى تمكن في النهاية من استرداد بيت المقدس .

وعند دراسة موضوع استرداد صلاح الدين البيت المقدس اتضح مدى ما ألحقته معركة حطين من خسائر مادية ومعنوية بالصليبيين حتى أصبحوا في وضع يرثى له . وظهر أثر ذلك بوضوح عندما اتجه صلاح الدين لاستعادة بيت المقدس . فما أن شاهد الصليبيون جيوشه تقتحم أسوار المدينة حتى نادوا بطلب الأمان ، والسماح لهم بالخروج من بيت المقدس مقابل تسليمه . وهنا يظهر بوضوح ذلك الفرق الشاسع بين هذا السلوك الاسلامي الذي تتميز بالتسامح والشهامة والمروءة ، وبين ذلك السلوك الصليبي/عندما خاض الصليبيون الهجمي بأقدامهم في دماء المسلمين عند استيلائهم على بيت المقدس سنة ٤٩٢ هـ .

وألقت الدراسة الأنواء على حوادث الحملة الصليبية الثالثة التي جاءت إلى بلاد الشام بعدد ها وعتاد ها يتقدمها أعظم ملوك وأباطرة أوروبا . وأثبتت الدراسة أن استرداد صلاح الدين لبيت المقدس من الصليبيين قد ترتب عليه آثار وأصداء كثيرة في الغرب الأوربي الذي سارع بإرسال حملة صليبية ثالثة تولت البابوية الإعداد لها ، وخرجت جموع أوربية متباينة الأجناس إلى بلاد الشام ، لمحاولة استرجاع بيت المقدس من المسلمين . إلا أن تلك الحملة قد تظافرت عوامل عدة في إفشال مهمتها وعجزها عن تحقيق أهدافها ، وأهم هذه العوامل استئثار المسلمين للخطر الصليبي واستبسالهم في الدفاع عن بلادهم ومقدساتهم . يضاف إلى ذلك اختلاف كلمة الصليبيين منذ البداية ، ويظهر ذلك بوضوح في اختلاف طرق سير تلك الحملة ، حيث سار قسم منها عبر الطريق البري ، والقسم الآخر عبر الطريق البحري ، فضلا عما تعرض له الصليبيون من كوارث وخسائر ، هذا بالإضافة إلى ما حدث بين قادتها من خلافات وأحقاد بسبب العداء التقليدي المتأصل بينهم .

وأخيرا فانه يمكن القول أن صلاح الدين بهذه الأعمال الجليلة قد وضع الأسس الصحيحة لمن أتى بعده من سلاطين المسلمين الذين ساروا على نهجه ، فأخلصوا النية لله تعالى ، وجاهدوا في سبيله حق جهاد ، وأنزلوا بالصليبيين ضربات متلاحقة لم يفيقوا منها حتى تم طردهم نهائيا من بلاد الشام سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م . أما مكانة صلاح الدين الأيوبي في تاريخ الجهاد الاسلامي فستظل

ان شاء الله تعالى — عظمة خالدة أبد الدهر حتى يرث الله تعالى الأرض ومن  
عليها فهو الذي استرد بيت المقدس أول القبلتين وثالث الحرمين •

والله ولي التوفيق

\*\*\*\*\*

# الملاحق

## الملاحق الأول:

رسالة صلاح الدين الى الخليفة العباسي المتقي  
بأمر الله سنة ٥٧٠ هـ

## الملاحق الثاني:

اهتمام صلاح الدين بأمر الجهاد

## الملاحق الثالث:

خطبة القاضي محيي الدين بن زكي الدين  
بعد استرداد بيت المقدس .  
يوم الجمعة ٤ شعبان ٥٨٣ هـ

## الملاحق الرابع:

رسالة صلاح الدين الى الديوان العزيز للبشرى  
بفتح بيت المقدس .

## الملحق الأول

رسالة صلاح الدين الى الخليفة العباسي المستفيء بأمر

الله سنة ٥٧٠ هـ

~~~~~

فصل :- ثم أرسل السلطان ، الخطيب شمس الدين بن الوزير ابي المضاء ، الى الديوان العزيز برسالة ضمنها القاضي الفاضل كتابا طويلا راعيا فائقا ، يشتمل على تعداد ما للسلطان من الأيادي من جهاد الافرنج في حياة نور الدين ، ثم فتح مصر واليمن ، وبلاد جمة من أطراف المغرب واقامة الخطبة العباسية بها . يقول فيه :

فانا كنا نقبض اناربا كفنا وغيرنا يستنير ، ونستبسط الماء بأيدينا وسوانا يستنير ، ونلقى السهام بنحورنا وغيرنا يعتمد التصوير ، ونصافح الصفايح بصدورنا وغيرنا يدعى التصدير ، ولا بد أن نسترد بضاعتنا بموقف العدل الذي ترد به الفصوب ، وتظهر طاعتنا فناخذ بحظ الألسن كما أخذنا بحظ القلوب . وما كان العائق الا أنا كنا ننتظر ابتداء من الجانب الشريف بالنعمة يضاهاى ابتداءنا بالخدمة ، وانجابا للحق ، يشاكل انجابنا للسبق . كان أول أمرنا اننا كنا في الشام نفتتح الفتوح مباشرين بأنفسنا ، ونجاهد الكفار متقدمين لمساكرنا ، ونحن ووالدنا وعما . فأى مدينة فتحت أو معقل ملك ، أو عسكر للعد وكسراو مصاف للاسلام معه ضرب ( ولم تكن فيه ) . فما يجهل أحد صنعنا ولا يجحد

عدونا أنا نصلى الجمرة ونملك الكرة ، ونتقدم الجماعة ، ونزيب المقاتلة ، وندير  
 التعبئة الى أن ظهرت فى الشام الآثار التى لناجرها ، ولا يضرنا أن يكون  
 لخبرنا ذكرها .

وكانت أخبار مصر تتصل بنا بما الأحوال عليه فيها من سوء تدبير ، وبما  
 دلتها عليه من غلبة صغير على كبير ، وأن النظام بها قد فسد ، والاسلام بها  
 قد ضعف عن اقامته كل من قام وقعد ، والفرنج قد احتاج من يدبرها الى أن  
 يقطعهم بأموال كثيرة ، لها مقادير خطيرة . وأن كلمة السنة بها وان كانت  
 مجموعة فانها مقموعة ، وأحكام الشريعة وان كانت مسماة فانها متحماة ، وتلك  
 البدع بها على ما يعلم ، وتلك الضلالات فيها على ما يفتى فيه بغراق الاسلام  
 ويحكم ، وذلك المذهب قد خالط من أهله اللحم والدم ، وتلك الانصاب قد  
 نصبت آلهة تعبد من دون الله ، وتعظم وتنفخ ، فتعالى الله عن شبه العباد ،  
 وويل للملهم غره تغلب الذين كفروا فى البلاد . فسمت هممتا دون هم أهل الأرض  
 الى أن نستفتح مقلها ، ونسترجع للاسلام شارد ها ، ونعيد على الدين ضالته  
 منها . فسرنا اليها فى عساكر نخمة وجمع جمة وبأموال انتهكت الموجود ، وبلغت  
 منا المجهود ، أنقذنا من حاصل ذمنا وكسب أيدينا ، وضمن أسارى الفرنج  
 الواقعين فى قبضتنا فمرضت عوارض ضمت ، وتوجهت للمصريين رسل باستجداد  
 الفرنج قطعت ، ولكل أجل كتاب ، ولكل أمل باب ، وكان فى تقدير الله تعالى  
 أنا نملكها على الوجه الاحسن ، ونأخذنا بالحكم الأقوى الأمكن ، فندير الفرنج

(١) بالمصريين غيرة في هدنة عظم خطبها وخطبها ، وعلم أن استئصال كلمة الاسلام محطها . فكانتينا المسلمون من مصر في ذلك الزمان ، كما كانتينا المسلمون في الشام في هذا الأوان ، بأننا وان لم ندرك الأمر والا خرج عن اليد ، وان لم ندفع غريم اليوم لم نصل الى الهدنة . فسرنا بالمساكر المجموعة والامراء والاهل المصروفة ، الى بلاد قد تصمد لنا بها أمان ، وتقرر لنا في القلوب ودان ، الأول ما علموه من ايثارنا للذهب الأقوم ، واحياء الحق الأقدم ، والآخرة ما يرجونه من فك أسارهم ، واقالة عثارهم . ففعل الله ما هو أهله وجاء الخبر الى الحد و فأنقطع حبله ، وضاقت به سبله ، وأفرج عن الديار

(٢) بعد أن كانت ضياعها ورسانيقها وبلادها وأقاليمها قد نفذت فيها أوامره ، وخفقت عليها صلبانه ونصبت بها أوثانه ، وأيس من أن يسترجع ما كان بأيديهم حاصلا ، وان يستنقذ ما صار في ملكهم داخلا . ووصلنا البلاد وسها أجناد عدد هم كثير ، وسواد هم كبير ، وأموالهم واسعة ، وكلمتهم جامعة ، وهم على حرب الاسلام أقدر منهم على حرب الكفار ، والحيلة في السرفيهم أنفذ من المعزمية في الجهر ، وسها راجل من السودان يزيد على مائة ألف ، كلمهم أغنام أعجام ، ان هم الا كالانعام ، لا يعرفون بنا الا ساكن قصره ، ولا قبلة الا ما يتوجهون اليه من ركنه ، وامثال أمره ، وسها عسكر من الأرمن باقون على النصرانية موضوعة عنهم الجزية ، كانت لهم شوكة وشكة وحمية وحمية ، ولهم حواش لقصورهم

(١) أي الفاطميين .

(٢) جمع نوستاق : لفظ فارسي معناه القرية أو محلة المسكر أو البلد ، وتصريها الرزداق ، وجمعها الرزداقات والرزاديق ( ابو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦١٨ حاشية ) .



(١)  
 من بين داع تتلطف في الضلال مداخله ، وتصيب القلوب مخاتله ومن بين كتاب  
 تفعل أقلامهم أفعال الاسل ، وخدام يجمعون الى سواد الوجوه سواد النحل ،  
 ودولة قد كبر نملها الصغير ، ولم يعرف غيرها الكبير ، ومهابة تنفع من خطرات  
 الضمير ، فكيف بخطوات التدبير • هذا الى استباحة للمحارم ظاهرة ، وتعطيل  
 للفرائض على عادة جارية جائرة ، وتحريف للشريعة بالتأويل ، وعدول الى غير  
 مراد الله بالتنزيل ، وكفر سعى بغير اسمه ، وشرع يستربه ويحكم بغير حكمه ،  
 فما زلنا نسحتهم سحت المبارد للشفار ونتحيفهم تحيف الليل والنهار ، بعجائب  
 تدبير لا تحتلمها المساطير ، وغرائب تقدير لا تحملها الاساطير ، ولطيف  
 توصل ما كان من جيلة البشر ولا قد رتهم لولا اعانة المقادير • وفي أثناء ذلك  
 استنجدوا علينا بالفرنج دفعة الى بلبيس ودفعة الى دمياط ، وفي كل دفعة  
 منهما وصلوا بالعدو المجهر ، والحشد الاوثر ، وخصوصا في نوبة دمياط ، فهم  
 نزلوها بحرا في ألف مركب ، مقاتل وحامل ، ويرا في مائتي ألف فارس وراجل ،  
 وحصروها شهرين يياكرونها ويراوحونها ، ويماسونها ويصاحبونها ، القتال  
 الذي يصبه الصليب ، والقراع الذي ينادى به الموت ( كل ) مكان قريب • ونحن  
 نقاتل المدوين الباطن والظاهر ، ونصاير الضررين المنافق والكافر ، حتى أتى

---

(١) يقصد بمقاليد اهل النار المنحصر في المعارف التي لا تشمل على اهل الجحيم ، وقد روي

الله بأمره ، وأيدنا بنصره ، وخابت المطامع من المصريين والفرنج ، وشرعنا فنى  
 تلك الطوائف من الأرمن والسودان والجناد فأخر بجنالهم من القاهرة ، تارة  
 بالأوامر المهرقة لهم وتارة بالأمور الفاضحة منهم و ( طورا ) بالسيوف المجردة ،  
 وبالنار المحرقة ، حتى بقى القصر ومن به من خدم ومن ذرية قد تفرقت شيعة ،  
 وتمزقت بدعه ، وخفت دعوته ، وخفيت ضلالتة ، فهناك تم لنا إقامة الكلمة  
 والجهرب بالخطبة ، والرفع للواء الأسود المعظم ، وعاجل الله الطاغية الأكبر  
 بهلاكه وبرأنا من عهدة يعين كان اثم حشها أيسر من اثم ابقائه ، لانه عوجل  
 لفرط روعته ، ووافق هلاك شخصه هلاك دولته . ولما خلا درعنا ، ورحب وسعنا ،  
 نظرنا فى الغزوات الى بلاد الكفار فلم تخرج سنة الا عن سنة أقيمت فيها برا  
 وبحرا ، مركبا وظهرا ، الى أن أوسقناهم قتلا وأسرا وملكنا رقابهم قهرا وقسرا ،  
 وفتحنا لهم معاقل ما خطر أهل الاسلام فيها منذ أخذت من أيديهم ، ولا  
 أوجفت خيلهم ولا ركابهم مذ ملكها أعاد يهم فعضها ما حكمت فيه يد الخراب ،  
 ومنها ما استولت عليه يد الاكتساب ، ومنها قلعة ، بشغرايله كان المدوقد  
 بناها فى بحر الهند ، وهو السلوك منه الحرمين واليمن ، وعزا ساحل الحرم ،  
 فساء من مآثقا ، وخرق الكفر فى هذا الجانب خرقا ، فكادت القبلة أن يستولى  
 على أصلها ، ومشاعر الله أن يسكنها غير أهلها ، ومقام الخليل عليه السلام ،  
 أن يقوم به من ناره غير برد الأوساد ، ومضجع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتطرقة  
 من لا يد ين بما جاء به من الاسلام ، فأخذت هذه القلعة وصارت معقلا للجهاد ،  
 وموتلا لسفار البلاد ، وغيرهم من عباد الله .

وسيرنا الخلع والمناشير والالوية بما فيها من الاوامر والاقضية • فأما الأعداء  
المحدقون بهذه البلاد • والكفار الذين يقاتلوننا بالممالك العظام والعزائم  
الشداد • فمضهم صاحب قسطنطينية وهو الطاغية الاكبر • والجالوت الاكبر •  
وصاحب المملكة التي أكلت على الدهر وشربت • وقائم النصرانية الذي حكمت  
دولته على ممالكها وغلبت • جرت لنا معه عزوات بحرية ومناقلات ظاهره وسرية •  
ولم نخرج من مصر الى أن وصلتنا رسله في جمعة واحدة نوبتين بكتابين • كل  
واحد منهما يظهر فيه خفض الجناح والقاء السلاح • والانتقال من معاداة الى  
مهاداة • ومن مفاضحه الى مناصحه • حتى أنه أئذربصاحب صقلية واساطيله  
التي تردد ذكرها وعساكره التي لم يخف أمرها •

ومن هؤلاء الكفار هذا صاحب صقلية • كان حين علم بأن صاحب الشام  
وصاحب قسطنطينية قد اجتمعا في نوبه دمياط فغلبا وقسرا • وهزما وكسرا • أراد  
أن يظهر قوته المستقلة • فعمراسطولا استوعب فيه ماله وزمانه • فله الآن خمس  
سنين تكثرت • وتنتخب عدته • الى أن وصل منها في السنة الخالية الى  
الاسكندرية أمرا • وخطب هائل • ما أثقل ظهر البحر مثل حمله • ولا ملأ  
صدره مثل خيله ورجله • وما هو الا اقليم بل اقاليم • نقله • وجيش ما احتفل  
ملك قط بنظيره لولا أن الله خذله •

(١)  
ومن هؤلاء الجيوش البنادقة والبياشنه والجنويه • كل هؤلاء تارة

(١) البنادقة : أهل مدينة البندقية • والبياشنه : أهل مدينة بيزا • والجنويه  
أهل مدينة جنوة • وكلها من المدن الإيطالية التي اشتهرت بنشاطها  
التجاري البحري •

وكان باليمن ما علم من ابن مهدي الضال الملحد ، المبدع المتورد ، وله  
 آثار في الاسلام ، وثار طالبه النبي عليه الصلاة والسلام ، لأنه سبى الشرائف  
 الصالحات وباعهن بالثمن النجس ، واستباح منهم كل ما لا يقر لمسلم عليه نفسه  
 ودان ببذعة ، ودعا الى قبر ابيه وسماه كعبة ، وأخذ أموال الرعايا المعصومة  
 ، وأحل الفروج المحرمة وأباحها . فانهضنا اليه أخانا بمسكركنا  
 بعد أن تكلفنا نفقات واسعة وأسلحة رائعة ، وسار فأخذناه والله الحمد ، وانجح  
 الله فيه القصد ، والكلمة هنالك بمشيئة الله الى الهند سامية ، والى ما يقتضي  
 الاسلام عذرتة متمادي . ولنا في الضرب أثر أغرب ، وفي أعماله أعمال دون مطلبها  
 مهالك ، كما يكون المهلك دون المطلب ، وذلك أن بنى عبد المؤمن قد اشتهر  
 أن أمرهم قد أمر ، ولهم قد عمر وجيوشهم لا تطاق ، وأمرهم لا يشاق ، ونحن  
 بحمد الله قد تملكنا مما يجاورنا منه بلادا تزيد مسافتها على شهر ، وسيرنا  
 اليها عسكرا بعد عسكر ، فرجع بنصر الله بعد نصر ، ومن البلاد المشاهير  
 والأقاليم الجاهير : برقة ، قفصة ، قسطنطينية ، توزر ، كل هذه تقام فيها  
 الخطبة لمولانا المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين ، سلام الله عليه ، ولا عهد  
 للاسلام باقامتها ، وينفذ فيها الأحكام بعلمها المنصور وعلاقتها .

وفي هذه السنة كان عندا وقد قد شاهد وفود الامصار ، ورموه باسماع  
 وأبصار ، مقداره سبعون راكبا ، كلهم يطلب لسلطان بلده تقليدا ، ويرجو منا  
 وعدا ويخاف وعيدا . وقد صدرت عنا بحمد الله تقاليد ها ، وألقيت اليها مقاليد ها

يكونون غزاة لا تطاق ضراوة ضرهم ، ولا تطفأ شرارة شرهم ، وتارة يكونون سفارا  
يحتكمون على الاسلام في الأموال المجلوبة ، وتقتصر عنهم يد الاحكام المرهوبة ،  
وما منهم الا من هو الآن يجلب الى بلدنا آلة قتاله وجهاده ، ويتقرب اليها  
باهداء طرائف أعماله وتلاده ، وكلهم قد قررت معهم المواصله ، وانتظمت  
معهم المسالمة ، على ما نريد ويسكرهون وعلى ما نؤثر وهم لا يؤثرون .

ولما قضى الله سبحانه بالوفاة النورية ، وكنا تلك السنة على نية الغزاة ،  
والمساكر قد تجهزت ، والمضارب قد برزت ، ونزل الفرنج ( على ) بانياس ،  
وأشرفوا على اجتيازها ، ورأوها فرصة مدوا يد انتهازها ، واستصرخ بنا صاحبها  
فسرنا مراحل اتصل بالمدو أمرها ، وعوجل بالهدنة المشقية التي لولا سيرنا  
ما انتظم حكمها .

ثم عدنا الى البلاد وتوافت اليها الأخبار بما الملكة النورية عليه من تشعب  
الآراء وتوزعها ، وتشتت الأمور وتقطعها ، وأن كل قلعة قد حصل فيها صاحب  
وكل جانب قد طمح اليه طالب ، والفرنج قد بنوا قلاعاً يتحيفون بها الأطراف  
الاسلامية ويضايقون بها البلاد الشامية ، وأمراء الدولة النورية قد سجن كبارهم  
وعوقبوا وصودروا ، والمماليك الأعماد الذين خدوا الأطراف لا الصدور ، وجعلوها  
للقيام لا للقعود في المجلس المحضور ، قد مدوا الأيدي والأعين والسيوف ، وسارت  
سيرتهم في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ، وكل واحد يتخذ عند الفرنج يداً ،  
ويجعلهم لظهوره سنداً ، وعلمنا أن البيت المقدس أن لم تتيسر الأسباب لفتحهم

وأمر الكفران لم يجرد العزم في قلعه ، ولا ثبتت عروقه ، واتسمت على أهل  
 الدين حروقه وكانت الحجة لله قائمة ، وهم لقادريين بالقعود آثمة ، وانا لا نتمكن  
 بصرفيه مع بعد المسافة ، وانقطاع العمارة وكلال الدواب التي بها على الجهاد  
 القوة ، وإذا جاورناه كانت المصلحة باديها والمنفعة جامعة ، واليد قادرة ، والبلاد  
 قريبة والفزوة ممكنة ، والمسيرة متسعة ، والخيول مستريحة ، والعساكر كثيرة  
 الجموع ، والأوقات مساعدة وأصلحنا ما في الشام من عقائد ممثلة وأمور مختلة ،  
 وآراء فاسدة ، وأمر متحاسدة ، وأطماع غالبة ، وعقول غائبة ، وحفظنا الولد  
 القائم بعد أبيه ، فانا به أولى من قوم يأكلون الدنيا باسمه ، ويظهرون الوفاء  
 خدته وهم عاقلون بظلمه .

والمراد الآن هو كل ما يقوى الدولة ، ويؤكد الدعوة ، ويجمع الأمة ،  
 ويحفظ الألفة ، ويضمن الرأفة ، ويفتح بقية البلاد ، وان يطبق الاسم العباسي  
 كل ما تطيقه المهاد ، وهو تقليد جامع بمصر واليمن والمغرب والشام ، وكل ما  
 تشتمل عليه الولايات النورية ، وكل ما يفتح الله تعالى للدولة العباسية بسيفنا  
 وسيف عساكرنا ، ولمن نقيمه من أخ أو ولد من بعدنا ، تقليدا يضمن للنعمة  
 تخليدا ، وللدعوة تجديدا مع ما ينعم به من السمات التي فيها الملك . وبالجملة  
 فالشام لا ينتظم أموره بمن فيه ، والبيت المقدس ليس له قرن يقوم به ويكفيه ،  
 والفرنج فهم يعرفون منا خصما لا يعمل الشر حتى يملوا ، وقرنا لا يزال محرم  
 السيف حتى يجلوا ، وإذا شد رأينا حسن الرأي ضربنا بسيف يقطع غده ، ويلبنا

المثى بمشيئة الله تعالى ويد كل مؤمن تحت برده ه واستتقنا أسيرا — من  
المسجد الذي أسرى الله اليه بعبد ه •

\*\*\*\*\*

## الملحق الثانى

(١)

اهتمام صلاح الدين بأمر الجهاد

~~~~~

ولقد كان رحمه الله شفيداً المواظبة عليه ، عظيم الاهتمام به ، ولو حلف  
 حالف أنه ما أنفق بعد خروجه الى الجهاد ديناراً ولا درهماً الا فى الجهاد  
 أو فى الارفاد ، لصدق ويرفى يمينه . ولقد كان الجهاد حبه ، والشفق به  
 قد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاء عظيماً ، بحيث ما كان له حديث الا  
 فيه ، ولا نظراً الا فى آله ، ولا كان له اهتمام الا برجاله ، ولا ميل الا الى  
 من يذكره ويحث عليه ، ولقد هجر فى محبة الجهاد فى سبيل الله وأولاده ،  
 ووطنه وسكنه وسائر مآلذه ، وقنع من الدنيا بالسكون فى ظل خيمة تهب بها  
 الرياح يفةً وبمسرة ، ولقد وقعت عليه الخيمة فى ليلة ريحه على مرج عكا ، فلم  
 لم يكن فى البرج والا قتلتة ، ولا يزيد ذلك الا رغبة ومصابرة واهتماماً .

وكان الرجل اذا أراد أن يتقرب اليه يحثه على الجهاد أو يذكر شيئاً  
 من أخبار الجهاد ، ولقد ألف له كتب عدة فى الجهاد ، وانا ممن جمع له فيه  
 كتاباً ، جمعت فيه آدابه ، وكل آية وردت فيه ، وكل حديث روى فى فضله ،  
 وشرحت فريسيها ، وكان رحمه الله — كثيراً ما يطالعه حتى أخذه منه ولد الملك



## الأفضل عز نصره • ولأ

ولأحكيين عنه ما سمعته منه : وذلك أنه كان قد أخذ كوكب في ذي القعدة سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، وأعطى الحساكر دستورا ، وأخذ عسكر مصر فسي الحود الى مصر ، وكان مقدمه أخاه الملك العادل — عز نصره — فسار معه ليودعه ويحظى بصلاة العيد في القدس الشريف — وحوسه الله تعالى — وسرنا في خدمته • ولما صلى العيد في القدس وقع له أنه مضى معهم الى عسقلان ، ويودعهم بعسقلان ، ثم يعود على طريق الساحل يتفقد البلاد الساحلية الى عكا ، ويرتب أحوالها ، فأشاروا عليه أن لا يفعل فان الحساكر اذا فارقتنا تبقى في عدة يسيرة والفرنج كلهم بصور وهذه مخا طرة عظيمة فلم يلتفت — رحمه الله — وودع أخاه والعسكر بعسقلان •

ثم سرنا في خدمته على الساحل طاليبين عكا ، وكان الزمان شتاء عظيمًا والبحر هائجًا عيجانًا شديد ، وموجه كالجبال ، كما قال الله تعالى ، وكنت حديث عهد برؤية البحر فمعظم أمر البحر عندي حتى خيل اليّ أني لو قال لسي قادر ان جزت في البحر ميلا واحدا ملكتك الدنيا ، لما كنت أفعل ، واستسخرت رأي من ركب البحر رجاء لكسب دينار أو درهم واستحسن رأي من لا يقبل شهادة راكب بحر • هذا كله خطر لي لعظم الهول الذي شاهدته من حركة البحر وتوجه فيينا أنا في ذلك اذا التفت اليّ رحمه الله وقال : « أما أحكى لك شيئا ؟ قلت : بلى ، قال : في نفسي ، أنه متى ما يسر الله تعالى فتح بقية الساحل

قسمت البلاد ، وأوصيت وودعت ، وركبت هذا البحر الى جزائرهم ، اتبعهم فيها حتى لا أبقى على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت .

فعظم وقع هذا الكلام عندى حيث ناقض ما كان خطرلى ، وقلت له :

” ليس فى الأرض أشجع نفسا من المولى ، ولا أقوى منه نية فى نصرته دين

الله تعالى ” .

فقال : فكيف .

فقلت : أما الشجاعة فلأن مولانا ما يهوله أمر هذا وهو له ، وأما

نصرته دين الله فهو أن المولى ما يقنع بقلع أعداء الله من موضع مخصوص فى الأرض

منهم .

وأستأذنت فى أن أحكى له ما كان خطرلى ، فاذن ، فحكيت له ثم

قلت : ما هذه الانية جميلة ، ولكن المولى يسير فى البحر المساكر ، وهو سور

الاسلام ومنعته ، فلا ينبغى له أن يخاطر بنفسه .

فقال : انا استفتيك ؟ ما أشرف الميتات

فقلت : الموت فى سبيل الله .

فقال : غيبة ما فى الباب أن أموت أشرف الميتات .

فأنظر الى هذه الطوبى ما أظهرها ، وإلى هذه النفس ما أشجعها

وأجسرها ، رحمه الله •

اللهم انك تعلم أنه بذل جهده في نصرة دينك ، وجاهد رجاء رحمتك

فأرحمه • •

\*\*\*\*\*

### الملحق الثالث

خطبة القاضي محيي الدين بن زكي الدين بعد استرداد

(١)

بيت المقدس يوم الجمعة ٤ شعبان ٥٨٣ هـ

~~~~~

ولما كان يوم الجمعة التالية لجمعة الفتح ، وهو الرابع من شعبان ،  
حضر المسلمون الحرم الشريف ففضوا بالزحام ، فانه من حين تسامع الناس به في  
سائر الاطراف ، وكسر العدو ، والقصد الى فتح بيت المقدس ، توافى الناس  
من كل هقع ، وجاءوا من كل فج ، ليفوزوا بالزيارة ، ويحظوا بالمشاهدة للفتح ،  
فاجتمع من أهل الاسلام عدد عظيم لا يقح عليهم الاحصاء ، فلما اذن الظهر من  
يوم هذه الجمعة المباركة حضر السلطان بقبة الصخرة المقدسة وهو في غاية السرور  
والفرح ، اذ جمعه الله تعالى في هذا الفتح ثانيا لعمر بن الخطاب - رضى  
الله عنه - الفاتح الأول وميزه بهذه المنقبة دون سائر الملوك من ملوك الاسلام .

وامتألت أعراس المسجد وصحونه بالخيولائق ، واستعبرت العيون من  
شدة الفرح وخشعت الاصوات ، ووجلّت القلوب ، وكان رجلا من الأكابر والعلماء  
قد رشحوا أنفسهم للخطبة في هذا المسجد المعظم ، وأخذوا لذلك أهبة وألقوا  
ما يخطبون به ، ومنهم من عرض للسلطان أن يطلب ذلك ، ومنهم من صرح ،  
والسلطان ساكت لا يبدى سره ، فلما حان وقت الخطبة نصّ على القاضي محيي  
الدين بن زكي الدين ، وقدّمه لهذا الأمر الجليل ، فرقى المنبر بالأهبة

(١) ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ٢ ، ص ٢١٨ - ٢٢٢ .

السوداء العباسية ، وخطب خطبة بديمة بليغة ، هي :

(١)

« فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين »

(٢)

« الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين »

« الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ، ثم

(٣)

الذين كفروا بربهم يعدلون »

« وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم

(٤)

يكن له ولي من الدل وكبره تكبيرا »

« الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ، ولم يجعل له عوجاه قبيلا

لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات

أن لهم أجرا حسنا ماكين فيه أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ،

ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون

(٥)

إلا كذبا »

(٦)

« قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، الله خير أم يشركون »

- 
- (١) سورة الانعام ، آية ٤٥ .  
 (٢) الفاتحة ، ٢ .  
 (٣) الانعام ، ١ .  
 (٤) الاسراء ، ١١١ .  
 (٥) الكهف ، آيات ١ - ٥ .  
 (٦) النمل ، آية ٥٩ .

« الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض وله الحمد فى الآخرة وهو

الحكيم الخبير يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء

(١)

وما يخرج فيها وهو الرحيم الغفور »

(٢)

« الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا »

الحمد لله معز الاسلام بنصره ومذل الشرك بجهزه ، ومصرف الأمور بأمره

ومديم النعم بشكره ، ومستدرج الكافرين بمكره ، الذى قدر الأيام دولا بعد له ،

وجعل العاقبة للمتقين بفضله ، وأفاض على عباده من ظله ، وأظهر دينه على

الدين كله ، القاهر فوق عباده فلا يمانع ، والظاهر على خلقه فلا ينازع ، والآمر

بما يشاء ، فاليراجع ، والحاكم بما يريد ، فلا يدافع .

أحمد على اظفاره واطهاره ، واعزازه لأوليائه ونصره لأنصاره ، وتطهير

بيته المقدس من أدناس الشرك وأوضاره ، حمد من استشعر الحمد باطن سره

وظاهر جهاده .

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الواحد الأحد ، الفرد

الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، شهادة من طهر بالتوحيد

قلبه ، وأرضى به ربه .

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، دافع الشرك ، وداحض الافك ، الذى

أسرى به ليلا من المسجد الحرام الى هذا المسجد الأقصى ، وعرج به منه الى

(١) سورة سبأ ، آية ١ - ٢ .

(٢) « فاطر » ، ١ .

وكرمہ بنبوته ۛ ولم يزحزحه عن رتبة عہودہ فقل تعالى ۛ لن يستكف المسيح  
أن يكون عبدا لله ۛ (١) وقال ۛ لقد كفر الذين قالوا اني الله هو المسيح بن مريم ۛ (٢)

وهو أول القبليتين ۛ وثاني المسجدين ۛ وثالث الحرمين ۛ ولا تشدد  
الرجال بعد المسجدين الا اليه ۛ ولا تعقد الخناصر بعد الوطنين الا عليه ۛ  
ولولا انكم ممن اختاره الله من عباده ۛ واصطفاه من سكان بلاده ۛ لما خصكم  
بهذه الفضيلة التي لا يجاريكم فيها مجار ولا يباريكم في شرفها مبار ۛ فطوبى لكم  
من جيش ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية والوقعات البدرية ۛ والعزيمات  
الصديقية والفتوح العصرية ۛ والجيوش العثمانية ۛ والفتكات العلوية ۛ جددتم  
للاسلام أيام القادسية ۛ والوقعات اليرموكية ۛ والمنازلات الخيرية والهجمات  
الخالدية ۛ

فجزاكم الله عن محمد نبيه أفضل الجزاء ۛ وشكر لكم ما بذلتوه من  
مجهودكم في مقارعة الأعداء ۛ وتقبل منا ومنكم ما تقرتم به اليه من مهراق الدماء ۛ  
وأثابكم الجنة فهي دار السعداء ۛ فاقدروا — رحمكم الله — هذه النعمة حقيق  
قدرها ۛ وقوموا لله بواجب شكرها ۛ فله النعمة عليكم بتخصيصكم بهذه النعمة ۛ  
وترشيحكم لهذه الخدمة ۛ فهذا هو الفتح الذي فتحت له أبواب السماء ۛ  
وتبليت بأنواره وجوه الظلماء ۛ وابتهج به الملائكة المقربون ۛ وقرره عيننا

(١) سورة النساء ۛ آية ١٧٢ ۛ

(٢) المائدة ۛ ١٧ ۛ

للمسومات العلى الى سدرة المنتهى ، عند جنة الطوى ، ما زار البصر وما طفى .

صلى الله عليه وعلى خليفته أبى بكر الصديق ، والسابق الى الايمان ،

وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رجع عن هذا البيت شمار الصلبان

وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذى النورين جامع القرآن ، وعلى أمير

المؤمنين على بن أبى طالب ، مزارل الشوك ومكسر الأوثان ، وعلى آله وأصحابه

والتابعين لهم باحسان .

أيها الناس : أبشروا برضوان الله الذى هو النفاية القصوى ، والدرجة

العليا ، لما يسره الله على أيدىكم من استرسل هذه الضالة من الأمة الضالة

وردها الى مقرها من الاسلام بعد ابتدائها فى أيدى المشركين قريبا من مائة

عام ، وتطهير هذا البيت الذى أذن الله أن يرفع فيه اسمه ، واماطة الشرك عن

طريقه ، بعد أن امتد عليها رواقه واستقر فيها رسمه ، ورفع قواعده بالتوحيد ،

فانه بنى عليه ، وانه أسرى بالتقوى من خلقه ومن بين يديه ، وهو موطن أبيك -

ابراهيم ، ومصراع نبيكم محمد عليهم السلام ، وقبلتكم التى كنتم تصلون اليها

ابتداء الاسلام ، وهو مقر الأنبياء ، ومقصد الأولياء ومقر الرسل ومهيكل الوحي ،

ومنزل تنزل الأمر والنهى ، وهو فى أرض المحشر وصعيد المنشر ، وهو فوق الأرض

المقدسية التى ذكرها الله فى كتابه المبين ، وهو المسجد الذى صلى فيه رسول

الله - صلى الله عليه وسلم - بالملائكة المقربين ، وهو البلد الذى بعث الله

اليه عبده ورسوله وكلمته التى ألقاها الى مريم وروح عيسى الذى شرفه الله برسالاته



الأنبياء والمرسلون ، فإذا عليكم من النعمة بأن جعلكم الجيش الذي يفتح عليه  
 البيت المقدس في آخر الزمان ، والجند الذي يقوم بسيوفهم بعدة فقرة من  
 الرسل أعلام الايمان ، فيوشك أن تكون التهاني به بين أهل الخضراء أكثر من  
 التهاني به بين أهل الفبراء .

اليس هو البيت الذي ذكره الله في كتابه ونص عليه في خطابه ؟ فقال  
 تعالى « سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد  
 الأقصى » (١)

اليس هو البيت الذي عظمته الملوك ، وأثنت عليه الرسل ، وتليت فيه  
 الكتب الأربعة من المكم عز وجل ؟

اليس هو البيت الذي أمسك الله عز وجل فيه الشمس على يوشع لأجله  
 أن تضرب ، وباعد بين خطواتها ليتيسر فتحه ويقرب ؟

اليس هو البيت الذي أمر الله ( تعالى ) موسى أن يأمر قومه باستنقاده  
 فلم يجبه إلا رجلا ، وغضب عليهم فمن أجله ، وألقاهم في التيه عقوبة المصيان ؟

فأحمدوا الله الذي أمضى عزائمكم لما نكلت عنه بنو إسرائيل وقد فضلمهم  
 على العالمين ، ووفقكم لما خذل عنه أمم ممن كان قبلكم من الأمم الماضية ، وجمع

كلمتكم وكانت شتى ، وأغناكم بما أمضتته كان وقد عن سوف وحتى .

فأيهنكم أن الله قد ذكركم به فيمن عنده ، وجعلكم بعد أن كنتم جنودا  
 لأهويتكم جنده ، وشكر لكم الملائكة المنزلون على ما أهدىتم إلى هذا البيت  
 من طيب التوحيد ونشر التقديس والتحميد ، وما أمطتم فيه عن طرقهم من أذى  
 الشرك والتثليث ، والاعتقاد الفاسد الخبيث ، فهو الآن يستغفر لكم أملاك  
 السموات ، ويصلى عليكم الصلوات المباركات .

فأحفظوا — رحمكم الله — هذه الموهبة فيكم ، وأحرصوا هذه النعمة عندكم  
 بتقوى الله التي من تمسك بها سلم ومن اعتصم بحصونها نجا وعصم ، وأحذروا  
 من اتباع الهوى ومواقف الردى ، ورجوع القهقرى ، والنكول عن العدى ، وخذوا  
 فى انتهاز الفرصة ، وإزالة ما بقى من النصبة ، وجاهدوا فى الله حق جهاده ،  
 وسيموا أنفسكم عباد الله فى رضاه إذ جعلكم من عباده وإياكم أن يستدل لكم الشيطان ،  
 وإن يتداخلكم الطغيان ، فيخيل اليكم أن هذا النصر بسيوفكم الحداد وبخيولكم  
 الجياد ، وجالادكم فى موضع الجالاد ، والله ما النصر إلا من عند الله ، إن الله  
 عزيز حكيم .

واحذروا — عباد الله — بعد أن شرفكم بهذا الفتح الجليل ، والمنح  
 الجزيل ، وخصكم بهذا النصر المبين ، وأعلق أيدىكم بحبله المتين ، أن تقتربوا  
 كثيرا من مناهيه ، وأن تأتوا عظيما من معاصيه ، فتكونوا كالتي نقضت غزلها من

بعد قوة أنكنا ، والذي آتيناه آياتنا فانسأ منها فاتبعه الشيطان فكان من  
 من الفأوين ، والجهاد الجهاد ، فهو أفضل عبادكم وأشرف عاداتكم ، أنصروا  
 الله ينصركم ، اذكروا الله يذكركم ، أشكروا الله يزدكم ويشكركم ، جدوا في حسم  
 الداء ، وقطع شأفة الأعداء ، وتطهير بقية الأرض التي أغشيت الله ورسوله  
 واقطعوا فروع الكفر واجتثوا أصوله ، فقد نادى الأيام بالثارات الإسلامية والملة  
 المحمدية الله أكبر ، فتح الله ونصر ، وغلب الله وقهر ، وأذل الله من كفر .

واعلموا — رحمكم الله — أن هذه فرصة فانتبهزوها ، وفريسة فناجزوها  
 ومهمة فأخرجوا إليها هممكم وابرزوها ، وسيروا إليها سرايا عزماكم وجهزوها ،  
 فالأمور بأواخرها والمكاسب بذخائرها ، فقد أظفركم الله بهذا العدو المخذول  
 وهم مثلكم أو دون ، فكيف وقد اضحى في قبالة الواحد منهم منكم عشرون ، وقد  
 قال تعالى : « ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبون مائتين »  
 (١)

أعاننا الله وإياكم على اتباع أوامره والازدجار بجزايره ، وأيدنا معشر  
 المسلمين بنصر من عنده « ان ينصركم الله فلا غالب لكم » وان يخذلكم فمن ذا الذي  
 (٢)  
 ينصركم من بعده .

ثم أتم الخطبة الأولى وجلس ثم قام وخطب الثانية كما جرت العادة ثم  
 دعا للخليفة الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، ثم قال :-

(١) سورة الانفال ، آية ٦٥ .

(٢) آل عمران ، ١٦٠ .

« اللهم وأدم سلطان عبدك الخاضع لهيبتك ، الشاكر لنعمتك ، المعترف  
 بموهبتك ، سيفك القاطع ، وشهابك اللامع ، والحامي عن دينك الدافع ،  
 والذاب عن حرمك ( وحرم رسولك ) المانع ، السيد الأجل ، الملك الناصر  
 جامع كلمة الايمان ، وقامع عبدة الصليان ، صلاح الدنيا والدين ، سلطان  
 الاسلام والمسلمين ، مطهر البيت المقدس ، أبى المظفر ، يوسف ( صلاح الدين )  
 ابن أيوب محبى دولة أمير المؤمنين •

اللهم عمّ بدولته البسيطة ، وأجعل ملائكتك براياته محيطة ، وأحسن  
 عن الدين الخفيف جزاءه ، وأشكر عن الملة المحمدية عزمه ومضاهه •

اللهم ابق للاسلام مهجته ، ورق للايمان حوزته ، وانشر فى المشارق  
 والمغارب دعوتيه •

اللهم فكما فتحت على يديه البيت المقدس ، بعد أن ظنت به الظنون  
 وابتلى المؤمنين ، فافتح على يديه داني الارض ونواصيها ، وملكه صياصى الكفر  
 ونواصيها ، فلا يلقى منهم كتيبة الا فرقها ولا جماعة الا فرقها ولا طائفة بعد  
 طائفة الا احقها بمن سبقها •

اللهم اشكر عن محمد و صلى الله عليه وسلم -- سعيه ، وأنفذ فى المشارق  
 والمغارب أمره ونهييه ، واصلح به أوساط البلاد وأطرافها وأرجاء الممالك وأكافئها •

اللهم ذلل به معاطس الكفار ، وارغم به أنوف الفجار ، وانشر ذوائب

ملكه على الامصار ، واثبت سرايا جنوده في سبيل الاقطار •

اللهم ثبت الملك فيه وفي عقبه الى يوم الدين ، واحفظه في بنيه وسنى

أبيه الملوك الميامين واشدد عنده ببقائهم ، واقض باعزاز أوليائه وأوليائهم •

اللهم فكما جرت على يده في الاسلام هذه الحسنة التي لا تبقى على

الأيام ، وتتخلد على مرور الشهور والاعوام ، فارزقه الملك الابدى الذي لا ينفذ

في دار المتقين ، واجب دعوته في قوله : « رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التي

أنعمت على وعلى والدى ، وأن أعمل صالحا ترضاه ، وادخلنى برحمتك فسى

عبادتك الصالحين » (١)

ثم دعا بما جرت به العادة ، ونزل وصلى بالناس صلاة الجمعة •

---

(١) سورة النمل ، آية ١٩ •

## الملحق الرابع

رسالة صلاح الدين الى الديوان العزيز للبشرى بفتح بيت

المقدس

~~~~~

(١)  
ومما كتبه الى الديوان العزيز مجده الله للبشرى بفتح القدس مع

الرسول و ضياء الدين الشهرزوري من رسالة :-

وقد سيق البشائر بما من الله به من الفتح العظيم ، والنصر العميم ،  
والعرف الجسيم ، والفضل الوسيم ، واليوم الأغراغز الكريم ، والشرف الذي  
نذره الله لهذا العصر ليفضله على الاعصار ، وأراد تأخير فخاره الى هذه  
الأيام ليكون بها تاريخ الفخار . فقد أعجز الملوك عن اقتضاء نصرته ، واقتضاض  
عذيقته ، وخص من أجراه الله على يده بسمو قدره ونمو قدرته ، وأعاد به القدس  
الى قدسه ، وأظهره وطهره من رجز الكفر ورجسه . وقد رجع الاسلام الفريب  
منه الى داره ، وخرج قمر الهدى به من أسراره ، وذهبت ظلم الضلالة  
بأنواره . وعادت الأرض المقدسة الى ما كانت موصوفة به من التقديس ، وأمنت  
المخلوف فيها وسها فصارت صباح السرى ومناخ التمريس ، وقد أقصى عن المسجد  
(٢)  
الاقصى الاقصون من الله الأبعدون ، وتوافد اليه المصطفون الاقربون ، والملائكة

(١) العماد ، الفتح ، ص ١٤٧ - ١٤٩ .

(٢) عرس القوم : نزلوا للاستراحة من السفر ، والمقصود الاقامة والاستراحة

( أنظر العماد ، المصدر نفسه ، ص ١٤٧ حاشية ) .

المقربون ، وخرس الناقوس بزجل المسيحيين وخرج المفسدون بدخول المصلحية

وقال المحارب لأهله مرحبا وأهلا ، وشمل جماعة المسلمين من قامــة  
الجمعة والجماعة ما جمع للإسلام فيه شملا . ورفعتم الاعلام العباسية على منبره  
فأخذت من بره أوفى نصيب ، وتلت بالسنة عذبتها ( نصر من الله وفتح قريب )  
وغسلت الصخرة المباركة بدوح المتقين من دنس المشركين ، وبعد أهل الأحـد  
من قربها بقرب الموحدين . فذكر بها ما كاد ينسى من عهد المصراع النبوي ،  
وقامت بدلائنها براهين الاعجاز المحمدي وصافحت الأيفى منها موضع القدم .  
وتجدد لها من البهجة والرسالة ما كان لها في القدم .

فهو ثاني المسجدين ، بل ثالث الحرمين . فليهن البيت الحرام  
خلاى أخيه البيت المقدس من الأسر ، وأسفار صبح الاسلام بعد طول اعتكار  
ليل الكفر ، وتطهير مواقف الانبياء صلوات الله عليهم من أدناس الأرجاس ،  
وتضوء أرج الرجاء فى ارجائه بعد اليأس .

فالحمد لله الذى أبدل الإيحاش بالايناس ، ونزع عنه بافاضة خلع الرحمة  
عليه لباس اليأس ، وجعل عصر مولانا أمير المؤمنين — صلوات الله عليه —  
على الأعصر فضلا وكمل بهذا الفتح الشريف شرف زمانه ، فأصبح فخر الدين  
والدنيا به مكلا . ويسر ببركات أيامه فتح البلاد الساحلية بأسرها ، وعجل هلاك  
هذه الطائفة الطاغية من الفرنج بقتلها وأسرها . ولقد حل الكثر عروة عروة ،  
وهذ ذروة ذروة . وعادت حباله رثا ، وعقوده انكاثا ، ومساكنه أجداثا ، وصار

حدثنا بعد أن شوهده أهل الذمة أحداثا •

(١)

فالرتاج مستفتح • والرجاء مستج • والبلاد مستخلصة • والقسم  
الضوالى منها بسوم الموالى مسترخصة • والمقاتل مقتضة • والمعاقل منفضة •  
ومناهل المنى بمياة النجاح مرفضة • ونجوم الرجوم على شياطين الكفر بسيف  
أهل الايمان منفضة • والثغور مبتسمة • والأمر منتظمة • والحصون متسلمة •  
والخصوم مذعنة مستسلمة • وأرض الكفر ينقصها الاسلام كل يوم من اطرافها • بل  
يستولى على أوساطها وأكتافها • ويعيد الى الطاعة كرها مذهب خلافها •  
ولقد أينع زرعها وثمرها من رؤوس المشركين • وهذا أوان حصادها وقطافها •  
والنهيمة بحمد الله عظيمة والموهبة وان خصت هذا الاقليم فهي فى جميع أقاليم  
المسلمين عيمة •

ولو شرح ما لهذا الفتح من جلاله المظمة • ودلاله المكرمة • لكبا قلم  
البليغ فى مضمار البيان • ولم يبلغ مدى ( قل لو كان البحر مدادا لكلمات  
ربى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدادا ) والقاضى ضياء  
(٢)

(١) الرتاج : الباب المخلق عليه باب صغير •

(٢) سورة الكهف • آية ١٠٩ •



الدين القاسم الشهر زورى ، قد توجه لهذه النعمه واصفا ، وعند ما يؤمر به  
من انهاء البشرى بها واقفا ، وأولى من وصف الحرف من كان بأوصافه عارفا ،  
وأحق من شرح الحق والحقيقة من تفى بشرح الصدور مصادرها شرحه ، ويفتح  
على الاسلام أبواب المهناء بانها ما تسنى من فتحه ويحدث وهو الضياء  
بأسفار صبحه .

\*\*\*\*\*

قَائِمَةُ الْمَحْضُورِ وَالْغَائِبِ

## المصادر والمراجع

~~~~~

### أولا : المصادر المربية :

- ابن أبي الهيثم ( ت ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م )  
تاريخ ابن أبي الهيثم ، مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات  
المرية بالقاهرة رقم ٩٤٥ .
- ابن الأثير ( أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد ، ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م )  
١ - التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية  
تحقيق عبد القادر طليعات ، ط القاهرة سنة ١٩٦٣ م .  
٢ - الكامل في التاريخ ، ج ١١ - ١٢ ، ط : ليدن سنة ١٨٧٦ م .
- ابن أياس ( محمد بن أحمد الحنفى ، ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م )  
بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج ١ ، القسم الأول ، تحقيق  
محمد مصطفى ، ط : نسيان ، سنة ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .
- ابن أيك الدوادارى ( أبو بكر عبد الله ، ت ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م )  
كنز الدروجائع الغرر ، الجزء السابع وعنوانه ( الدر المطلب في  
أخبار بني أيوب ) تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، ط القاهرة .  
سنة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

- ابن بطوطه ( ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد هـ ت ٧٩٧هـ /  
١٣٧٧م )  
رحلة ابن بطوطه المسماه ( تحفة النظار في غرائب الاصار وعجائب  
الاسفار هـ ط : القاهرة سنة ١٩٦٤م .
- ابن تفرى بردى ( جمال الدين أبى المحاسن يوسف الأتابكى هـ  
ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م ) .  
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة هـ ج ٥ - ٦ ط القاهرة  
سنة ١٩٣٥م .
- ابن جبير ( محمد بن احمد هـ ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م )  
رحلة ابن جبير هـ تحقيق حسين نصار هـ ط القاهرة سنة ١٩٥٥م .
- ابن الجوزى ( عبد الرحمن بن على هـ ت ٥٩٢هـ / ١٢٠٠م )  
المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم هـ ج ١٠ ط حيدرآباد سنة  
١٣٥٨هـ .
- ابن خلدون ( عبد الرحمن بن محمد هـ ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م )  
تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبرود يوان البتدا والخبر هـ  
ج ٤ - ٥ ط القاهرة سنة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .

— ابن خلكان ( شمس الدين احمد بن محمد هـ ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م )

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان هـ ج ١ — ٢

تحقيق احسان عباس هـ ط بيروت سنة ١٩٧٢ م •

— ابن دقماق ( ابراهيم بن محمد هـ ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م )

الجواهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين هـ

مخطوط بمكتبة فاتح في استانبول رقم ٤٣١٣ •

— ابن الراهب ( ابو شاكريبطرس بن ابي الكرم المذهب )

تاريخ ابن الراهب هـ

عني بنشره الأب لويس شيخو اليسوعي هـ ط بيروت سنة ١٩٠٣ م •

— ابن سعيد ( ابو الحسن علي بن موسى المغربي هـ ت ٦٧٣ هـ /

١٢٧٤ م )

١ — الرضى المهضوب في حلى دولة بنى أيوب هـ ج ٢ هـ مخطوط

بدار الكتب المصرية رقم ١٢ ٢٧ تاريخ

٢ — المغرب في حلى المغرب هـ القسم الخاص بالقاهرة هـ تحقيق

حسين نصاره ط القاهرة سنة ١٩٧٠ م •

— ابن شاهنشاه الايوبي ( محمد بن تقي الدين عمر هـ ت ٦١٧ هـ /

١٢٢٠ م )

مضمار الحقائق وسر الخلائق هـ

تحقيق حسن حبشي هـ ط القاهرة سنة ١٩٦٨ م •

- ابن الشحنة ( ابوالوليد محب الدين محمد بن محمد الحلبي هـ ت ٩٢١ /  
( ١٥١٥ م )  
روضة المناظر في علم الأوائل والأواخر هـ مخطوط بمكتبة السليمانية في  
استانبول رقم ٨٧٠ .
- ابن شداد ( بهاء الدين يوسف بن رافع هـ ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م )  
النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية هـ  
تحقيق جمال الدين الشيال هـ ط القاهرة سنة ١٩٦٤ م .
- ابن شداد ( عز الدين عبد الله بن محمد هـ ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م )  
الأغلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة  
الجزء الأول هـ مخطوط بمكتبة أحمد الثالث في استانبول رقم ١٥٦٤ .  
الجزء الثالث هـ تحقيق سامي الدحمان هـ ط بيروت سنة ١٩٦٣ م .
- ابن الصيرفي ( علي بن منجب بن سليمان هـ ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م )  
الإشارة إلى من نال الوزارة  
تحقيق عبد الله مخلص هـ ط القاهرة سنة ١٩٢٤ م .
- ابن طباطبا ( محمد بن علي )  
الفخرى في الآداب السلطانية هـ ط القاهرة هـ سنة ١٣٤٥ / ١٩٢٧ م .

- ابن ظافر الازدي ( جمال الدين علي ، ت ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م )  
أخبار الدول المنقطعة  
تحقيق أندريه فرير ، ط القاهرة ، سنة ٢٩٧٢ م .
- ابن العبري ( غريغوريوس الملقى ، ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م )  
تاريخ مختصر الدول ، ط بيروت سنة ١٩٥٨ م .
- ابن العديم ( كمال الدين أبي القاسم عمراحمـد بن هبة الله ،  
ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م )  
١ — بغية الطلب في تاريخ حلب ، ج ٢ و ٦ ، مخطوطة بمكتبة  
أحمد الثالث في استانبول رقم ٢٩٢٥ .  
٢ — زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ج ٢ و ٣ .  
تحقيق سامي الدهان ، ط . بيروت سنة ١٩٦٨ م .
- ابن الصمد الحنبلي ( أبو الفلاح عبد الحى ، ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م )  
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٤ ، ط القاهرة ١٩٣١ م
- ابن الفرات ( ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ، ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م )  
تاريخ ابن الفرات مجلد ٤ ، في جزئين ،  
تحقيق حسن محمد الشماخ ، ط البصرة سنة ١٩٦٧ — ١٩٦٩ م .

- ابن قاضي شهبه ( بدر الدين محمد بن أبي بكر هـ ت ٥٧٧٤ / ١٣٧٢ م )  
الكواكب الدرية في السيرة النورية  
تحقيق محمود زايد هـ ط بيروت سنة ١٩٧١ م .
- ابن القلانسي ( ابو يعلى حمزه هـ ت ٥٥٥٥ / ١١٦٠ م )  
ذيل تاريخ دمشق هـ ط بيروت هـ سنة ١٩٠٨ م .
- ابن كثير ( اسماعيل بن عمر هـ ت ٥٧٧٤ / ١٣٧٢ م )  
البداية والنهاية هـ ج ١٢ هـ ط بيروت سنة ١٩٦٦ م .
- ابن مطي ( الاسعد بن مطي هـ ت ٦٠٦ / ١٢٠٩ م )  
قوانين الدواوين  
تحقيق عزيز سورمال عطيه هـ ط القاهرة سنة ١٩٤٣ م .
- ابن منظور ( جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري هـ ت ٧١١ هـ /  
١٣١١ م )  
لسان العرب هـ ج ٦ هـ ٨ هـ ط القاهرة ١٨٨٢ م .
- ابن منقذ ( أسامة بن رشد الثاني هـ ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م )  
كتاب الاعتبار  
تحقيق فيليب حتى هـ ط : جامعة برنستون الولايات المتحدة  
سنة ١٩٣٠ م .



- ابن نباته ( جمال الدين محمد )  
فختارات من كلام القاضي الفاضل  
مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٨٨٢ أدب
- ابن واصل ( جمال الدين محمد بن سالم ، ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م )  
١ - التاريخ الصالحى  
مخطوط بمكتبة فاتح فى استانبول رقم ٢٤ ٢٢٠  
٢ - مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، ج ١ - ٢  
تحقيق جمال الدين الشيال ، ط القاهرة سنة ١٩٥٣ - ١٩٥٧ .  
ج ٤ تحقيق حسنين محمد ربيع ، ط القاهرة سنة ١٩٧٢ م .
- ابن الوردي ( زين الدين عمر ، ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م )  
تتمة المختصر فى أخبار البشر ، ج ٢ ، ط النجف سنة ١٣٨٩ هـ /  
١٩٦٩ م .
- أبو شامة ( شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسى ، ت  
٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م )  
١ - كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين .  
الجزء الأول ، قسمان ، تحقيق محمد حلى محمد احمد ، ط  
القاهرة سنة ١٩٦٢ م .  
الجزء الثانى ط القاهرة سنة ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠ م .  
٢ - الذيل على الروضتين ،  
تحقيق عزت العطار ، ط القاهرة ، سنة ١٩٤٧ م .

- ابو الفدا ( عماد الدين اسماعيل ه ت ٧٣٢ ه / ١٣٣١ م )  
المختصر في أخبار البشر ه ج ٣ ه ط بيروت .
- الارنلى ( عبد الرحمن سنيط بن قنيقو ه ت ٧١٧ ه / ١٣١٧ م )  
خلاصة الذهب السبوك ه ط بغداد .
- الاصفهاني ( عماد الدين أبو حامد محمد بن محمد بن حامد )  
البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان  
مخطوط بمكتبة احمد الثالث في استانبول رقم ٢٩٥٩ .
- البندارى ( قوام الدين الفتح بن على ه ت ٦٤٣ ه / ١٢٤٥ م )  
سنا البرق الشامى ه القسم الأول ه تحقيق رمضان ششن  
ط ه بيروت سنة ١٩٧٠ م .
- الحسن بن عبد الله بن محمد  
آثار الأول في ترتيب الدول ه ط القاهرة سنة ١٢٩٥ ه .
- الحنبلى ( احمد بن ابراهيم نصر الله )  
شفاء القلوب في مناقب بنى أيوب  
مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٣١ .
- الخوارزمى ( ابو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف ه ت ٣٨٧ ه / ٩٩٧ م )  
مفاتيح العلوم ه ط القاهرة سنة ١٣٤٢ ه .

- الذهبي ( الحافظ محمد بن أحمد ، ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م )
- ١ — المبرني خبر من غير ، ج ٤
- تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط الكويت سنة ١٩٦٣ م .
- ٢ — تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ، مجلد ٢٧ ،  
مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ
- ٣ — دول الاسلام  
مخطوط في مكتبة احمد الثالث باستانبول .
- الزبيدي ( المرتضى )
- ترويح القلوب بذكر الملوك بني أيوب ،
- تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط دمشق سنة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م .
- سبط ابن الجوزي ( شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاعلي التركي ،  
ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م )
- مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ، ج ٨ ، القسم الأول ، ط حيدرآباد  
سنة ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م .
- السبكي ( عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ، ت ٧٧١ هـ / ١٣٧٠ م )
- طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٦ — ٨ .
- تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمود محمد الطناحي ، ط  
القاهرة الطبعة الأولى .

— السيوطي ( الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ، ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م )

١ — تاريخ الخلفاء ، ط القاهرة سنة ١٩٥٢ م .

٢ — حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، ج ٢ ،

تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط القاهرة سنة ١٣٨٧ /

١٩٦٨ م .

— صالح بن يحيى ( من مؤرخي القرن التاسع الهجري )

تاريخ بيروت ، ط بيروت ١٩٦٩ م .

— صلاح الدين الصفدي

أمراء دمشق في الاسلام .

تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط دمشق سنة ١٩٥٥ م .

— الطرسوسي ( مرضى بن علي ، كان معاصرا لصلاح الدين )

تبصرة أرباب الألباب .

تحقيق كلود كاهن في مجلة معهد الدراسات الشرقية بدمشق ، ج ١٢

— المماد الاصفهاني ( ابو عبد الله محمد ، ت ٥٩٢ هـ / ١٢٠٠ م )

١ — البرق الشامي ، ج ٥ ، تحقيق رمضان ششن ، ط استانبول

سنة ١٩٧٩ م .

٢ — تاريخ دولة آل سلجوق ، ط بيروت سنة ١٩٧٨ م .

٣ — الفتح القسي في الفتح القدسي ، تحقيق وشرح وتقديم محمد

محمود صبح ، ط القاهرة سنة ١٩٦٥ م .

— العمري ( شهاب الدين احمد يحيى بن فضل الله ، ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م )

• مسالك الابصار في ممالك الاثمار ، ج ٧ .

• مخطوط بمكتبة احمد الثالث في استانبول رقم ٢٢٩٧ .

— العيني ( بدرا الدين محمد بن احمد بن موسى ، ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م )

• عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، ج ١٢ .

• مخطوط بمكتبة احمد الثالث في استانبول رقم ٢٩١١ .

— القلقشندی ( احمد بن علي ، ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م )

• صبح الأعشى في صناعة الانشاء ، ج ٣ - ٥ ، ط القاهرة

• سنة ١٩١٩ - ١٩٢٢م .

— الكتبي ( محمد بن شاكر ، ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م )

• عيون التواريخ

• مخطوط بمكتبة احمد الثالث في استانبول رقم ٢٩٢٢ .

— المقرئ ( احمد بن علي ، ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م )

١ - التاريخ الكبير المسمى ( المقفى في تراجم أهل مصر والواردين

اليها ) مخطوطة بمكتبة السليمانية في استانبول رقم ١٤٩٦ .

٢ - انعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، ج ٣ .

تحقيق محمد حلي محمد احمد ، ط القاهرة سنة ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م .

٣ - اظلة الامة بكشف الغم ، قام على نشره محمد مصطفى زيادة

وجمال الدين الشيلال ، ط القاهرة سنة ١٩٤٠م .

٤ - السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، القسم الأول ،

تحقيق محمد مصطفى زيادة ، ط القاهرة سنة ١٩٥٦م .

٥ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جزآن ، ط القاهرة سنة ١٢٧٠هـ

- مؤلف مجهول
- خزانة السلاح في الاسلام
- تحقيق نبيل محمد عبدالعزيز ط القاهرة سنة ١٩٧٨ م .
- النديمي ( عبد القادر محمد ط ت ٩٢٧ هـ / ١٥٢١ م )
- الدارس في تاريخ المدارس ط دمشق سنة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م .
- النويري ( شهاب الدين محمد بن عبد الوهاب ط ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م )
- نهاية الارب في فنون الادب
- ج ٨ ط القاهرة سنة ١٩٣١ م
- ج ٢٦ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف طامه .
- اليافعي ( ابو محمد عبد الله بن سعد ط ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م )
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان ط ٣ ط بيروت سنة ١٣٩٠ / ١٩٧٠ م .
- ياقوت الحموي ( شهاب الدين أبي عبد الله الحموي الرومي ط ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م )
- معجم البلدان ط ١ - ٥ ط بيروت سنة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

ثانيا : المراجع العربية والمترجمة :

- ابراهيم على طرخان  
النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط في العصور الوسطى ، ط القاهرة  
سنة ١٩٦٨ م
- احمد مختار العبادي ، والسيد عبد الميزز سالم  
تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام ، ط بيروت سنة ١٩٧٢ م
- ارشيدالد لويس ،  
القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة محمد عيسى ،  
ط القاهرة ، سنة ١٩٦٠ م
- ارنست باركر  
الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز المريني ، ط بيروت سنة  
١٣٨٦هـ / ١٩٦٧ م
- الباز المريني  
الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، القسم الأول ( الايوبيون ) ، ط  
بيروت سنة ١٩٦٧ م
- برنارد لويس  
الدعوة الاسماعيلية الجديدة ( الحشيشية ) ترجمة سهيل زكاره  
ط بيروت سنة ١٩٧١ م

- حامد زيان ،  
الامبراطور فردريك بروسيا ، ط القاهرة سنة ١٩٢٧ م .
- حسن ابوايهيم حسن ،  
تاريخ الاسلام السياسى ، ج ٤ ، ط القاهرة سنة ١٩٦٢ م .
- حسن حبشى ،  
١ — نور الدين والصليبيون ، ط القاهرة ، سنة ١٩٤٨ م .  
٢ — أعمال الفرنجة ، ط القاهرة سنة ١٩٥٨ م .
- حسين محمد ربيع ،  
١ — النظم المالية فى مصر زمن الأيوبيين ، ط القاهرة سنة ١٩٦٤ م  
٢ — البحر الاحمر فى المصر الايوبى ، ندوة تاريخ البحر الاحمر  
بجامعة عين شمس سنة ١٩٧٩ م .  
٣ — جهاد صلاح الدين ضد الصليبيين ، مقال بمجلة رسالة  
المسجد العدد الرابع ، ربيع الاول سنة ١٤٠١ هـ .
- ستيفن ونسيان ،  
تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز المرنى ، ج ٢ - ٣ ،  
ط بيروت سنة ١٩٦٨ م .
- سعاد ماهر ،  
البحرية فى مصر الاسلامية ، ط القاهرة سنة ١٩٦٧ م .



- سعيد عبد الفتاح عاشور ،
- ١ — الايوبيون والمماليك في مصر والشام ، ط القاهرة سنة ١٩٧٦م
- ٢ — أوروبا المصور الوسطى ، الجزء الاول ، ط القاهرة سنة ١٩٦٤م
- ٣ — بحوث ودراسات في تاريخ المصور الوسطى ، ط بيروت سنة ١٩٧٧م .
- ٤ — تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ، ط القاهرة سنة ١٩٧٦م
- ٥ — الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ط القاهرة سنة ١٩٧١م .
- ٦ — قبوس والحروب الصليبية ، ط القاهرة سنة ١٩٥٧م .
- ٧ — الناصر صلاح الدين ، ط القاهرة .
- شاكرو مصطفى ،
- التاريخ العربي والتاريخيون ، جزآن ، ط بيروت ١٩٨٠م .
- عائشة بنت عبد الله باقاسى
- بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ط مكة المكرمة سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م
- عبد الرحمن زكى
- ١ — السلاح في الاسلام ، ط القاهرة ١٩٥١م .
- ٢ — قلعة صلاح الدين وما حولها من الآثار ، ط القاهرة سنة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م .
- عبد المنعم ماجد
- الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي ، ط بيروت سنة ١٩١٧م .

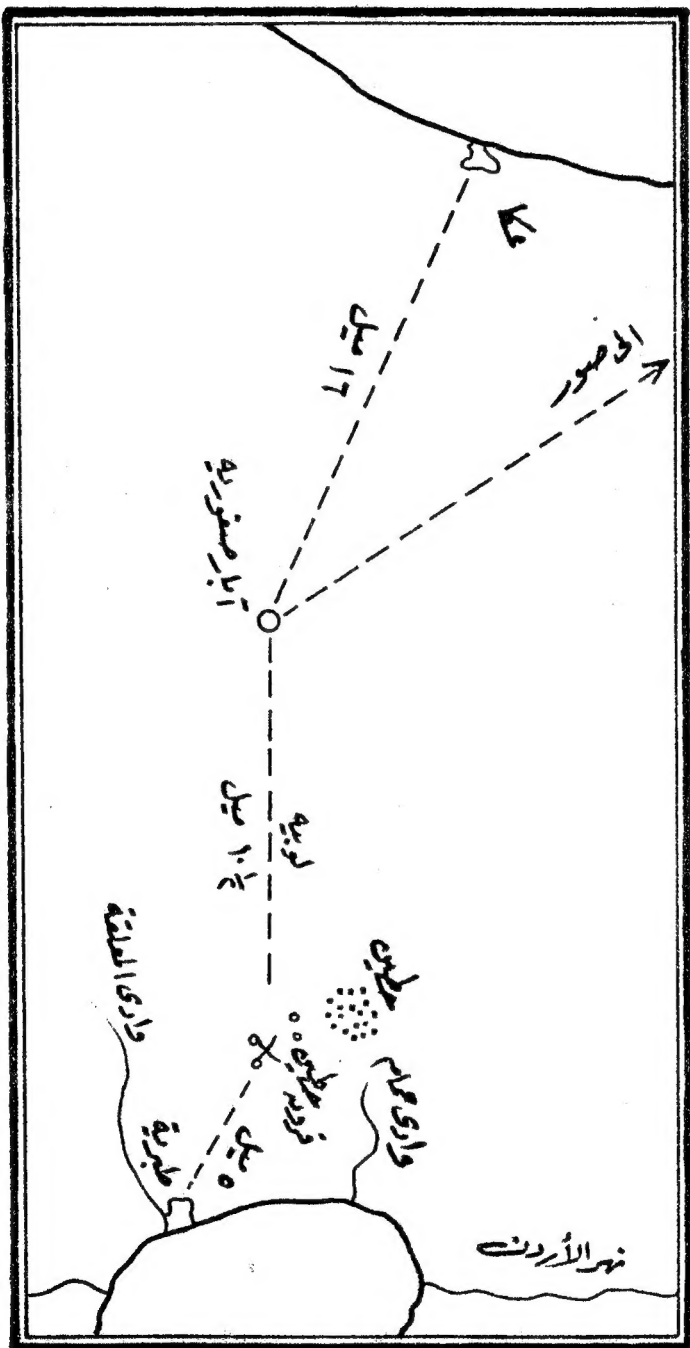
- عبد النعيم حسنين  
سلاجقة ايران ، ط القاهرة سنة ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م .
- على بيـــــوصى  
قيام الدولة الايوبية فى مصر ، ط القاهرة سنة ١٩٥٢م .
- كلود كاهمين  
تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ، ترجمة بدر الدين القاسم ، ط  
بيروت سنة ١٩٧٧م .
- محمد جمال الدين سرور  
الدولة الفاطمية فى مصر ، ط القاهرة سنة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .
- هاملتون جب  
دراسات فى حضارة الاسلام ، ط بيروت سنة ١٩٧٤م .
- نظير حسان سعداوى  
١ — التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح الدين ، ط القاهرة سنة ١٩٥٧  
٢ — جيش مصر فى أيام صلاح الدين ، ط القاهرة سنة ١٩٥٩م .  
٣ — الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي ، ط القاهرة سنة ١٩٦١م .  
٤ — المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين ، ط القاهرة سنة ١٩٦٢م .  
٥ — نظام البريد فى الدولة الاسلامية ، ط القاهرة سنة ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م .

ثالثا : المراجع الأوربية :

---

- Hassanein Rabie, The Financial system of Egypt, London (1972).
- Brand, The Byzantin and Saladin, speculum, vol.37 (1962) .
- Cambridge History of Islam, vol I, London, (1970)
- Ehrenkreutz
  - 1 - The place of Saladin in the Naval History of the Mediterranean Sea in the Middle Ages, Journal of the American Oriental Society, (1955) vol 15.
  - 2 - Saladin, New York (1972).
- Lane-Poole, S., Saladin and the Fall of Kingdom of Jerusalem, Beirut (1964)
- Lewis, B., Saladin and the Assassins, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, vol. 15 (1953), pp. 239-245.
- Richard, (Gean) - An Account of the Battle of Hattin, Speculum, vol 27 (1952).





معركة حطين نقلا عن كتاب التاريخ العربي لتفليس حسان سعداوى

